

نحن وهم

٢

استراتيجية الأدب الصهيوني لإرهاب العرب

تأليف
دكتور محمود صميدة

مقدمة
دكتور إبراهيم البحراوي

سلسلة ثقافية تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر



سلسلة ثقافية تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر
دولة الإمارات العربيّة المتحدة - أبوظبي

المشرف العام

عبد الله آل النويس

المشرف العلمى

دكتور إبراهيم البحراوى

المراسلات : ص . ب ٧٩١ أبوظبى ● برقيا : الاتحاد - ابوظبى



استراتيجية الأدب الصهيونى لإرهاب العرب

تأليف
دكتور محمود صميده

مقدمة
دكتور إبراهيم البحراوى

سلسلة ثقافية تصدرها مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر - أبوظبى

تصميم الغلاف :
الفنان محمد ابو طالب

الاشراف الفنى : محمد عبدالحافظ

الطباعة : مؤسسة دار الهلال ـ القاهرة

تقـــديـــم

●● تتبنى مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر إصدار هذه السلسلة الثقافية وتيسير وصولها إلى أيدى القراء فى كافة أقطار أمتنا انطلاقا من الايمان الراسخ بأن المعرفة العلمية الصحيحة بأنفسنا وبأعدائنا هى شرط أساسى من شروط الادارة المظفرة لصراعنا مع المخاطر التى تتهددنا من جانب إسرائيل .

وإننا على ثقة أن هذه السلسلة التى تفتح أبوابها لنشر الاجتهادات الرفيعة من جانب باحثينا وعلمائنا فى قضايا نهضتنا ووحدتنا ومجابهتنا لأعدائنا .. ستكشف عن ابداعات فكرية رفيعة وايجابية تزيح العقبات من طريق أمتنا وتطرح الحلول الناجعة للمشكلات التى تواجهنا . ●●

عبد الله النويس
المدير العام ورئيس التحرير
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر
أبو ظبى

نزع الصفات الانسانية عن العرب
فى الفكـر الصهيـونى .. لماذا ؟

بقلم المشرف العلمى على السلسلة

فى شهر فبراير ١٩٨٥ القيت محاضرة فى المجمع الثقافى بمدينة أبو ظبى بناء على دعوة من وزارة الاعلام بدولة الامارات العربية المتحدة . كان عنوان المحاضرة « صورة العربى فى الأدب والفكر الصهيونى » وقد استهدفت فى تلك المحاضرة أن أبين للمستمعين أن الصورة التى يرسمها الأدب العبرى للشخصية الفلسطينية العربية صورة سلبية تضع العربى فى مرتبة متدنية تصل إلى حد نزع صفاته الانسانية وتجريده من صورته البشرية ليس من قبيل السب والتجريح بل فى إطار عملية فكرية معروفة لدى علماء النفس بمصطلح Dehumanization وهى عملية تستهدف تسهيل العدوان على الطرف الآخر باعتباره كائنا أدنى فى المرتبة لا يتمتع بما للكائن الانسانى من حقوق وحرمات .

واقعة ذات دلالة

وفى مجال الكشف عن الوظيفة التى تؤديها هذه الصورة السلبية المطبوخة فى صفحات الكتب الأدبية الصهيونية للعربى رويت للمستمعين الواقعة التالية التى أنقلها عن نص المحاضرة كما نشر فى جريدة "الاتحاد" فى أبو ظبى . قلت (فى عام ١٩٨٣ انفجرت مظاهرات طلابية خرجت من المدارس الفلسطينية الثانوية فى الضفة الغربية . كان الطلاب

الفلسطينيون يتظاهرون احتجاجا على قيام الاسرائيليين بدس أنواع من السموم الغازية فى مدارس الفتيات العربيات بهدف اصابتهن بالعقم والعجز عن الإنجاب . واتصل أحد قادة الاحتلال الاسرائيلى المتمركزين فى الضفة الغربية برئيس الأركان الاسرائيلى فى ذلك الوقت الجنرال رفائيل ايتان ليسأله كما ذكرت الصحف العبرية (ماذا أفعل ياسيدى رئيس الأركان ؟.. ان الطلاب يلقون علينا بالحجارة ؟) وجاءت اجابة رئيس الأركان بالحرف تقول (انزعوا لهم خصياتهم .. لا ضرورة لأن يكونوا رجالا) . بعد أسابيع قليلة من هذه الواقعة عقدت لجنة الشئون الخارجية والدفاع بالكنسيت اجتماعا خاصا لتوديع الجنرال ايتان بمناسبة قرب انتهاء خدمته العسكرية وفى تلك الجلسة قام أحد أعضاء الكنيست يسؤال رئيس الأركان عن صحة الخبر الذى نشرته الصحف حول الأمر الذى أصدره بنزع خصيات الطلاب العرب وأجاب الجنرال بالحرف الواحد (نعم لقد أصدرت هذا الأمر وأعلن هنا اننا سنرد على أى عملية لالقاء الأحجار على جنودنا بانشاء عشر مستعمرات وإذا ما ارتفع عدد المستعمرات إلى مائة وهو ماسيحدث بين نابلس والقدس فأنه لن يكون هناك مجال لإلقاء الحجارة ولن يستطيع العرب سوى أن ينحشروا ليأكلوا بعضهم البعض كالخنافس السامة المحشورة فى زجاجات .. نعم وأكررها كالخنافس السامة فى زجاجات)

كان الاستفزاز فى تعبيرات إيتان لا يسمح بالتمهل فنشرت فى ٢٦ / ٤ / ٨٣ مقالا فى صفحة "كيف تفكر اسرائيل" التى كنت أشرف على إصدارها فى صحيفة "الأخبار" فى ذلك الوقت . كان المقال بعنوان "انهم آدميون .. وليسوا خنافس تبيدونها ياجنرال" . وكان المقال موجها إلى رئيس الأركان الاسرائيلى الذى أفصح بشكل واضح عما تبطنه بطون كتب الأدب والفكر من صورة سلبية للشخصية العربية وعما ترمى إليه هذه الصورة وكنت فى ذلك الوقت أقوم بالمتابعة العلمية للباحث محمود صميدة وهو يعد رسالته للدكتوراه بالقسم العبرى بكلية الآداب جامعة عين شمس عن الشخصية العربية الفلسطينية فى الأدب العبرى .

ووجدت نفسى لشدة الاستفزاز أوجه إلى هذا الباحث نصيحة مباشرة وعلنية فى ذلك المقال وأمام القراء بأن يضيف فصلا جديدا فى رسالته يبين فيه كيف يوظف الإسرائيليون صورة العربى الفلسطينى فى مجال

السياسة والحرب وكيف تعتبر هذه الصورة ركنا أساسيا من أركان عملية الإرهاب والعدوان الموجهين ضد الشعب الفلسطينى .

ولقد أدى المقال عمله فى تنبيه الرأى العام المصرى فى ذلك الوقت وحمل إلى البريد العديد من الرسائل التى تعكس غضبة القراء وانتصارهم للشخصية العربية الفلسطينية .

صورة العربى .. موقفها فى الفكر الصهيونى

إن الصورة السلبية التى يرسمها الفكر الصهيونى للانسان العربى تمثل مقولة من المقولات التنفيذية فى خريطة الفكر الصهيونى ذلك أن هذه الخريطة تقوم على مقولات رئيسية ثلاث تمثل الأركان الأساسية للبناء الفكرى الصهيونى وهى مقولات نظرية تجسد الحلم الصهيونى المناقض لمنطق الواقع والتاريخ بشقيه العربى واليهودى . ومن الطبيعى أن يبحث أصحاب المقولات النظرية أو الاحلام الفكرية التى لا أساس لها فى الواقع عن وسائل فكرية تقرب الحلم من مجال التنفيذ والتطبيق . وهنا يأتى دور المقولات التنفيذية الصهيونية ومن بينها صورة العربى السلبية . وفى حدود اجتهادنا الخاص فإننا نرى أن البناء الأيديولوجى للصهيوينة يتركز فى مقولات نظرية رئيسية ثلاث هى كالتالى :

١ ـ مقولة الشعب اليهودى .

٢ ـ مقولة معاداة السامية أو العداء البشرى لليهودى .

٣ ـ مقولة الملكية التاريخية للأرض العربية فى فلسطين

وإذا نظرنا إلى المقولة الأولى لاكتشفنا أنها تحاول أن تصوغ حلما بعيدا عن الواقع والتاريخ فهى **تعتبر الجماعات اليهودية فى أنحاء العالم شعبا واحدا** .. بينما نجد أن حقيقة السياق التاريخى والوقائع السلالية والحضارية تشير إلى **واقع معاكس ومناقض لذلك الحلم** فنحن نجد فى الواقع تنوعا فى سلالات الجماعات التى تدين بالديانة اليهودية بدءا بيهود الفلاشا من الجنس الزنجى فى أفريقيا ومرورا باليهود السلافيين فى شرق أوربا وانتهاء بيهود الصين وهم يحملون نفس السمات السلالية الصينية . وإذا طبقنا هذا فى مجال اللغة لوجدناه قائما

كواقع مناقض للحلم الصهيونى ولو طبقناه كذلك فى واقع التراث الثقافى الشعبى لوجدناه متحققا فى ذلك الخلاف البين بين الشخصية الثقافية ليهود اليمن مثلا ويهود الاتحاد السوفييتى . ولو طبقناه فى مجال التاريخ لاكتشفنا أن كل طائفة يهودية تعيش تاريخها الخاص المنفصل تماما عن سائر الطوائف اليهودية والذى يرتبط بموطنها الجغرافى .

ومع ذلك فإن المقولة الصهيونية تصوغ حلما يفيد بأن كل هذه الأشتات من البشر تمثل شعبا واحدا استنادا إلى الصفة الدينية وحدها . وهكذا يناقض التاريخ الحى الحلم الايديولوجى النظرى ويحاول أصحاب الحلم وفلاسفته إيجاد الوسائط أو الوسائل الفكرية أو المقولات التنفيذية لتقريب الحلم من مجال الواقع والتنفيذ فتظهر فى الفكر الصهيونى مقولة "المنفى أو الدياسبورا" وهو مصطلح يعنى أن وجود هذه الجماعات اليهودية فى أنحاء العالم هو وضع غير أصيل مثلما نقول أن أحمد عرابى الزعيم المصرى عاش فى المنفى فيكون المعنى الضمنى الغنى عن الشرح والبيان هو أن الرجل كان فى وضع جغرافى غير أصيل وهو وضع المنفى بما يعنى أن للرجل وطنا جغرافيا أصيلا . وهكذا تصبح مقولة "المنفى" واسطة فكرية أو خطوة تنفيذية فى ذاتها تقرب الحلم من عالم الواقع وكما أن السامع يتوقع أن يكون مصير أحمد عرابى هو العودة من المنفى إلى الوطن فإن مقولة المنفى الصهيونية توحى بنفس الشىء وبالتالى تتولد مقولة تنفيذية أخرى فى الفكر الصهيونى للمقولة الرئيسية الأولى التى تمثل الحلم . هذه المقولة التنفيذية الثانية يسمونها مقولة "العودة" والتى تعنى زيفا وبطلانا أن هجرة الجماعات اليهودية إلى فلسطين العربية تمثل عودة من المنفى أى انتقال من الحالة الطارئة إلى الحالة الأصلية .

لقد ضربنا هذا المثال لنبين كيف تتولد المقولات التنفيذية لخدمة المقولات الرئيسية النظرية . فها نحن نجد مقولة الشعب الواحد النظرية وقد اقتربت من لغة التنفيذ والواقع عن طريق مقولة "المنفى" ومقولة "العودة" التنفيذيتين ليرتدى الحلم الصهيونى لغة التنفيذ ويفرض نفسه بتهجير الجماعات اليهودية إلى فلسطين ومحاولة صهرها فى بوتقة الشعب الواحد .

وضع مقولة نزع الصفات الإنسانية

إذا تأملنا المقولة الثالثة الرئيسية فى بناء الفكر الصهيونى والتى أطلقنا عليها (مقولة الملكية التاريخية للأرض العربية فى فلسطين) لاكتشفنا انها بدورها تصوغ حلما صهيونيا زائفا يربط بين حلم الشعب اليهودى الواحد الذى صاغته المقولة الأولى النظرية وبين الأرض العربية بحق مزعوم للملكية . ذلك أن المقولة الثالثة تناقض وتتجاهل الواقع التاريخى الحى لفلسطين الذى يجزم بحق الشعب الفلسطينى فى ملكية الأرض الفلسطينية باعتبار أن وجود هذا الشعب المعاصر والضارب فى أعماق التاريخ يمثل تجسيدا لخلاصه التطور السلالى والحضارى على هذه الأرض فى كافة مراحل تاريخها ومع ذلك تأتى المقولة لتعتبر الأرض العربية ملكا موروثا لما تسميه المقولة الأولى الشعب اليهودى .

وهكذا تقدم مقولة الملكية التاريخية **الحلم النظرى** ولكن الحلم يصطدم مع الواقع فالواقع يفيد فى بداية الحركة الصهيونية عدم وجود شعب يهودى على الأرض العربية بقدر مايفيد وجود الشعب العربى عليها وهنا يحاول أصحاب الحلم ايجاد المقولات التنفيذية التى تقرب الحلم إلى مجال التنفيذ فى الواقع .

فى البداية أطلق أحد المفكرين الصهاينة مع مطلع الحركة الصهيونية مقولة نسميها مقولة "الأرض الفراغ" حاول فيها أن يصور فلسطين باعتبارها أرضا فارغة من البشر . قال زينجويل المفكر الصهيونى « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » وقد تمسك العقل الصهيونى فى البداية بهذه المقولة فى أوائل القرن العشرين فقد كانت تسهل الحلم وتقربه من الواقع وتلغى على المستوى النظرى العقبة التى تعترض طريق التنفيذ وهى العقبة الممثلة فى وجود الشعب العربى الفلسطينى على الأرض . ولقد صدقها قادة الصهاينة كما صدقها جمهور المهاجرين فى البداية لدرجة أن ماكس نورداو وهو فيلسوف صهيونى كان مقربا من تيودور هرتزل وقع فى حالة ذهول عندما اكتشف وجود الشعب الفلسطينى على الأرض فهرع إلى هرتزل ليقول له أن هناك شعبا يسكن تلك الأرض !! ولقد كانت تلك

المقولة التنفيذية تستهدف التسهيل على اليهودى المهاجر ليتصور أن الأرض خالية تنتظره فى لهفة وشوق دون عقبات .

وعندما تأكد بالخبرة العملية للصهاينة زيف مقولة زينجويل عن الأرض الفراغ وتبين لهم وجود شعب مقاتل عنيد لا يرضخ للحلم الصهيونى ومقولاته من ناحية ولا يخضع لأحكام الامبراطورية البريطانية ووعود وزير خارجيتها بلفور للصهاينة باقامة وطن لليهودى فى الأرض العربية من ناحية أخرى كان لابد من أن تختفى تلك المقولة التنفيذية الفاشلة وأن تحل محلها مقولة تنفيذية جديدة تسهل تنفيذ الحلم .

مقولة الحقل المهجور : هذه المقولة الجديدة هى مقولة تحقير العربى ورسم صورة متدنية لشخصيته تصل إلى حد نزع الصفات الانسانية عنه لتسهيل التخلص منه والقضاء عليه . وقد نتجت هذه المقولة التنفيذية عن مقولة تنفيذية سبقتها فى الفكر الصهيونى يمكن أن نسميها مقولة "الحقل المهجور" فلقد رأى المفكرون الصهاينة أن يشبهوا حلمهم فى احتلال فلسطين بعودة صاحب حقل إلى حقله بعد أن هجره زمنا طويلا وتظهر هذه التشبيهات فى الأدب العبرى بأشكال متعددة لتصف فلسطين وهى تحت السيادة العربية بأنها بقعة متخلفة متدهورة جاءت الصهيونية لتنهض بها وتكسوها بثوب الحضارة والتقدم وهو اتجاه فكرى سائد على أى حال فى كافة تجارب الاستعمار الغربى للشرق بل إن كلمة الاستعمار نفسها التى نستخدمها فى اللغة العربية للدلالة على الغزو الأجنبى والاحتلال ونهب الثروات واستعباد الشعوب هى مجرد ترجمة غير واعية للكلمة الانجليزية Colonialism التى تعنى فى المفهوم الغربى الغازى التعمير واقامة المنشآت السكنية التى تسمى مستعمرات . فالاتجاه نحو اعتبار الغزو نوعا من التعمير والتقدم بالأرض موضع الاحتلال اتجاه عام فى تجارب وعقليات الاحتلال جميعها بما فى ذلك تجربة الاحتلال الصهيوني .

غير أن التصور الصهيونى فى هذه النقطة يكتسب خصوصية واضحة رغم تأثره بالمنطق العام لتجارب الاحتلال الغربى . ذلك أن عملية الاحتلال تكتسب فى مقولة "الحقل المهجور" صفة عودة صاحب الحقل إلى حقله ليعيد تعميره بعد هجران .

وبما أن الحقل المهجور يمتلىء بالأشواك والنباتات البرية والحيوانات المفترسة والأفاعى والحشرات السامة فإن المهمة المطروحة على صاحب الحقل "العائد" تصبح مهمة تطهير الحقل . ولأن الأرض الفلسطينية تحتوى بين تضاريسها على شعب وليس على حيوانات وحشرات تأتى مقولة "نزع الصفات الانسانية عن العربى" لتلعب دورها التنفيذى فى تسهيل القضاء عليه وطرده من الحقل الصهيونى المزعوم .

تسهيل الارهاب : وعلى الفور بدأت صورة سلبية للانسان العربى تتجمع صفة صفة وملمحا بعد ملمح فى بطون الأدب العبرى والفكرى الصهيونى لكى تكون فى نهاية الأمر صورة تثير الاستخفاف والاستهانة فى عقل الصهيونى المهاجر ليشعر أنه لا يواجه شعبا قادرا على المقاومة والمواجهة بل انه يواجه كائنات متخلفة هشة يمكن قمعها والسيطرة عليها من ناحية ولا يثير التنكيل بها أو ابادتها أية مشاعر بالذنب فى نفوس الغزاة من ناحية أخرى .

وهكذا تظهر صفات المكر والخداع والخبث والتخلف والغدر والجبن فى ثنايا كتب الأدب الصهيونى مشفوعة بملامح وبصفات الحيوانات لترسم صورة للشعب الفلسطينى تجعله فريسة سهلة للإرهاب فى العقل الصهيونى وتجد الصورة تطبيقات لها فى مجال السياسة والعمل العسكرى ليستخدمها صراحة أحد رؤساء أركان الجيش الاسرائيلى فى وصفه لابناء الشعب الفلسطينى بأنهم خنافس سامة لا تستحق سوى أن تنحشر فى زجاجة ليأكل بعضها بعضا على نحو مابينا فى واقعة الجنرال إيتان .

مصير المقولة

وكما بادت وتلاشت مقولة "الأرض الفراغ" فى مواجهة الواقع الحى لوجود الشعب الفلسطينى مع مطلع القرن العشرين فهاهى مقولة « نزع الصفات الانسانية عن العربى » تبيد هى الأخرى ليثبت الشعب فى ثورته الدائمة وتصميمه على المقاومة والقتال بما يملكه من حجارة أنه شعب

جدير بالحياة قادر على إلغاء المقولات الصهيونية وليس الاستسلام لها ولارهابها كما توقع الجنرال إيتان ولا شك أن ثورة هذا الشعب ستضع الاستراتيجية الفكرية والأدبية والسياسية التى يطبقها الجيش الاسرائيلى فى مأزق لا تحسد عليه بعد سقوط أحد أهم ركائزها الممثلة فى الصورة السلبية المرسومة بهتانا للعربى الفلسطينى .

فى هذا الكتاب من سلسلة "نحن وهم" التى تصدرها « مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر » بدولة الامارات العربية المتحدة تحديا للأطماع الصهيونية ومخططاتها الفكرية والسياسية والعسكرية وإثباتا لصفات الأصالة والقدرة على المقاومة واستعادة هذه الأمة لوحدتها ومقومات نهضتها .. فى هذا الكتاب يجد القارىء دراسة علمية مفصلة لما تضمره بطون كتب الأدب الصهيونى من مخططات إرهابية ضد الشخصية العربية لكى نعرف ماذا يريدون "هم" بنا ونعرف مايجب أن نفعل "نحن" تحديا ومقاومة .

ويسعدنى أن أقدم للقارىء رسالة الدكتوراه التى تمثل جانبا هاما من نضالنا العلمى فى مؤسسات مصر العلمية وهى للدكتور محمود صميدة الذى اعتز به تلميذا من قبل وزميلا من بعد .

القاهرة فى ١ / ٥/ ١٩٨٨

دكتور إبراهيم البحراوى
رئيس وحدة الدراسات الاسرائيلية
مركز بحوث الشرق الأوسط
جامعة عين شمس

صـــورة الشخصيـــة العربيـــة الفلسطينية فى الأدب العبرى الحديث

نظرا لأن الشخصية العربية الفلسطينية كانت عنصر التحدى الرئيسى الذى إحتكت به السلطات الاسرائيلية فى واقعها الاستعمارى بفلسطين ، فقد عمد اليهود إلى نزع هوية هذه الشخصية حتى يمهدوا لفكرتهم التى روجها الروائى الصهيونى إسرائيل زينجويل "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" .

ولذلك وظفت الامبريالية الصهيونية الأدب الاسرائيلى لخدمة هدفها الأساسى وهو إبادة الشعب الفلسطينى ، حتى يقوم الأدباء بوصف العرب الفلسطينيين بأحط الصفات وأقذرها ، وبأنهم وباء لا يصدر عنهم إلا كل أذى وضرر حتى يهيئوا الاسرائيليين نفسيا لإبادة هذا الشعب .

ومن هذا المنطلق حرص الأدباء الاسرائيليون رغم اختلاف نشأتهم على تشويه صورة العربى الفلسطينى وتحقيرها وإظهارها فى صورة بشعة كوسيلة لتبرير مايقوم به الاسرائيليون من أعمال إرهابية ضد العرب وحتى يبرروا لأنفسهم مطاردته ومعاملته بقسوة وعنف وطرده من أرضه وكذلك حتى يظهروا تفوق الشخصية اليهودية على الشخصية العربية . وهذا يتضح من خلال هذه الدراسة التى خلصنا منها إلى مايلى :

١ ـ إن صورة العربى الفلسطينى فى الفكر الصهيونى والأدب العبرى النثرى فى بداية هذا القرن ، وفى المفهوم الاسرائيلى بعد ١٩٤٨ تتطابق تماماً مع الصورة التى رسمها أدباء القصة القصيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) لهذه الشخصية والتى تحددت فى نموذجى البدوى والفلاح مع تجاهل جوانب الأصالة فى هاتين الشخصيتين . وهذه الصورة هى صورة شخصية البدوى التى الصقوا بها صفات سلبية

عديدة رغم ماتملكه هذه الشخصية من تراث غنى بالعادات والتقاليد الأصيلة التى تتميز بها بين بقية النماذج البشرية .

وبعد تنفيذ وعد بلفور وإقامة الدولة اليهودية وصف الفلسطينى المقاتل من أجل حقوقه المشروعة بأنه إرهابى ، وجبان ، ومتوحش ، ويثير الرعب وأنه لا يقوم بعملياته العدوانية إلا فى الليل أما فى النهار فإنه يرتدى لباس المسكنة والضعة ، كما أنه محتقر ومزدرى بحيث لا يمكن لأحد أن يأخذه مأخذ الجد ، ولديه تراث عريق من شهادة الزور ، وتراث أعرق من القتل والاجرام صار طبيعة ثابتة فيه ، وأسلوب شيطانى من التملق والغدر هذا بالاضافة إلى أنه متوحش يعيش مثل الحيوانات ولا يفهم مايدور من حوله . إنه مجرد مخلوق غريب يرتدى جلبابا ممزقا وغطاء قذرا للرأس ، وتلتف زوجته بثوب أبيض ، ويسير أطفاله حفاة وليس من مجال الخطأ تحديد هويته فكل شىء يتعلق به ماديا كان أو معنويا ينطق بصفاته . فهو ليس قذرا فحسب بل هو أيضا لص ، وكذوب وكسول ، وعدوانى .

٢ ـ إتجه عدد من الأدباء إلى وصف العرب بصفات دميمة على ألسنة العرب أنفسهم حتى يؤكدوا شيوع هذه الصفات بين العرب وحتى يظهروا عدم إحترام العرب لأنفسهم واحتقارهم لذاتهم .

٣ ـ إن تناول الشخصية العربية الفلسطينية بالوصف من جانب الأدباء الاسرائيليين لا يعكس تجربة أدبية صادقة ناتجة عن الاحتكاك المباشر بعرب فلسطين وإنما ينعكس إستجابة من الأدباء الاسرائيليين لمعطيات التصور الاسرائيلى للشخصية العربية ، ومحاولة ترسيخ هذا التصور عن طريق اللجوء إلى إختيار أكثر النماذج فى المجتمع العربى تخلفا وعرضها على القارىء الاسرائيلى على اعتبار أنها النموذج الممثل للشخصية العربية الفلسطينية .

٤ ـ أشار عدد من الأدباء اليهود ـ خلال الفترة موضوع الدراسة ـ إلى القيم الدينية عند العرب الفلسطينيين وكانت إشاراتهم فيما يتصل بمجال العبادة مقصورة على وصف المظاهر الخارجية فقط

وحاولوا إرجاع روح التدين عند العرب إلى عجزهم أمام المواقف المختلفة وعدم قدرتهم على اتخاذ القرار .

٥ - بالغ الأدباء الاسرائيليون فى وصفهم لمحاسن طبيعة الأرض الفلسطينية وربما يرجع ذلك إلى أنهم يرون فيها جنتهم الموعودة ويكون وصفهم بمثابة الدعاية ليهود الشتات حتى ينجذبوا إلى أرض فلسطين . ولقد إصطدم هؤلاء الأدباء أثناء تطرقهم لوصف الطبيعة بالواقع الحى - سواء بوعى أو بغير وعى - الذى لا يمكن لأحد انكاره وهو أن الفلاح الفلسطينى كان مرتبطا بأرضه ، وكان حريصا على زراعتها ، وعلى أن يجعلها جنة خضراء .

٦ - أشار الأدباء الاسرائيليون إلى الأعمال التى يقوم بها العرب وكانت اشاراتهم منصبة على نمطى الشخصية اللذين حظيا بالوصف وهما البدوى والفلاح ، وحتى إذا تخطت الاشارات حدود هذين النمطين فإنها لا تخرج عن الإطار العام لهما . فإذا كانت الاشارة إلى عربى يعمل فى مجال التجارة نجده يعمل فى تجارة الغلال الزراعية التى ينتجها الفلاح من الأرض أو أعمال القطف والانتقاء والتعبئة التى ترتبط بالزراعة ، وإذا كانت الاشارة إلى عربى يعمل عملا يدويا نجده لا يقوم إلابمايسمونه بالأعمال الحقيرة المضنية .

ولقد حرص الأدباء الاسرائيليون على أن ينسبوا للعربى الفلسطينى الأعمال البسيطة حتى يعطوا انطباعا بأنه لا يصلح للقيام بأعمال تتعلق بالفكر ، ولا بصنع السياسة ، ولا بالأعمال الثقافية بصفة عامة ، فلا نكاد نلمح فى إشاراتهم مدرسين ، ولا مفكرين ، وموظفين فى المراكز العليا من الإدارة ينتمون إلى صفوف العرب الفلسطينيين .

٧ - سلكت السلطات الاسرائيلية أساليب البطش والإرهاب فى أعقاب اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية للسيطرة على أراضى فلسطين مستفيدة من الهزيمة العربية ومن حالة الذعر والذهول التى استحوذت على المواطنين آنذاك ، وثبت ذلك من خلال النماذج الأدبية حيث تشير صور هذه الأساليب إلى أن معاملة اليهود لعرب فلسطين تتسم بالقسوة والعنف والاستهانة

والاستهزاء بآدميتهم ، كما أن اليهود يشعرون باللامبالاة تجاه العرب ، ويقومون بممارسة أعمال التفتيش فى بيوتهم وممتلكاتهم رغم أنهم يعرفون أن هؤلاء العرب عزل من السلاح وذلك بهدف بث الذعر والرعب فى نفوسهم وهذه المعاملة لا تعبر عن تصرفات أشخاص بذاتهم فحسب ولكنها تعبر أيضا عن إرادة السلطة الاسرائيلية التى تمثل موقفا عدائيا متطرفا تجاه هؤلاء العرب .

كما صور الأدباء الاسرائيليون عرب فلسطين على أنهم يعيشون فى حالة من الرعب الدائم والفزع الرهيب لأنهم معرضون فى أى وقت للضرب والطرد والقتل والإبادة ، كما أن ممتلكاتهم معرضة للسلب والنهب والحرق والنسف بالاضافة إلى أنهم عاشوا فى ظل قوانين الحكم العسكرى غرباء فى أرضهم ، محرومين من كافة حقوقهم يفتقرون إلى رعاية السلطات الاسرائيلية .

إن النماذج الأدبية التى تم تناولها بالدراسة والتحليل خلال هذا الكتاب كتبت بعد ١٩٤٨ ، بعد أن استطاعت إسرائيل أن تفرض وجودها فى فلسطين ، وأصبحت هناك قضية أساسية وهى قضية الشعب الفلسطينى الذى طُرد قهرا وقسرا من أرضه ، وهذه الحقيقة لم تكن غائبة عن الأدباء ، ورغم ذلك فإنه من الملاحظ أن هذه النماذج لا يوجد فيها أى تصور للعلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين ، وإذا كانت تعكس شيئا فى الواقع فإنها تعكس الرغبة الشديدة فى تجاهل وجود الشعب الفلسطينى من ناحية ، وتجاهل أن لهذا الشعب حقوقا مشروعة مغتصبة من ناحية أخرى . إذ أن التطرق لمعالجة الشخصية العربية يتم دائما على أساس أنها شخصية هامشية فى الحياة اليهودية على أرض فلسطين ، وأنها أدنى بكثير من الشخصية الاسرائيلية ، فهى من وجهة نظرهم مجرد مخلوق يجب التخلص منه بشكل أو بآخر . وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد بين ثنايا بعض أعمال هؤلاء الأدباء اشارات واضحة إلى الحق الفلسطينى فى الأرض ، وإلى تمسك الفلسطينى بهذا الحق والاستماتة فى سبيله ، وسواء بوعى أو بلا وعى فإن بعض الأعمال الأدبية أشارت إلى أن هذا سيؤدى إلى خلق نموذج عربى فلسطينى جديد سيمثل طرحا جديدا للشخصية العربية الفلسطينية ، وهذه الشخصية النبوءة لن تكون مستسلمة للارهاب ولن تنحنى أمام سطوة القهر الاسرائيلية بل ستكون

مشحونة بعبء الأجيال السابقة وتحمل بين جنباتها صرخة الثأر لاستعادة الوطن السليب ، تلك الصرخة التى لن تكون صرخة حيوان مطارد خائف بل زئير نمره لا يزيدها الألم إلا عنادا واصرارا .

دكتور محمود صميدة

خطة البحث

يتناول هذا الكتاب دراسة الشخصية العربية الفلسطينية فى القصة القصيرة الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) لتوضيح كيف صور أدباء القصة القصيرة الشخصية العربية الفلسطينية فى كتاباتهم ، ومدى التطابق بين الصورة الأدبية والواقع ، وإلى أى حد تخدم هذه الكتابات السلطات الاسرائيلية فى ممارسة أساليبها الإرهابية ضد الفلسطينيين .

وهذه الدراسة كانت موضوع رسالتى التى حصلت بها على درجة الدكتوراه . وكانت مسبوقة بدراسة تاريخية تناولت من خلالها تاريخ الوجود العربى فى فلسطين من خلال ثلاثة فصول :

الفصل الأول الوجود العربى فى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ ، ويحتوى على مبحثين :

المبحث الأول :

الوجود العربى فى فلسطين قبل الاسلام : وتناولت فيه جغُرافية فلسطين من حيث الموقع ، والتقسيم الجغرافى ، وكذلك التسميات التى أطلقت على فلسطين ، وظروف إطلاق كل اسم ، والشعوب التى أقامت فيها وركزت بصفة أساسية على الموجات السامية العربية بدءاً بالموجة التى حدثت عام ٣٥٠٠ ق . م ، وانتهاء بالموجتين الساميتين العربيتين الكبيرتين عام ٢٥٠٠ ق . م ، وموجة العرب المسلمين فى القرن السابع الميلادى حيث كانت هذه الموجات هى السبب فى جعل العراق وبلاد الشام بما فيها فلسطين بلادا عربية من سكانها وثقافتها منذ ماقبل التاريخ .

المبحث الثانى :

الوجود العربى فى فلسطين بعد الاسلام وتعرضت فيه لوضع فلسطين فى ظل الاسلام وماتمتع به العرب والأقلية اليهودية من معاملة طيبة ، وبعد ذلك وضع فلسطين فى ظل الحكم العثمانى وماتركه هذا الحكم من

آثار عميقة فى تكوين المجتمع الفلسطينى حيث أسهم بدرجة كبيرة فى تخلف الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية . ثم انتقلت إلى تناول وضع فلسطين فى ظل الانتداب البريطانى وكيف ساهمت بريطانيا فى التمهيد للسيطرة الصهيونية على فلسطين .

الفصل الثانى :

الاستعمار الاستيطانى الصهيوني فى فلسطين حتى عام ١٩٤٨ :

وأشرت فى هذا الفصل إلى موجات الهجرة الخمس التى توافدت على فلسطين منذ ١٨٨٢ وحتى ١٩٣٨ وما مارسته الصهيونية فى سياستها التنفيذية من جهود سياسية ، وعسكرية ، واقتصادية مدعمة بجهود بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية وبعد إعلان إنتدابها على فلسطين من ناحية ، واستغلال نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية على المسرح السياسى العالمى من ناحية أخرى .

الفصل الثالث :

عرب فلسطين تحت السيطرة الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) :

وتناولت فى هذا الفصل مابذلته دولة إسرائيل عن طريق مؤسساتها من جهود للسيطرة على أراضى عرب فلسطين وما اتبعته من أساليب البطش والارهاب والاكراه فى أعقاب اتفاقيات الهدنة مع الدولة العربية مستفيدة من الهزيمة العربية ومن حالة الذعر والذهول التى استحوذت على المواطنين آنذاك . ثم تعرضت بعد ذلك لوضع العرب فى ظل هذه الأساليب التعسفية من حيث مناطق التمركز ، ونوع السكن ، والطوائف الدينية ، وكذلك وضعهم إداريا ، وسياسيا ، وزراعيا ، وعماليا ، وتعليميا .

وفى الحقيقة اننى تجنبت تناول الجزء التاريخى من خلال هذا الكتاب حتى لا أثقل على القارىء . واكتفيت بالدراسة الأدبية معتمدا على أن النصوص الأدبية ثرية بالشواهد التى لا تحتاج إلى دلائل تاريخية . وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيم الكتاب إلى بابين رئيسيين وذلك على النحو التالى :

الباب الأول :

القصة القصيرة ونماذج الأدباء الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية (١٦٤٨ ـ ١٩٦٧٠) وينقسم إلى فصلين :

الفصل الأول :

القصة القصيرة فى الأدب العبرى الحديث وقدمت فى هذا الفصل تعريفا للأدب العبرى الحديث والأجيال المختلفة لهذا الأدب ، وتعريفا لمفهوم القصة القصيرة فى الأدب العبرى الحديث ومميزاتها وأبرز كتابها منذ عصر الهسكالاه وحتى ١٩٤٨ ، أما بعد ١٩٤٨ فقد أشرت إلى الاتجاهات الأدبية لكتاب القصة القصيرة والتأثيرات التى أثرت عليهم والاسلوب الذى استخدموه فى كتاباتهم وكذلك الصفات التى اتسمت بها القصة القصيرة .

الفصل الثانى :

نماذج الأدباء الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) . ونظرا لأن هذه الفترة الزمنية قد حوت العديد من أدباء القصة القصيرة . الذين تناولوا الشخصية العربية فى كتاباتهم فقد وقع اختيارى على أحد عشر أديبا منهم وهم : أشر براش وحاييم هزاز ، ويوسف أريخا ، ويوسف حنانى ، ومردخاى طبيب ، ويزهارى سميلانسكى ، وأهارون ميجد ، وموشيه شامير ، واسحق أورباز ، وناتان شاحم ، وعاموس عوز لأقدم لهم وأبين اتجاهاتهم الأدبية وذلك من خلال دراسة النماذج الأدبية التى اخترتها من انتاجاتهم وعددها أربع عشرة قصة قصيرة .

الباب الثانى :

الشخصية العربية الفلسطينية من خلال نماذج القصة القصيرة الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) وينقسم إلى ثلاثة فصول على النحو التالى :

الفصل الأول :

صورة الشخصية العربية الفلسطينية ويضم مبحثين :

وهما السمات الخارجية والطبائع والقيم الدينية وقدمت لهذين المبحثين بمقدمة أشرت فيها إلى صورة الشخصية العربية الفلسطينية فى الفكر الصهيوني ، وفى الأدب الاسرائيلى فى بداية هذا القرن وفى المفهوم الاسرائيلى ، واعتمدت فى ذلك على آراء المفكرين الصهاينة وكذلك على دراسات سابقة للشخصية العربية الفلسطينية .

الفصل الثانى :

وصف الطبيعة والأعمال التى يقوم بها العرب ، ويحتوى على مبحثين : الأول وصف الطبيعة ،

والثانى الأعمال التى يقوم بها العرب .

وقدمت لهذين المبحثين بمقدمة أشرت فيها إلى الطبيعة والأعمال التى يقوم بها العرب كما هو فى الواقع وذلك حتى نقف على مدى التشابه بين الصورة الأدبية والحقيقة الواقعية .

الفصل الثالث :

معاملة السلطات الاسرائيلية للعرب وأوضاعهم فى ظلها . وينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث :

الأول وصف معاملة السلطات الاسرائيلية للعرب .

والثانى أوضاع العرب فى ظل السيطرة الاسرائيلية والثالث نبوءة المقاومة الفلسطينية .

وقدمت لهذه المباحث بمقدمة أشرت فيها إلى الأساليب التى انتهجتها السلطات الاسرائيلية تجاه عرب فلسطين ، وعمليات الابادة والبطش والتدمير ، وكذلك وضع عرب فلسطين فى ظل السيطرة الاسرائيلية .

وفى النهاية فإن هذا العمل العلمى يأتى فى صورته المتكاملة نتاجا للتوجيهات التى حبانى بها كل من الاستاذ الدكتور رشاد الشامى استاذ الدراسات الاسرائيلية بجامعة عين شمس الذى تولى الاشراف على الرسالة والاستاذ الدكتور ابراهيم البحراوى الذى قام بمتابعتى العلمية خلال عام ١٩٨٣ أثناء وجود المشرف بالخارج .

الباب الأول

القصة الاسرائيلية القصيرة ونماذج الأدباء الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية (١٩٤٨ - ١٩٦٧)

الفصل الأول

القصة الاسرائيلية القصيرة في الأدب العـــبرى الحـديث

الادب العبـرى الحديـث :

نظرا لأن الأدب العبرى خلال حركة الهسكالاه[1] فى نهاية القرن الثامن عشر ـ كان مرتبطا ومعبرا عن أهدافها فإنه يعتبر نقطة البداية بالنسبة للأدب العبرى الحديث الذى تميز بأنه أدب علمانى حول الاتجاه الأدبى العبرى من الاتجاه الدينى الى الاتجاه العلمانى وتأثر الى حد كبير بالاداب الأوربية فى ذلك العصر[2] ، وذلك طبقا لما كانت تهدف اليه الهسكالاه من ضرورة الانفتاح على علوم الغرب ، فنجد أدباء اليهود فى هذه الفترة وهم رائدو الحركة الفكرية الذين أخذوا على عاتقهم مهمة تحرير اليهود اجتماعيا ودينيا وفكريا يحاكون أسلوب كتاب الغرب وكانت مادة كتاباتهم مستقاة من الكتاب المقدس وكذلك من الآداب الأوربية الحديثة . وقد ظهرت كتابات نثريه كثيرة تضمنت مقالات فى مختلف العلوم وكتابات فى النحو والمبادىء الدينية الأخلاقية وتعليقات على الكتاب المقدس وروايات وقصص[3] .

أما أدب الحركة القومية (١٨٨١ ـ ١٩١٧) فقد تميز بأنه أدب علمانى على الرغم من وجود العنصر الدينى فيه أحيانا كباعث تاريخى على الروح القومية . وفى هذه الفترة رأى الأدباء ضرورة رفع مستوى الأدب اليهودى الى مستوى الآداب الأوربية الحديثة ، ولذلك تشبعوا بروح تلك الاداب وتأثروا بالتيارات الفكرية السائدة فبدأ الأدب يعبر عن واقع اليهود خارج الجيتو بعد أن تغيرت مفاهيمهم ، كما دعى الى إثارة الحماس تجاه إقامة وطن قومى لليهود وإحياء اللغة العبرية كلغة قومية .

ولم يتجه أدباء ذلك العصر الى نقد الشخصية اليهودية وإبراز عيوبها كما فعل أدباء الهسكالاه بل اهتموا بابراز نواحي الجمال فيها ، فبدأ الشعراء والكتاب يدرسونها ليستخلصوا مميزاتها ونواحى المثالية فيها ، كذلك صور أدباء القومية شخصية الحسيد والصديق على أنها مثالية وذلك على عكس الصورة السيئة التى رسمها أدباء الهسكالاه لهاتين الشخصيتين .

وقد أدى كل ذلك الى خلق تيار جديد فى أدب ذلك العصر وهو الأدب الخيالى[٤] كما ظهر فى ذلك العصر الأدب الشعبى حيث وجه الأدباء اهتمامهم الى دراسة وتحليل ظروف الفرد اليهودى العادى الذى أهمل فى أدب الهسكالاه ، واهتموا بتجسيد التراث اليهودى القديم ، وقد تجلى فى ذلك العصر الانتاج الشعرى فى قدرته على الخلق والابداع ، فتناول الطبيعة والانسان ومحاولة إظهاره على أنه شخصية سمحة إنسانية غير متعصبة ، ويمثل هذا العصر حاييم نحمان بياليك (١٨٧٣ ـ ١٩٣٤) ، وشاؤول تشر نحوفسكى (١٨٧٥ ـ ١٩٤٣) ، وشموئيل يوسف عجنون (١٨٨٨ ـ ١٩٧٠) .

وبصفة عامة ، فان التحول التاريخى فى الموضوع الرئيسى للأدب العبرى من وصف اليهود خارج فلسطين الى الدعوة الى استيطانهم فيها ، ثم وصف الواقع الاسرائيلى يبرز ملامح خاصة بالأدب العبرى الحديث حيث نجد كتابا ينتمى عملهم الأدبى الى أجيال مختلفه سواء بالنسبة للموضوعات أو الأسلوب[٥] .

وعلى هذا الأساس فانه يمكن تقسيم مراحل هذا الأدب الى خمسة أجيال مختلفة إستنادا الى التقسيم الذى أشار اليه جرشون شاكيد حيث يوجد تقارب كبير جدا بين المجموعات الخاصة بالأجيال المختلفة أكثر من التقارب الموجود بين المجموعات التى ظهرت فى جيل واحد وذلك على النحو التالى :

أ ـ الجيل الأول :

بدأت الانتاجات الأدبية لهذا الجيل فى الثمانينيات واستمرت حتى عشرينيات هذا القرن . ومعظم كتاب هذا الجيل عاشوا وماتوا فى المهجر وكتبوا بالبيدش والعبرية ، واستمدوا وحيهم من عواصف النقب (١٨٨١) ، ومن الاضطرابات التى حدثت فى روسيا ، والهجرات البشرية التى حدثت فى بداية هذا القرن الى الولايات المتحدة الامريكية

وبقية بلاد العالم ومن بينها فلسطين ، ويمثل هذا الجيل : مندلى موخير سفاريم (١٨٣٥ ـ ١٩١٧) ودافيد فريشان (١٨٥٩ ـ ١٩٢٢) ، وميخا يوسف برديشفيسكى (١٨٦٥ ـ ١٩٢٢) .

وفى نفس الوقت تقريبا ظهر فى فلسطين أدب رجال الهجرة الأولى والمستوطنين القدامى ، ولا يوجد فرق كبير بين هذا الأدب وادب المجموعة التى ظهرت فى «المنفى» ، فاذا كان هؤلاء قد حاولوا كشف الوضع فى «المنفى» فإن أولئك حاولوا كشف الوضع فى فلسطين ، ومن أبرز الكتاب الذين ظهروا حينئذ فى فلسطين زئيف يعبتس (١٨٤٨ ـ ١٩٢٤) .

ب ـ الجيل الثانى :

بدأ هذا الجيل فى الظهور فى نهاية القرن التاسع عشر ، ومصير هذا الجيل يختلف تاريخيا عن الجيل الأول ، وظهرت معظم انتاجاته وأفضلها فى «المنفى» وهاجر معظمه الى فلسطين . وكان كتاب هذا الجيل بناة الأدب فى التجمعات اليهودية مثل أوديسا ، ووارسو ، وهم الذين أخذوا على عاتقهم اقامة مركز للأدب العبرى فى فلسطين . ويمثل هذا الجيل حاييم نحمان بياليك (١٨٣٧ ـ ١٩٣٤) ، ويوسف حاييم بريز (١٨٨١ ـ ١٩٢١) ، واسحق دوف بكوفيتس (١٨٨٥ ـ ١٩٦٧) ، وجرشون شوفمان (١٨٨٠ ـ ١٩٧٢) ، وأورى نيسان جنسين (١٨٧٩ ـ ١٩١٣) . لقد كان هناك تقارب عاطفى كبير بين كتاب هذا الجيل ، وسمات واضحة على إنتاجاتهم تميز عصرهم وهى : التشرد ، والهجرة ، والانعزاليه ، وقد استمدوا وحيهم من الاضطرابات التى حدثت فى بداية هذا القرن ، والهجرة الفلسطينية وبداية الاستيطان فى فلسطين .

جـ ـ الجيل الثالث :

وهو قريب جدا من الناحية البيوجرافيه والتاريخية للجيل السابق ويسمى أدب هذا الجيل بأدب «الدياسبورا» وبدأ كتاب هذا الجيل نشاطهم فى فلسطين ، وكانوا قد هاجروا اليها فى بداية القرن العشرين ، وهم مرتبطون بالهجرة الثانية ومعظمهم أدباء مهاجرون يصفون المواجهة بين المهاجر وواقعه الجديد ، أو بين «اليشوف» القديم و «اليشوف» الحديث . ومن أبرز كتاب هذا الجيل : شموئيل يوسف عجنون (١٨٨٨ ـ ١٩٧٠) ، ودافيد قمحى .

وبصفة عامة فإن أدب هؤلاء الكتاب قد اصطبغ باللون اليهودى ، وهم يعتبرون من أبرز المتحدثين عن الماضى كما يعتبرون بحق خالقى المدرسة الحديثة للأدب ، وقد استمدوا وحيهم من الواقع اليهودى الجديد فى فلسطين .

د ـ الجيل الرابع :

ظهر هذا الجيل فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ومعظم أدبائه هاجروا الى فلسطين مع موجات الهجرة الثالثة والرابعة ، وتميز أدب هذا الجيل باندماج عنصرى الأيديولوجية والتعبير الأدبى ، ويمثل هذا الجيل مائير يعارى ، وحاييم هزاز (١٨٩٨ ـ ١٩٧٣) وتمتد الفترة الرئيسية لهذا الجيل خلال الحربين العالميتين ومرحلة الاستيطان اليهودى فى فلسطين .

هـ ـ الجيل الخامس :

معظم أبناء هذا الجيل من أبناء فلسطين ، وقد ظهر الشباب منهم فى نهاية الثلاثينيات ، بينما ظهر الأصغر منهم فى الخمسينيات . وهذا الجيل يختلف عن الاجيال السابقة من حيث ميله الى نقد التقاليد اليهودية وأحيانا الحركة الصهيونية . «المنهج» بالنسبة لأدباء هذا الجيل لم يعد أكثر من مجرد حقيقة تاريخية لاتؤثر على فكرهم الأدبى ، وبالتالى لم تعد فلسطين بالنسبة لهم بلد الهجرة . ومع ذلك فقد شبوا على حركة الاحياء القومى . وعبروا عن صلتهم المباشرة بها . والموضوع الرئيسى لهذا الجيل هو تدبير المراكز اليهودية فى أوربا ، وحرب ١٩٤٨ ، وإقامة الدولة ، وتجربة بناء الشخصية اليهودية من جديد ومايعتريها من صراع نفسى داخلى وماتواجهه من عوامل خارجية[٦] . وقد التزم هذا الجيل فى صياغة انتاجاته الأدبيه بالبعد عن إبراز أى نوع من التناقض بين الأيديولوجية الصهيونية وتجربة الفرد فى واقع الحياة وتميز كذلك بالسعى نحو خلق المبررات لكل القضايا التى واجهت الصهيونية سواء كان ذلك تبرير عدم الاندماج اليهودى فى مجتمعات الشتات اليهودى ، أو تبرير اغتصاب فلسطين من العرب ومحاربة الانتداب البريطانى . وينتمى الى هذا الجيل يزهار سميلانسكى وبنيامين تموز ، وموشيه شامير وأهارون ميجد ، ودافيد شحر وعاموس عوز .

القصة القصيرة فى الأدب العبرى الحديث

تعريف :

القصة القصيرة من أكثر الأشكال الأدبية لفتا للانتباه ، لأن ثراءها الكيفى وتنوعها الكمى يمنحانها مكانة متميزة إلى الدرجة التى تبدو معها وكأنها أكثر الأشكال الأدبية جذبا لاهتمام المبدعين وإثارة لاهتمام المثقفين . وأخذت تزاحم الشعر منذ عهد غير قريب ، تقتطع من جمهوره القتليدى العريض فى الصحيفة والمجلة وتستأثر دونه باهتمام الكتاب ، وتحقق وثبات متنوعة بارزة فى مستويات الرؤية .

وترجع هذه المكانة المتميزة الى ماتنطوى عليه القصة القصيرة من تكثيف وتركيز يصلانها بالشعر ولكنها تتميز عنه بما يضيفه التركيز والتكثيف على عناصر القص المتميزه بما فيها من أماكن وأزمته وأحداث وشخصيات ، وماتنطوى عليه هذه العناصر من أبعاد دراميه تقترن بالتوتر[٧] . كما ترجع هذه المكانة إلى أنها إيقاع سريع لتحولات العصر ، وأنها أصلح الأشكال الأدبية على التجسيد ومن ثم التوصيل . وقد حملت فى تطورها الفنى سمة واضحه تتمثل فى تخطى الشكل التعبيرى القائم مع الإفادة الهائلة من حركة تطور الفنون التشكيلية والتعبيرية الأخرى[٨] .

وتوصف القصة القصيرة فى مجال الانتاج الشعرى على أنها نوع ملحمى ، واذا كان الشعر يعبر اساسا عن طموح الشاعر وحيله فإن القصة القصيرة تعبر عن واقع حياته ولذلك فان الذى يفرق القصة عن الملحمة الشعرية ليس موضوع التكنيك الفنى ولكن الفرق يكمن فى المادة الملحمية أكثر من الصورة الملحمية ذاتها[٩] .

والقصة القصيرة عبارة عن أنتاج أدبى ذى حجم صغير وأحيانا يكون صغيرا جدا أى أنها أصغر من الرواية القصيرة ومن الرواية ، وبسبب هذا الصغر فانه يبرز فيها أحد العناصر الرئيسية الموجودة فيها مثل الصورة ، والحبكة ، والخلفية وذلك من خلال ضغط بقية العناصر ، وأحيانا يحدث توازن بين هذه العناصر بحيث تظهر جميعها فى صور موجزة الى أقصى حد[١٠] .

ويحدث أن تصور القصة القصيرة فترة زمنية صغيرة تكون جوهرية فى حياة البطل أو فى حياة الأبطال ، كما يحدث أن تغطى فترة زمنية طويلة جدا من خلال الحوار الواضح ولكن تظهر فيها فقط ساعات الذروة كثيرة التوتر وبينها توجد «فترات ميتة» تبدو من وجهة نظر الكاتب غير ذوات أهمية[١١] .

ولذلك فإن القصة القصيرة لعبت دورا هاما فى الأدب العبرى الحديث حيث وسعت دائرة قارئى اللغة العبرية وكشفت عن المشاكل الحقيقية للمجتمع اليهودى خارج وداخل اسرائيل[١٢] .

القصة القصيرة فى عهد الهسكالاه :

ظهرت البراعم الأولى للقصة العبرية القصيرة فى بداية القرن التاسع عشر وذلك مع انتقال مركز الهسكالاه الى جاليسيا وروسيا (١٨٢٣ ـ ١٨٥٠) ومن أبرز كتابها يوسف بريل واسحق ارثر وايزيك مائير وكانت تتميز بما يلى :

١ ـ كانت القصص فى صورة رسائل اقرب الى الرواية منها الى القصة القصيرة .

٢ ـ كانت اساليب الكتابة مشابهة لأساليب العهد القديم .

٣ ـ تناولت القصص وصفا لحياة الصالحين ورجال الدين .

٤ ـ تناولت بعض سير الحياة الشخصية .

٥ ـ تناولت نقد أساليب التعليم القديمة .

٦ ـ تناولت وصف للمدينة اليهودية فى المهجر .

أما الفترة التى تلت ذلك من عصر الهسكالاه (١٨٥٠ ـ ١٨٦٠) والتى تعتبر فترة الانتاج القصصى العبرى الأساسية فتبدأ بظهور افراهام مابو (١٨٠٨ ـ ١٨٦٨) أول من كتب الرواية الأصيلة فى الأدب

العبرى الحديث[١٣] ، وظهرت فيها القصة القصيرة متميزة بما يلى :

١ ـ قوة التخيل إزاء إقامة عالم جديد ذو طابع قومى .
٢ ـ تناول الموضوعات ذات الطابع الملحمى .
٣ ـ استعراض الاحداث التاريخية فى صور رمزية .
٤ ـ وصف حياة اليهود فى المهجر .
٥ ـ الواقعية .
٦ ـ وصف أساليب الحياة اليهودية القديمة بكل ألوانها .

ومن ابرز كتاب هذه الفترة : يهوداليف جوردون ، وبيرتس سمولينسكن ، ورأوبن أشربرودس .

أما الفترة الأخيرة من عصر الهسكالاه (١٨٦٠ ـ ١٨٧٠) والتى تميزت بالواقعية والرومانسية والتى تبدأ بمندلى موخير سفاريم (١٨٣٥ ـ ١٩١٧) فقد تميزت القصة القصيرة خلالها بما يلى :

١ ـ الواقعية والرومانسية .
٢ ـ كانت الانتاجات قومية من الدرجة الاولى .
٣ ـ وصف الواقع اليهودى (فى اوكرانيا وليتوانيا) .
٤ ـ التركيز على وصف الجو الذى يعيش فيه اليهودى فى المهجر اكثر من وصف اليهودى نفسه .
٥ ـ وصف الطبيعة
٦ ـ التأثر بالكتابات الأوربية والروسية .
٧ ـ وصف الأبطال اليهود التاريخيين فى شكل ملحمى .
٨ ـ تناول حياة (اليشوف)
٩ ـ ظهور بعض القصص عن صهيون والخراب او السبى وصور من اضطهاد اليهود[١٤] .

واثناء مرحلة الانتقال من عصر الهسكالاه الى عصر الإحياء القومى (١٨٧٠ ـ ١٨٨١) تميزت القصة القصيرة بما يلى :

١ ـ كانت تأخذ طابع الأسطورة .
٢ ـ كانت المدينة اليهودية هى وحى أفكار الكتاب .
٣ ـ ركز الكتاب على وصف الحاضر .
٤ ـ وصف مراكز الهسكالاه والأجواء المحيطة بها .
٥ ـ المزج بين الموضوعية الشديدة والذاتية الطبيعية .
٦ ـ نقد الماضى والتعبير عن الرغبة فى التجديد .
٧ ـ ظهور قصص الحنين والشوق لفلسطين والقصص العاطفية

٨ ـ وصف الواقع الحسيدى .
٩ ـ وصف حالة اليهود اثناء الثورة الروسية .

وبرز من بين كتاب هذه الفترة : مردخاى زئيف فايربرج وشموئيل بن تسيون .

القصة القصيرة فى عصر الاحياء القومي اليهودى (١٨٨٠ ـ ١٩١٧) :

كانت الفترة التى سبقت قيام الحرب العالمية الاولى وقيام الثورة الروسية بعدها هى نقطة الانطلاق بالنسبة للقصة القصيرة حيث كاس القصص خليطا من وصف المهجر وفلسطين ، وسار معظم كتاب القصة القصيرة من ناحية الاسلوب والصورة الفنية فى ذلك العصر على النهج الذى كان موجودا من قبل . ومن هؤلاء الكتاب يوسف حاييم بربز ، وجرشون شوفمان ، واورى نيسان جنسين ، وحاييم هزاز وتميزت القصة خلال هذه الفترة بما يلى .

١ ـ التغلغل فى أعماق النفسية اليهودية عند الفرد العادى .
٢ ـ تصوير حياة ومشاكل الانسان اليهودى .
٣ ـ دراسة حياة الشخصية اليهودية وتحديد ملامحها .
٤ ـ التخلص من الاتجاه التعليمى والتهذيبى والجدلى .
٥ ـ لم يكن الابطال مجرد نماذج كما فى عصر الهسكالاه ، بل شخصيات تمثل الفرد العادى .
٦ ـ احتوت احتجاجا على الانظمة المختلفة فى الحياة اليهودية .
٧ ـ كانت تهدف الى تغيير واقع الحياة اليهودية تغييرا شاملا وإعادة بنائها على اسس سليمة[١٥] .

القصة القصيرة فى الفترة الفلسطينية (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) :

على الرغم من ان الخط الفاصل بين مايسمى « بالمنفى » وفلسطين كموضوع للادب العبرى ليس واضحا تماما ومن السهل المرور عليه بسرعة فانه يمكن القول بان القصة القصيرة كانت تتميز خلال هذه الفترة بما يلى :

١ ـ الكتابة عن المنفى ولكن المنفى كان مجرد جزء من صوره كاملة مركزة .. على الكفاح من اجل إحياء ثقافة علمانية فى فلسطين .
٢ ـ وصف المستعمرات اليهودية والمشكلة الاجتماعية الخاصة بها (مشكلة الحياة الطائفية)

٣ ـ تناول فلسطين كموضوع للوصف الادبى[١٦] ، حيث كانت بمثابة قاعدة للأدباء الشبان يستلهمون منها انتاجاتهم الأدبية[١٧] .

ومن كتاب هذه الفترة : يهودا يعارى ، واسحق شنهار .

القصة القصيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧):

ظهر بعد عام ١٩٤٨ جيل جديد من كتاب القصة القصيرة ، وهذا الجيل كله من الشباب ، حيث انهم ولدوا فى نهاية العشرينيات او بداية الثلاثينيات واذا كان معظمهم من موالد فلسطين فان منهم أبناء للأدباء الذين جاءوا مع موجات الهجرة الثانية والثالثة وحلموا بمجتمع جديد فى فلسطين ومنهم اخرون ولدوا خارجها ووصلوا اليها فى طفولتهم وكان يجمعهم شعور واحد وهو العمل على تثبيت دعائم الاستعمار الاستيطانى ، وكما يقول ليختنبوم فإنه شعور عنصرى أكثر من كونه شعور قومى[١٨] . إن اولئك وهؤلاء لم يعرفوا سوى ثقافة واحدة هى الثقافة العبرية الاسرائيلية . ولم يتعلموا سوى لغة واحدة هى العبرية (باستثناء قسط من الانجليزية التى تعلموها فى المدارس) اللغة التى رضعوها مع لبن إمهاتهم او التى تلفظوا بها فى ايام طفولتهم . واتصلوا جميعا منذ البداية بالمجموعة النشطة من اليهود التى كانت تطمع فى إقامة مجتمع انسانى جديد يقوم على الصدق الاجتماعى وحياة التعاون وهم الذين عاشوا منذ البداية فى الكيبوتس والكيبوتساه ، وبدأ هؤلاء الكتاب يصفون الحياة الجديدة ولم يكن هذا الوصف جميلا وحلوا كما انه ليس من خلال مشاعر الاعجاب والدهشة ولكنه بمثابة اسلوب طبيعى يكشف مجموعة المشاكل التى تحيط بالحياة الجديدة المتقلبة[١٩] .

ولقد تأثر هؤلاء الكتاب بموجات الأحداث القومية الكبيرة التى قادت الاستعمار الاستيطانى فى الاربعينيات ، الاحداث الحاسمة فى تاريخ الاستعمار الاستيطانى حيث انهار فى ذلك الوقت المركز اليهودى الكبير فى شرق اوربا من اساسه وانقطع الابناء فى فلسطين مرة واحدة عن حياة ابائهم خارجها ، وفى حقيقة الأمر إنهم لم يحسوا بهذه الكارثة من أعماقهم لأنهم كانوا بعيدين عن هذه الاحداث ، بعيدين فى المكان ، وفى الروح ، وفى اسلوب الحياة ، وبعيدين ايضا عن التقاليد الدينية لبنى إسرائيل خارج فلسطين ، وهذا البعد حدد ملامحهم فهم يهود من فلسطين فقط ، تحرروا من عبء الأجيال ، ومن المتخلفات التى تراكمت على العقلية اليهودية خارج فلسطين ، فهم يهود جدد بلا تراث مثقل[٢٠]

ولقد مال عدد من هؤلاء الكتاب فى بداية الأمر إلى القصة الروائية فعدت قصصهم ركيكة فى مظهرها ومحلية فى معناها ، وربما نجد أن الغالبية من بينهم لم ينحرفوا وراء الأحداث الخارجية ، لكنهم ارتبطوا ببنيه الحياة ، وبدقائق الأحداث اليومية وتعمقوا فى نفسية الانسان لكشف خباياها ، ونظرا لأن هؤلاء الكتاب كانوا يعيشون فى الاستيطان الجديد المنفتح على العالم كله فإنهم لم يتأثروا بالكيان الاجتماعى للعصر فحسب بل تأثروا أيضا بالكيان الأدبى ، فهم يعيشون فى الاستيطان الجديد بكل أشكاله والذى يعتبر نقطة التقاء العديد من الثقافات ويتدفق حيوية بكل المشاعر الجديدة فى العالم وخاصة فى أمريكا أمثال : مارسل بروست ، وأندريه جيد ، وجيمس جويس ، وتوماس مان ، وتأثروا بأساليبهم التصويرية وأضافوها الى اساليبهم وصورهم وكأنهم يعملون عملية تهجين سواء فى مفهومها النفسى أو فى أساليبها التكتيكية فأخذوا عنهم فلسفة الحتمية حيث يرى الانسان نفسه فى نطاق شروط مادية ـ نفسيه ولايمكنه تغييرها ، واذا تصارع معها فستكون نهايته الفشل ، والانحطاط ، والموت . ومن هنا تجمعت لديهم الاثارة لكشف الجانب الوحشى الذى فى الحياة ، والمخاوف والعقبات التى تفسد الانسان[٢١] .

وبالاضافة الى ذلك فإنهم تأثروا بالكتاب العبريين السابقين وخاصة جنسين (١٨٧٩ ـ ١٩١٣) ، وبرنر (١٨٨١ ـ ١٩٢١) ، وشوفمان (١٨٨٠ ـ ١٩٧٣) وذلك كضرورة من ضرورات التطور وكمرحلة إضافية فى سلم الأدب العبرى ، وأخذوا منهم التركيز على وصف الاطار الخارجى للانسان على أساس ميوله الاجتماعية ، والتصوير الدقيق للطبيعة ، ووصف نفسية الانسان باضطراباتها وتخبطاتها . وفى الوقت الذى كان فيه تأثير جنسين وشوفمان بصفه أساسية أدبيا فنيا ، فإن تأثير برنر أخلاقيا اجتماعيا ، فقد أثر برنر على الجيل الشاب بشخصيته الاخلاقية ، بصراحة الشديد لتشوية شريعة حياة الشعب ، بقوة نقده للمجتمع الجديد فى اسرائيل ، بمطالبته احداث تغيرات حاسمة فى الانسان الاسرائيلى . وقد ظهر هذا التأثير واضحا فى أدب موشيه شامير ، وناتان شاحم واهارون ميجد واخرين . أما تأثير جنسين فكان فى الحبكة الخارجية التى تركزت فى الاعلان المتتابع عن الشعور وما وراء الشعور عند البطل كما أخذوا عنه كيفية التعبير عن حياة الانسان بكل انفعالاته الداخلية .

أما بالنسبة للجانب الزمنى فإن هؤلاء الكتاب لم يصلوا الى توحيد مفهوم الوقت ، فالوقت يقاس عندهم إما بالأعمال الخارجية الموصوفة وإما بالتأملات وطول الفكر[٢٢] .

إن الرعيل الأول من كتاب القصة القصيرة فى الأدب العبرى الحديث غالبا ماكانوا يتحدثون بلسان أبطالهم فكتبوا بالييدش وبعض اللغات الأخرى مثل الروسية ، والبولندية ، والألمانية وذلك من خلال كتاباتهم بالعبرية التى كان يغلب عليها أسلوب العهد القديم ، وتبعهم فى ذلك كتاب القصة القصيرة فى بداية عصر الهسكالاه الذين تأثروا الى حد كبير بكتابات أسلافهم حيث نجد أن أبطال محبة صهيون ، والمنافق ، والتائه فى دروب الحياة قد تحدثوا جميعا بلغة الأنبياء والحكماء البليغة ، واذا كان مندلى موخير سفاريم هو الذى بدأ عملية المزج بين لغة أبطاله ولغة الحديث الدارجة ، ثم تبعه بياليق وعجنون وشتيمان وهزاز ونجحوا فى التعبير عن حديث أبطالهم بلغتهم المستمدة من لغة الحياة مما أدى إلى إثراء اللغة العبرية ثراء كبيرا ، فان الكتاب بعد قيام الدولة قد تمكنوا تماما من ان يزيلوا الحاجز بين لغة البطل ولغة الحديث الشائعة فى الحياة وذلك لوجود صور جديدة ، تناولها الادب مما كان يدفع بالادباء لاستنباط أساليب لغوية جديدة للتعبير عن هذه الصور وعن أبطالها وليس ذلك لأن هؤلاء الأبطال لهم عالم يختلف عن عالم الآخرين فحسب ـ حيث بدون هذا الاختلاف لا يكون هناك تطور فنى واضح ـ ولكن بصفة اساسية لاختلاف نوعية البطل والمتحدث بلسانه ولذلك نجد ان اساليب هؤلاء الكتاب تحتوى على بعض التعبيرات الشائعة الاستعمال ، والحكم والامثال ، والدعابات كانعكاس لتصوير المجتمع بكل تياراته المختلفة[٢٣] .

وبصفة عامة فان القصة القصيرة قد تميزت بعد عام ١٩٤٨ بما يلى :

١ ـ الواقعية والتعبير بدقة عن الواقع الجديد .
٢ ـ الاهتمام بتصوير الطبيعة
٣ ـ تناول المشاكل الاجتماعية .
٤ ـ وصف الحياة فى المستعمرات اليهودية .
٥ ـ ظهور القصة الهادفة .
٦ ـ التعمق فى نفسية الانسان لكشف خباياها.
٧ ـ وصف عرب إسرائيل .
٨ ـ تصوير العلاقة بين اليهود والعرب الذين يعيشون فى اسرائيل[٢٤] .

ومن أشهر كتاب القصة القصيرة فى هذه الفترة : أشر براش ، وحاييم هزاز ، ويوسف اريخا ، ومردخاى طبيب ، ويزهار سميلانسكى وبنيامين تموز ، واهارون ميجد ، وموشيه شامير ، واسحق اورباز وعاموس عوز .

الفصل الثانى

الأدبـاء والنمـاذج الأدبيـة التـى تناولت الشخصية العربية الفلسطينية (١٩٤٨ - ١٩٦٧)

إن الشخصية العربية الفلسطينية كانت من بين الموضوعات التى تناولها كتاب القصة القصيرة بعد ١٩٤٨ ويرى النقاد الاسرائيليون أن هؤلاء الكتاب قد تميزوا فى كتاباتهم عن الشخصية العربية الفلسطينية بالواقعية وذلك بخلاف من سبقهم فى العشرينيات والثلاثينيات والذين تميزت كتاباتهم بالرومانتيكية[٢٥]. إن هؤلاء الكتاب لم تتميز كتاباتهم بالرومانتيكية بما تعنيه هذه الكلمة من معنى (الحلم بتغيير الواقع إلى أفضل) ولكنها كانت تتميز بوصف فلسطين كما كانوا يتصورونها خالية من العامل البشرى تنتظر من يأتى ليستوطنها كيفما يشاء .

والمرحلة الزمنية موضوع هذا الكتاب (١٩٤٨ - ١٩٦٧) حوت العديد من كتاب القصة القصيرة الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية فى كتاباتهم . وهؤلاء الكتاب منهم من ينتمى إلى جيل فلسطين أى جيل ماقبل ١٩٤٨ ، ومنهم من ينتمي إلي جيل الدولة أى جيل مابعد ١٩٤٨ وهو الجيل الذى يسمى (بالموجة الجديدة) . ولقد وقع اختيارى على أحد عشر أديبا من هؤلاء الكتاب للتقديم لهم فى هذا الفصل وهم : أشير باراش ، حاييم هزاز ، ويوسف أريخا ، ويوسف حنانى ، ومردخاى طبيب ، ويزهار سميلانسكى ، وأهارون ميجد ، وموشيه شامير ، واسحق أورباز ، وناتان شاحم ، وعاموس عوز ، وهؤلاء الأدباء منهم مجموعة عاشت طفولتها فى فلسطين واحتكت احتكاكا مباشرا بعرب

فلسطين واستنادا إلى ذلك فإن كتاباتهم تعبر عن رؤية واقعية وتجسد وجهة نظر واضحة تجاه الشخصية العربية الفلسطينية ، ومنهم مجموعة أخرى ولدت فى شرق أوربا وعاشت طفولتها هناك ثم هاجرت إلى فلسطين فى فترة متأخرة ، ولذلك فإن هناك اختلافا واضحا بين رؤية المجموعة الأولى ورؤية المجموعة الثانية للشخصية العربية الفلسطينية .

المجموعة التى نشأت فى فلسطين :

١ ـ مردخاى طبيب :

يتميز "مردخاى طبيب" فى كتاباته القصصية بالقدرة على حشد الشخصيات والأحاسيس والانفعالات حول نقطة رئيسية واحدة يصل فيها إلى الذروة كما أنه يجيد تصوير النماذج التى يتناولها وكشف الأحاسيس والانفعالات الكامنة فيها .

هذا ويلاحظ أن معظم قصص طبيب تدور حول فترات من التاريخ اليهودى وبصفة خاصة تلك التى تتعلق بيهود اليمن سواء قبل نزوحهم إلى فلسطين أو بعد هجرتهم إليها واستيطانهم فيها .(٢٧)

ومن أهم القصص التى كتبها فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ مايلى : ـ

- مثل عشب الحقل (كعيشب هساديه) صدرت عام ١٩٤٨ وأعيد طبعها عام ١٩٦٢ .
- قيثارة يوسى (كنورو شل يوسى) صدرت عام ١٩٥٤ وأعيد طبعها أكثر من مرة آخرها عام ١٩٧٠ .

ويصف طبيب فى قصته "مثل عشب الحقل" بداية وجود المستوطنين اليمنيين فى القرية من خلال وصف البطل (يحيى بن يحيى) منذ ولادته وحتى سن البلوغ وعلى الرغم من أن القصة تحمل طابع أسلوب "حاييم هزاز" فى قصته "يعيش" من ناحية العنف واللين فى الحوار ، فإننا نجد أنه بينما يعرض "هزاز" الجانب الروحانى للوجود اليمنى ، فإن "مردخاى طبيب" يتناول الجانب الحسى للحياة ومايحدث فى البلاد ، كما

نجد أن أبطاله أقل تنقيحا ، وأقل روحانية ، وأكثر طبيعية وواقعية من أبطال "هزاز"(٢٨) أما المجموعة القصصية التى بعنوان "طريق تراب" (درخ شل عافار) ، فهى تمثل مرحلة متقدمة من مراحل تطور القصة القصيرة عند مردخاى طبيب ، وقصص هذه المجموعة تدور أحداثها أثناء حرب ١٩٤٨ ويحتوى بعضها على وصف للواقع اليهودى فى اليمن ، والبعض الآخر على صور جميلة ، وحزينة ، وأحيانا مضحكة عن حياة اليهود وعلاقاتهم وأحاسيسهم الداخلية فى أماكن استيطانهم الجديدة بفلسطين .

وقصة "قيثارة يوسى" (كنوروشل يوسى)٢٩ إحدى قصص هذه المجموعة ومن أهم أعمال طبيب الأدبية ، ويتناول من خلالها وصفا لواقع يهود اليمن الجديد فى فلسطين ولأحوالهم ، كما يتناول بالاشارة عرب فلسطين ويرجع إليهم السبب فيما حل باليهود من كوارث وآلام .

والقصة تحكى قصة حياة "يد يدا" الأرملة اليهودية العجوزة التى نزحت من اليمن وأقامت مع اليهود فى فلسطين ، وفقدت ابنها "يوسى" الوحيد أثناء الحرب مع العرب وضلت يد يدا طريقها فى المستعمرة فى وقت شديد الحرارة وهى تحمل تحت إبطها قيثارة ابنها يوسى لتعطيها إلى أصدقائه ، وفى الطريق تقابل عددا من أصدقاء يوسى ، فتدعوهم لمنزلها لتحكى لهم عنه ، ولكن ماحكته لم يكن سوى قصة حياتها هى ، قصة المأساة التى كانت تعيشها منذ ولادتها لابنها الوحيد وما ألم بها من حزن بعد فقدها إياه على يد عرب فلسطين .

هذا ، وقد حشد طبيب أكثر من عشر شخصيات فى القصة وكلها لخدمة النقاط التى يحاول ابرازها . والقصة ذات حبكة كبيرة ، ويديدا هى المحور الرئيسى الذى تدور حوله القصة ، وقد تمكن "طبيب" ببراعة فائقة من أن يوظف القصة التى تصل إلى حوالى ٤٥ صفحة من القطع الصغير لخدمة مايهدف إليه من بدايتها إلى نهايتها .

والهدف الأول الذى سعى طبيب لابرازه هو إذكاء الروح اليهودية فى أبناء جيله حيث يذكرهم بأن العرب هم سبب الكارث التى ألمت بيديدا ، حيث كان يوسى ابنها الوحيد الذى يعولها مما كان يتقاضاه فى عمله من ورشة الأحذية كما أن العرب هم الذين أفقدوا اليهود سعادتهم لأن يوسى

كان ضمن فرق الشباب الترفيهية ويبث شعاعا من البهجة والسرور داخل حياتهم الكئيبة . كما يريد أن يذكر اليهود بأنهم موضع سخرية بالنسبة للعرب فعلى الرغم من أنه وصف يونا بأنها مجنونة وشكلها قبيح ومرعب ومخيف ومثير للسخرية والاستهزاء ، فإنه يذكر بأن الذى يستهزىء منها هم الشباب العرب وليس اليهود .

أما الهدف الآخر الذى يسعى لإبرازه فهو حالة يهود اليمن فى فلسطين ، فهم يعيشون فى أدنى المستويات ـ وذلك كما يصورهم طبيب ـ حيث يعيشون فى أكواخ مهملة وقبيحة مليئة بالقاذورات ، ويعملون أعمال البناء .

هذا وقد أجاد طبيب تصوير مشاعر وأحاسيس "يديدا" ، وخلق الجو المناسب لملاءمة التعبير عن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس ، فمن ناحية اختار وقت الظهيرة فى أحد أيام الصيف شديدة القيظ لتسير فيه "يديدا" الأرملة العجوز ومعها القيثارة ـ التى لا تقدر على حملها ـ تحت ابطها فتجمع لها كل مايجعلها تسير مترهلة متعبة وفى نفس الوقت تحمل ذكرى ابنها ـ القيثارة ـ فتسير متألمة يعتصرها الحزن على فقدها ابنها . وكذلك عندما ذهب الشاب إلى كوخ يديدا كان كل شىء موجود من آثار يوسى ، أحواض الورد والريحان ، وجذع الشجرة الطويل الذى كان يجلس عليه يوسى ومعه أصدقاؤه وكل هذا يثير الحزن والأسى ويذكرها بمقتل يوسى .

ومن ناحية أخرى فإن حياة يديدا كانت تعيسة منذ البداية ، فزوجها الأول كان يسب آباءها وأجدادها ، والثانى لقى معارضة من أهله فى زواجها بسبب قبحها ، وعندما تزوجت للمرة الثالثة أصيبت أمها بالعمى كما أن زوجها تغير حاله فبعد أن كان يعاملها بلطف أخذ يسب دينها ودين آبائها ، وكان يصفها بأنها زنجية قبيحة ودميمة ويقول لها : « إنك أظلمتى حياتى أنت وأمك العاهرة ، إنك تسببين لى غثيانا وكلما رأيتك أريد أن أتقيأ » بل وصل به الحال إلى أنه كان يبصق عليها ويركلها بكلتا قدميه ، ويديدا هنا إشارة إلى يهود اليمن كلهم وإلى مايعانوه من إذلال ومهانة وهكذا تمكن طبيب من أن يسير فى خطين متوازيين من بداية القصة إلى نهايتها وذلك لخدمة ما أراد إبرازه .

ويلاحظ أن طبيب كان يرمز إلى عرب فلسطين باسم الاسماعيليين حيث يقول : « لقد كانت الأرملة ، التى فقدت وحيدها منذ عشرة أشهر ، وقد قتله الاسماعيليون بطريقة شاذة فى بداية الحرب حيث قطعوا رأسه إربا إربا » . كما يقول فى مكان آخر « ومازلت أذكر صرخات ألمها فى جوف الليل من أثر الحروق وضرب السياط التى ينهال بها شيخ من الاسماعيليين » .

ويظهر فى القصة تأثر الكاتب باللغة العربية حيث استعمل أداة النداء العربية عندما قال "ياسالم" "يا الله" ، "ياروحى" .

كما استخدم بعض الاستعمالات اللغوية الشائعة فى اللهجة الفلسطينية مثل "بنت ناس" ، "على العين وعلى الراس" ، يلعن أبوك وأبو أبوك ، كما يوجد إشارة إلى إحدى العادات الدينية اليهودية وهى البريت[٣٠] .

٢ ـ يزهار سميلانسكى[٣١]

أول أديب اسرائيلى يولد فى فلسطين ويعبر من خلال انتاجاته الأدبية عن تجربة الانسان اليهودى فى صراعه مع البيئة الفلسطينية حيث نجده يركز فى كتاباته القصصية على التعبير عن ثلاث حالات نفسية عميقة للشخصية الاسرائيلية وهى :

١ ـ الاحساس بالطبيعة الفلسطينية واللقاء مع الشعب الذى يعيش فى إسرائيل .

٢ ـ ضرورة القيام بحرب دفاعية شرسة وعنيفة من أجل الحياة .

٣ ـ التعارض بين العالم النفسى الداخلى للفرد ، والوحدة الجماعية للجماعة التى تخضع رغبة الفرد لسياستها[٣٢] ، وكان هذا واضحا فى قصته الأولى . أفرايم يعود إلى الصفصفة[٣٣] ، فالموضوع فى هذه القصة يدور أساسا حول الصراع بين رغبات الشخص واحتياجات الجماعة ، بين أشواق القلب ومطالب الساعة ، وهى تحكى قصة الشاب أفرايم الذى عمل فى حقل الصفصفة التابع

للكيبوتس ولكنه لم يجد فى هذا العمل لذة واصلاحا لحاله فطلب من المسئولين فى الكيبوتس أن يلحقوه بالعمل فى أحد البساتين . وفى الاجتماع العام للأعضاء بحثوا هذا الموضوع ، وما أن تم التصديق نهائيا على طلب أفرايم حتى تراجع عن طلبه وأعلن أنه اتخذ قرارا بالعودة إلى حقل الصفصفة . وقوة القصة هنا ليست فى حبكتها ولكن تكمن فى تصوير مشاعر البطل وهو ماسعى إليه يزهار حيث حاول عن طريق سرد الأحداث أن يصور العالم النفسى للبطل . وهذه سمة واضحة فى كتابات يزهار القصصية حيث أنه لا يهتم بالحبكة الخارجية بل نجدها قليلة جدا فى قصصه ويكون أساس موضوعها الشعور الداخلى فى نفسية البطل ، وحواره مع نفسه ، وتردده وشكوكه وحيرته ، وعدم مقدرته على اتخاذ القرار وحسم العمل الذى يجب عمله .

ولذلك يقول ى . كيشت : إن يزهار يعتبر مصورا أكثر منه قاصا ، وبصفة خاصة بالنسبة للقصة الواقعية التى يجب أن يظهر فيها قدرة القاص الحقيقية على الحبكة القصصية حيث نجد أن قصصه يغلب عليها تصوير الجور العام من ناحية ، والأحاسيس والمشاعر الداخلية لأبطاله من ناحية أخرى[٣٤] . ومن أهم القصص التى كتبها يزهار فى الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ :

- خربة خزعة ١٩٤٩
- الأسيـــر ١٩٤٩

وهما من القصص التى تناول فيها يزهار الشخصية العربية معتمدا فى تناوله على دقة التصوير ، والتعبير عن مشاعر وأحاسيس أبطاله .

وقصة خربة خزعة[٣٥] ذات حبكة بسيطة جدا ، تدور حول مجموعة من الجنود الاسرائيليين صدرت إليهم الأوامر باحتلال قرية عربية - أثناء حرب ١٩٤٨ - وإجلاء سكانها عنها وكان لقيام الدولة أثر كبير على هؤلاء الجنود ، فالشعور بالقوة ، وبالسلطة ، وبالجيش المحتل جعلهم لا ينتبهون لعناء المزارعين العرب المسنين والأطفال والنساء الذين طردوا من بيوتهم وحقولهم فقاموا ضدهم بأعمال قاسية بلا داع وبلا سبب أمنى أو عسكرى لأنهم كانوا يتعاملون مع مدنيين عزل من السلاح ، الأمر الذى أثار

"يزهار" فانتقد هذه الأعمال ، وهو لا يعبر عن الشعور النفسى الخاص بالبطل الموجود فى الواقع القتالى كموضوع رئيسى فى تفكيره ، ولكنه يركز على الحالات السائدة خارج إطار التوتر القتالى لأن أبطاله غير منغمسين فى مشاعر الخوف والتوتر ولكنهم منغمسين فى شعور الاشمئزاز الخاص بنهاية الحرب .

وهذه القصة تعكس صوت الضمير الأخلاقى والانسانى للجندى الاسرائيلى الذى يصرخ ضد الظلم والمصائب التى لحقت بعرب اسرائيل ، ويزهار نفسه كان يتحمل عبء هذه الأعمال ولم يكن فى قدرته وقفها أو منعها لأنه ينفذ تعليمات صادرة اليه ، ومن هنا كان الصراع الداخلى بينه وبين من يخضعون لتنفيذ الأوامر الصادرة إليه .

إن يزهار لم يصف القسوة وأعمال العنف فحسب بل وصف أيضا مشاعر الجندى المغلوب على أمره تجاه هذه الأعمال ، ومظاهر الفوضى والعنف والتكسير والتحطيم والقتل والصراخ والعويل . فسكان خربة خزعة لم يقاوموا الاحتلال نهائيا ، أى لم تكن هناك معارك ولم يكن هناك أى محاولة للدفاع من جانب العرب العزل من السلاح . فما أن بدأت العملية الاسرائيلية حتى فر السكان هاربين . وهنا يصف يزهار مشاعره عندما قابل زملاؤه الجنود ، « عربيا عجوزا يجر جملا محملا بالبضائع وتوسل إليهم العجوز ليتركوه ولكن الجنود سخروا منه » أطلق أريه طلقة نارية فوق رأسه فانقطعت أنفاسه وركع على ركبتيه » ثم قال أريه لموشيه : « سأضربه وأنهى عليه الآن » ، وبعد ذلك قاموا بهدم بيوت القرية وعلى الرغم من أن البقية الباقية من السكان قد استسلمت تماما فإن الجنود قد استمروا فى بث الرعب والخوف ، وفى التهديد والوعيد والطرد فأنْ الرجال وبكت النساء بكاء مرا والجنود يضحكون ويهللون ويزهار يقف سلبيا نظرا لعدم قدرته على الحسم ولكنه عبر عما بداخله باظهار اشمئزازه من هذا العمل .

ويزهار ينظر إلى العربى المطرود على أنه إنسان وليس عدو ، فهو يبجل الأم العربية البطلة التى تصدت لهم ويقف فى حيرة من أمره لأنه لا يعرف ماذا يفعل ولذلك فهو يقول : « لم أستطع البقاء فى مكانى . فكأنه لم يعد يحملنى . انطلقت ودرت إلى الجانب الآخر » . وفى الحقيقة فإن يزهار

يعارض الطرد فهو يقول لموشيه بوضوح « خربة خزعة ليست لنا ، ليس لنا الحق فى أن نخرجهم من هنا » ولكنه لم يفعل أى شىء ضد الطرد فهو نفسه يشترك فى العمل ويعبر فقط عما يدور فى نفسه من انفعالات فهو لا يتحمل رؤية مايقوم به الجنود من أعمال قاسية وينظر اليها بعدم مبالاة ويقول « إننا فعلنا ظلما ، لم يكن فى وسعنا أن نمنعه لا نكذب على أنفسنا ، يجب أن نعترف بالحقيقة ونقول : لقد أخطأنا » وبالاضافة إلى ذلك فقد أبدع يزهار فى وصف الطبيعة ، وفى هذا الصدد يقول دوفشانى : إنه لا يوجد كاتب فى اسرائيل عرف الطبيعة الفلسطينية ووصفها بصدق وحب كما وصفها يزهار فعيناه وقلبه مفتوحون دائما لرؤية واستنشاق الطبيعة الفلسطينية ويحتمل أن يكون طرد العرب قد أثر فيه لأنهم يشكلون جزءا من الطبيعة الفلسطينية[٣٦] .

وهذا واضح لأنه لم يصف فى هذه القصة مدنا ومستعمرات آهلة بالسكان ولكنه وصف الحقول والقرى ، وكل مايدور فى الطبيعة وطبع كل حادثة بطابع الطبيعة كما أنه طبع الاسرائيلى والفلاح العربى بطابع طبيعتهما الخاصة بهما . ولذلك نجد أن التراجيديا التى فى القصة هى أن الجندى الاسرائيلى ينزع الفلاح من طبيعته الخاصة به . وهكذا يمكن القول بأن قصة خربة خزعة تقوم على أربعة محاور رئيسية :

١ ـ الأعمال التى قام بها الجنود ضد سكان القرية .
٢ ـ التعبير عن المشاعر الداخلية للانسان .
٣ ـ تصوير الطبيعة .
٤ ـ االتعبير عن الضمير الأخلاقى .

هذا ويلاحظ أن يزهار قد استعمل بعض الألفاظ العربية مثل "استنا ياقديس" "ياخواجا" ، "احنا رايحين" "آخ يارب" ، كما استعمل بعض الألفاظ من اللهجة الفلسطينية مثل "الله يعطيك ياخواجا" ، "ايش" ، "وحياة الله" ، "كل شىء ظل هون" .

أما قصة الأسير[٣٧] فتصف عمل مجموعة من الجنود اليهود فى إحدى القرى العربية أثناء هدوء حرب ١٩٤٨ ، والحبكة القصصية هنا لا تدور حول طرد سكان القرية ولكنها تدور حول أسر راع عربى والتحقيق معه ،

ويزهار يلعب هنا دورا كما لعب فى خربة خزعة،على الرغم من أنه يستاء من هذا الدور وينظر إلى الجندى بنظرة ذاتية هادفة وتدور قصة الأسير حول أربعة محاور رئيسية وهى :

١ ـ القاء القبض على الراعى العربى وغنمه بواسطة مجموعة من الجنود .

٢ ـ ذهاب الراعى الأسير إلى الموقع العسكرى .

٣ ـ التحقيق مع الأسير فى الموقع العسكرى .

٤ ـ إرسال الأسير فى عربة جيب ، مع القاص ، إلى معسكر القيادة .

وعلى الرغم من أن القاص لم يظهر إلا فى المحور الرابع فإنه يعتبر بطل القصة لأنه يعبر عن هواجسه النفسية وعن المشاعر الكامنة داخله . ونقص الوضوح فى شخصيته يدل على آلامه وعدم قدرته على الحسم ولذلك فإن القصة تشير إليه أكثر من الراعى العربى الأسير .

والمحور الأول يدور حول وصف الطبيعة وما يسودها من سكون وهدوء وحياة البساطة التى يعيشها الرعاة العرب مع قطعانهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى قائد الفصيلة ومجموعة الجنود الذين معه والذين اخترقوا هذه الطبيعة وحطموا هدوءها وسكونها . فعندما رأى هؤلاء الجنود أحد الرعاة العرب أحاطوا به وقبضوا عليه وهنا يصفهم الكاتب فى سخرية تصل إلى درجة الاستهزاء قائلا : « إن القبض على الراعى الضعيف والمسكين أصبح كعمل حربى كبير ، كمحاصرة كتيبة كبيرة للعدو » . وعندما قرر الجنود أخذ الغنم معهم اضطروا إلى أن يقلدوا أصواتهم حتى تسير معهم ولا تفر منهم ، وهنا أيضا يسخر الكاتب منهم ويشبههم بالماعز والخراف وهو يتألم مما يحدثه الجنود من تخريب فى مناطق البدو والرعونة .

والمحور الثانى يدور حول الموقع العسكرى وهو مناقض للمحور الأول الذى يدور حول وصف الطبيعة ومايعكر صفوها . فالموقع العسكرى عبارة عن مكان مهجور مشوب بالقذارة بسبب الاهمال وموبوء بالحشرات . ويزهار يبرز هنا مدى الأسلوب الإجرامى فى المعاملة القاسية فبمجرد أن وصل الراعى الأسير إلى الموقع حتى جرى جندى ليجهز عليه وآخر يوجه اليه اللكمات .

والمحور الثالث يدور حول التحقيق الذى لا يتم على أساس من العدل . فالتحقيق شىء قاس : ضرب ، وركلات ، وإهانة . وأسلوب الوصف هنا مختلف عنه فى المحاور السابقة فلا يوجد هنا الأسلوب الملحمى الواسع ، ولا توجد جمل طويلة ، ولكن يوجد حديث متبادل عبر جمل قصيرة وسريعة . فإذا كان الأسلوب فى المحور الأول يشمل الطبيعة الهادئة فإنه يشمل هنا الجو الخانق ، والشعور القابض فى حجرة التحقيق المظلمة والقذرة .

والمحور الرابع يدور حول مرافقة القاص للأسير إلى معسكر القيادة وبذلك أصبح الأسير بين يدى القاص الناقم على مايحدث . وهنا يحدث حوار داخلى بالنسبة للقاص وتدور داخله معركة عنيفة . فهو يرى الانسان الذى فى الأسر وتثار أمامه المشاعر الانسانية ويفكر فى مصير زوجة الأسير وأطفاله . والقاص هنا يرى فى نفسه صورة طبق الأصل من الأسير ، فهو أيضا أعزل ووحيد لا يملك القدرة ليكون حرا ويذهب إلى زوجته وأرضه ، كما أنه ليس حرا فى أن يعمل كل مايريده لأنه يريد أن يطلق سراح الأسير ولكنه لا يمكنه ذلك لأنه يعرف ماسيترتب على هذا التصرف وعزاؤه فى ذلك أنه أسير بين أيدى آخرين وأنه ليس سيدا على أعماله ، كما أنه ليس حرا فى أن يعيش طبقا لإرادته .

ويقول دان ميرون : إن هذه القصة مثل بقية قصص يزهار ، أثارت اهتماما كبيرا بسبب التحفظ الواضح من أى تطرف قومى غير إنسانى ، ورفض البطولة الرخيصة وتعليم الجيل الشاب فى إسرائيل ضرورة احترام العدو ممثلا فى الانسان العربى[٣٨] .

هذا وقد استخدم يزهار بعض الكلمات باللغة العربية مثل : فيه سيجارة ، يعنى ، ياسيدى ، آخ يارب ، كما استخدم علامة النداء العربية "يا" عندما كان المحقق ينادى على الأسير ويقول له : ياحسن ، واستعمل بعض الألفاظ من اللهجة الفلسطينية مثل "وحياة عنية ، وحياة الله" .

إن هاتين القصتين هما من قصص يزهار التى كتبهما عن الحرب[٣٩]، والدافع الرئيسى لكتابة هذه القصص واحد وهو دافع المقارنة التصويرية لجماعة غريبة من الغزاة ، ولطبيعة هادئة غير قادرة على مواجهة هؤلاء

الغزاة وليس فى إمكانها إلاَّ أن ترد بالاستغراب والدهشة مع ملاحظة أن قصة الأسير قد تميزت بالعمق الدرامى والفنى الذى افتقدت إليه خربة خزعة .

فإذا كان يظهر فى خربة خزعة تدمير قرية بأكملها ، والصورة المريعة لمجموعة من الجنود توجه نيران مدافعها إلى أبناء القرية الهاربين لعدم قدرتهم على الرد والمناظر المروعة لشوارع القرية المحتلة ، ففى الأسير يوجد وصف لاعتقال أحد الرعاة العرب حيث لحظة الإرهاب (العنف) المرتبطة بها أقل كثيرا من تلك المرتبطة بتدمير القرية وعلى الرغم من ذلك فإنه توجد فى وصف اعتقال الراعى ما لا يوجد مثله فى أوصاف سكان القرية فى خربة خزعة .

فالبعد الدرامى الرمزى الذى بدأ التكهن به فى أوصاف خربة خزعة يصل فى الأسير إلى ذروته .

ففى خربة خزعة يوصف العمل الذى كان حادثا من حوادث الحرب وانعكس فى خيال القاص الذى يتعذب بآلام الضمير ويقدر القيم التاريخية للشعب الذى تحول من شعب مستوطن إلى شعب مشرد ومنفى . أما فى الأسير فيتضح أكثر أساس الابداع الفنى حيث أن يزهار لم يتمكن فقط من الرد على دلالات محددة خاصة بعالم واقعى ولكنه تمكن أيضا من خلق عالم حقيقى قصصى وعبر عن أفكاره من خلال الأحداث نفسها .

وإذا كانت خربة خزعة توصف على أنها ريبورتاج صحفى حيث ترتفع بعض الفقرات فيها إلى مستوى الرمز وتعبر فى أساسها عن الحاجة الفنية كقص الأحداث على حقيقتها وبترتيبها ، فإن الأسير يتضح فيها التجسيد الشعرى المنظم والأكثر درامية لتجسيد الوجود الذى عبر عنه فى خربة خزعة .

٣ ـ أهارون ميجد :[٤٠]

يعتبر أهارون ميجد من الأدباء الذين تناولوا موضوعات جديدة فى الأدب العبرى الحديث من خلال تناوله للواقع اليهودى الجديد فى فلسطين بعد ١٩٤٨ وكتب العديد من الروايات والقصص والمسرحيات

التى تحتوى على عناصر كثيرة من السير الشخصية[٤١] ، تحرك فيها من الواقعية فى انتاجاته الأولى إلى السريالية ثم إلى الواقعية مرة أخرى ، وترجمت معظم أعماله إلى عدة لغات أجنبية .[٤٢]

وهو من أبرز الكتاب الذين مالوا إلى الأسلوب الفكاهى ـ حيث تمثل الفكاهة عنده العمود الفقرى بالنسبة لانتاجاته الأدبية كلها ـ المستمدة من المواقف المضحكة المتجمعة فى المشاكل العميقة التى اعترضت الواقع اليهودى الجديد فى فلسطين والذى كان يظهر فى صورة الدعاية اللطيفة أو من خلال السخرية اللاذعة ، وبصفة عامة فإن قدرة أهارون ميجد تكمن فى الوصف وليس فى الحبكة القصصية حيث يتمكن من خلال الوصف من تصوير الانسان اليهودى وتصرفاته وأعماله بدقة وبأسلوب فكاهى رائع . وقد وصل إلى قمة المهارة فى الوصف فى وصفه للمجتمع الكيبوتسى حيث يصف الحياة وهو يغوص فى أعماقها وصفا مليئا بالفكاهة الرائعة والتى نادرا ماتكون عنيفة ـ تهكمية ـ وكذلك فى وصف القرى العربية الفلسطينية .[٤٣]

ومن أبرز القصص القصيرة التى تناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية هى قصة الكنز (همطمون)[٤٤] ، وقد وصل فيها أهارون ميجد إلى قمة الأسلوب الساخر اللاذع فى تناوله لهذه الشخصية .

وهذه القصة تدور أحداثها فى إحدى القرى العربية التى استولت عليها السلطات الاسرائيلية ، وهى تفتقد الحبكة القصصية ولكنها تعتمد على التصوير الدقيق ، تصوير الطبيعة ، وتصوير النفسية العربية وانفعالاتها وأحاسيسها الكامنة ، وعلى الرغم من تعدد الشخصيات فى القصة فإنها جميعا شخصيات مساعدة تكمل الصورة التى يريد الكاتب تصويرها ، وتخلق منها النموذج المثير للضحك بواسطة الأسلوب الساخر ، صورة سليمان الانسان العربى الذى طرد هو وزوجته أمينة وابنهما على من منزلهم ، فسليمان هو البطل وهو المحور الرئيسى الذى تدور حوله القصة ، ونجد أن الكاتب يتحدث بلسانه ليعبر عن انفعالاته فى أسلوب ساخر .

فسليمان بعد أن طرد من القرية هو وأسرته تذكر الكنز الذى تركه عارف فعاد يبحث عنه لعله يجد مايقتات به وأثناء محاولاته الوصول إلى

الكنز ينظر إلى منزله فيرى فيه إمرأة غير زوجته وإبنا غير إبنه فتثور حميته ويتخيل لو أنه طلب من المسئول أن يعود إلى أرضه ، وهنا يصوره ميجد فى صورة إنسان ذليل يسب نفسه وأهله فى سبيل الحصول على أرضه ويوضح الكاتب بأسلوب ساخر محاولات سليمان من أجل الحصول على أقل القليل ليعود إلى أرضه وعندما سخر واستهزأ به المسئول ، عاد سليمان ورأى فى منزله إمرأة غير زوجته وإبنا غير إبنه وتخيل لو أنه يدخل ويقطعها إربا إربا أو أن يغتصبها لينتقم منها ولكنه بمجرد أن يحس بأصوات أقدام بالقرب منه يهرع مختفيا مرتعدا لئلا يقبض عليه اليهود ، وهكذا تتعاقب الصور فى سخرية لاذعة .

وقد استخدم ميجد فى هذه القصة بعض الكلمات باللغة العربية مثل : الحكومة ، فقير ، يعنى ، طيب ، اسكت ، ابريق ، مجنون ، طحين ، مسكين ، أهبل ، الشيطان ، مرحبة ، الحمد لله ، اسحب شد ، كما استخدم علاقة النداء العربية "يا" حيث يقول : يافلاح ، يافقير ، ياحرمة ، ياسيد ، ياولدى ، ياروحى ، واستعمل بعض التعبيرات من اللهجة الفلسطينية مثل : "وحياة الله" ، "العكروت" ، اجاك عريس ، اتبشر بالخير .

٤ ـ موشيه شامير :[٤٥]

إهتم شامير فى أعماله الأدبية بعكس الصراع اليهودى قبل ١٩٤٨ وكذلك دراسة الاتجاهات الاجتماعية والطبقية ومناقشة المشاكل القومية وانتقاد حياة الكيبوتس . كما تناول الشخصية الاسرائيلية المولودة فى فلسطين وصراعها مع الأهداف والقيم الصهيونية التى صاغت شخصيته من ناحية ، والأهداف والقيم التى دافع عنها شامير شخصيا من ناحية أخرى . كما تناول ظروف المجتمع الاسرائيلى بعد ١٩٤٨ . وقد لاقت كتابات شامير إقبالا لدى الشباب الاسرائيلى للأسباب التالية : ـ

١ ـ تمكنه من وصف الحياة فى فترة ماقبل ١٩٤٨ ليس كمتطلع اليها أو ناقد لها ، ولكن من خلال تجاربه الشخصية العميقة فجاءت كتاباته قريبة من مشاعر الشباب وتمس ماضيهم وحاضرهم .

٢ ـ تمتاز قصص شامير بالحبكة القصصية . فهو من القلة فى الأدب العبرى ، الذى تمكن بخيال خصب وقدرة فائقة على تصوير وحبك القصة القصيرة .

٣ ـ اهتم الأدب العبرى فى الفترة الأخيرة بالحياة النفسية والروحانية لليهودى فى المهجر ولذلك لم يكن هناك إثراء فى الحقائق المادية ، حيث كان العالم المادى ثانويا ويوجد أساسا فى المهجر والمشاكل اليهودية ، ولكن عند شامير كان يوجد عالم مادى ، فليست المشاعر عنده هى الأساس ، ولكن الأساس عنده يكمن فى الماديات . فشامير لم يصف فى كتاباته المنفى واليهود المطرودين والمشتتين ، ولكنه وصف الشباب الاسرائيلى الذى يحارب فى فلسطين .

٤ ـ أن أهمية كتابات شامير تكمن فى حبكتها التى تقوم على أساس الوجود الاسرائيلى والمجتمع الاسرائيلى والطبيعة الاسرائيلية ، كما أن أبطاله موجودون فى العالم المادى المحسوس[٤٦] .

٥ ـ وتتميز كتابات شامير بأنها خالية من الوصف المعقد وتتركز أساسا حول الانسان والكشف عن أهدافه وزمان ومكان أعماله وكذلك الجو والطبيعة المحيطة به ، كل ذلك بلغة غنية تحوى خليطا هائلا من اللهجات وبصفة خاصة لهجات الاسرائيليين المتأثرين فى نطقهم للعبرية بمصادر الرضاع الثقافى الأصلية الخاصة بهم .

ومن أهم القصص التى كتبها من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ مايلى :

هوسار فى الحقول	١٩٤٧
بكلتا يديه	١٩٤٩
ملك لحم ودم	١٩٥١
الخشخاش المر	١٩٥٨

وقصة "هود سار فى الحقول" أولى قصص شامير ، صور من خلالها الكيبوتس بحجمه الكامل ، ولم يصور الطبيعة ، ولكنه صور الحياة ، والكيبوتس بأنشطته وأعماله ، وتنظيمه ، ومايدور فيه من مناقشات ، ولم

يعرض المشاكل فى أسلوب نقدى ولكن فى صورة عرض للحقائق .
والقصة تدور حول أورى بن الكيبوتس الذى أنهى دراسته فى مدرسة الزراعة وعاد إلى قريته ليستقر فيها ولكنه اكتشف على الفور خراب منزل والديه وانهياره ، وأساس التراجيديا هنا هو التوتر بين حياة مجتمع الكيبوتس وحياة العزلة .

أما قصته بكلتا يديه فذات حبكة قصصية كبيرة جدا وهى تحتوى على خطوط بيوجرافية بمثابة تسجيل ذكريات لليهودى الذى سقط قتيلا فى معركة مع العرب الذين أحاطوا بقافلة وهى فى طريقها إلى القدس . ولقد غاص شامير فى أعماق البطل ، وصور مشاعره الداخلية بدقة متناهية حتى تحولت شخصيته إلى صورة أسطورية ترمز للجيل الشاب الاسرائيلى كله على أنه جيل التضحيات .[٤٧]

وقصته ملك لحم دم تمثل قمة انتاج شامير ، وهى تتناول وصف لحياة اليهود فى عصر الهيكل الثانى ، وتصوير الواقع التاريخى والثقافى لليهود فى ذلك العصر فقد تناولت البيت الملكى ، والوزراء والموظفين ، والكهنة الذين كانوا يخدمون فى الأماكن المقدسة ، ورجال الجيش ، وبيت المقدس ، والسنهدرين ، والعلاقة بين يهود الاسكندرية ويهود القدس ، أى أنه استعان بكل مايساعده على إبراز صورة هذا العصر .

أما قصة الخشخاش المر[٤٨] فهى إحدى قصص شامير القصيرة التى تناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية ، وقد اكتملت لها كل المقومات البنائية للقصة القصيرة عند شامير حيث نجد أن الحبكة القصصية تقوم على أساس الطبيعة الفلسطينية ، أى الطبيعة الفلسطينية التى استوطنها اليهود بما تحويه من حدائق الزيتون والموالح والنخيل ومن مناظر طبيعية جميلةأضفاها الله على أرضه ، والمجتمع الاسرائيلى ممثلا فى الموشاف ومزارعه ونظمه والأساليب التى ينتهجها المسئولون فيه لطرد العرب من أراضيهم . كما أن أبطاله حقيقيون فعلا وليسوا من رسم الخيال . والشخصيات الرئيسية فى القصة هى : أبو فاضل وزوجته شريفة وابنها الرضيع ، وشبيرا اليهودى الذى يعمل عنده أبو فاضل وأسرته وتوجد شخصية ثالثة وهى سليمان : وهو ممثل لجنة الموشاف وقد استعان بها شامير ليخدم الحبكة القصصية .

وتعتمد هذه القصة أساسا على الديالوج بين شبيرا وأبى فاضل : فأبو فاضل يقوم هو وزوجته بخدمة شبيرا ورعاية الأرض والمواشى والدواجن ، ولكن سليمان مندوب لجنة الموشاف يطلب من شبيرا أن يطرد أبا فاضل وهنا يستجيب شبيرا لطلب سليمان ويطلب من أبى فاضل ذلك .

ويصور شامير الصراع النفسى الذى يدور داخل شبيرا ويغوص فى أعماقه مصورا مشاعره وأحاسيسه ، فأبو فاضل بالنسبة له كل شيء ، ولكنه لا يملك إلا تنفيذ الأوامر ولا يستطيع منع قرار طرده ولذلك نجده لا يقوى على إخبار أبى فاضل بقرار الطرد مرة واحدة فهو يحاول ان يجد سببا يجعله مبررا لذلك فينتهى به الأمر إلى ان يبلغه بقرار الطرد حرصا على حياته هو وإسرته وخوفا من أن يأتى المسئولون ويقتلوه هو وزوجته وابنه ، وهنا يغوص شامير مرة أخرى فى أعماق ابى فاضل ويصور ما ألم به من حزن وألم وكذلك احاسيسه ومشاعره الداخلية .

وكان شامير يطلق على عرب فلسطين اسم عرب اسماعيل فيقول : « وصلت الاشجار الى قمتها الى الحد الذى لايمكن معه رؤية المنزل لا من الطريق ولا من الهضبة ، لا من مركز الموشاف ، ولا من اتجاه عرب اسماعيل » كما يصف ابا فاضل عندما ركع امام شبيرا متوسلا اليه حتى لا يطرده فيقول : « هذا عرض اسماعيلى بكل تفاصيله ودقائقه »

كما استعمل شامير بعض الكلمات من اللغة العربية سواء على لسان أبى فاضل أو لسان شبيرا ، فمثلا يقول على لسان شبيرا : « يا أبا فاضل خد معاك الناس والأولاد وكل شيء والله يسلمك ، ويقول على لسان أبى فاضل : نعم يا أفندى ... نعم يا أفندى ، تفضل ... لا ، ياشيخ ، ويقول فى مكان آخر « أبدا ، ياعمى ، أبدا » هذا ، بالاضافة إلى أن شامير قد استعمل بعض التعبيرات من اللهجة الفلسطينية مثل :

هه ، يازلمة ، أو أين أنت ؟
شو الله يسلمك يا أفندى .
موش بيكفى ياشيخ .

٥ ـ ناتان شاحم :[٤٩]

يعتبر "ناتان شاحم" من مجموعة الأدباء الشبان الذين يستوحون انتاجاتهم الأدبية من حياة الكيبوتس ومايعتريه من مشاكل ، واهتم بصفة

أساسية بهذه المشاكل ولكنه لم يفعل شيئا أكثر من أنه عرضها من خلال انتاجاته الأدبية ولم يقدم الحلول أو البدائل لكل هذه المشاكل التى تعترض حياة المستوطن اليهودى ولكن بعض المحاولات التى بذلها أخيرا أخرجته من نطاق هذه الدائرة الضيقة . ومن أهم القصص التى كتبها شاحم :

- الحبوب والرصاص ١٩٤٨ .
- دائما نحن ١٩٥٢ .
- حجر على فوهة البئر ١٩٥٦ .

ويقدم شاحم فى المجموعة القصصية "الحبوب والرصاص" نماذج بشرية من اليهود فى فلسطين ، ويركز من خلالها على الانسان اليهودى الذى يرى نفسه العمود الفقرى للحياة ويغوص فى أعماقه ويبرز مشاعره ومنطقه إزاء الحياة فى الكيبوتس ، كما يصف الطبيعة من خلال المزاج الشخصى للبطل (الشخصية اليهودية) فى فلسطين ويركز بصفة أساسية على الجيل السابق والجيل الحالى فى الكيبوتس وماقابلهم ويقابلهم من مشاكل تحتاج إلى حلول لها .

وفى قصته "دائما نحن" يركز شاحم على البطولة الخاصة بشباب "البالماح" الذين حاربوا فى النقب ، وهو يحاول أن يلقى الضوء من خلال هذه القصة على فترة معينة من التاريخ اليهودى ، ويجتهد فى إبراز عدد من الصفات الخاصة المميزة للشباب المحارب ويعبر عن فهمه للحياة وملامحه الروحانية والأخلاقية كل ذلك بهدف التأثير على نفسية الشاب اليهودى .

أما المجموعة القصصية التى بعنوان "حجر على فوهة البئر" فهى أهم ماكتبه شاحم وعنوان هذه المجموعة هو اسم أكبر قصصها التى تدور حول الهجرة اليهودية الثالثة إلى فلسطين ، ويهتم فيها بالوصف الملحمى وتصوير الملامح العامة للفترة التى تمت فيها هذه الهجرة .

ومن قصص هذه المجموعة ، قصة تراب الطرق (أفاق هدراخيم)[٥٠] وهى أهم قصص شاحم التى تتناول الشخصية العربية فى فلسطين . وقد ركز شاحم فى هذه القصة - كعادته - على نماذج بشرية يهودية وعرض من خلالها مشكلتين من أهم المشاكل التى تواجه المستوطن اليهودى فى

فلسطين ، وذلك بعد أن قدم وصفا على لسان البطل للطبيعة .

والكاتب يبدأ قصته "بكفتوروبتس" وهو يركب عربته ـ التى تجرها الخيول ـ وينقل عليها البرميل الخاص به من القدس إلى مستعمرة "روش بناة" ويركب بجواره الياهو ، اليهودى المهاجر حديثا إلى فلسطين ويريد أن يذهب إلى مستعمرة يبناه للبحث عن عمل هناك ، ويصف الكاتب على لسان البطل الطبيعة الساحرة بدقة متناهية وبراعة فائقة كما يصف العرب وقطعانهم وهم منتشرون فى الحقول وأثناء سير العربة يعرض الكاتب من خلال الحوار بين "كفتوروبتس" و "الياهو" إحدى المشكلات التى تواجه اليهود فى فلسطين ، وهى عدم وجود العمل اللائق بهم ، حيث يحاول البطل من خلال حديثه أن يجعل الياهو يفقد الأمل فى وجود أى عمل بل إنه يضع العراقيل أمام إمكان وصوله إلى مستعمرة "يبناه" فيقول له إن المسافة بين مستعمرة "روش بناه" ومستعمرة "يبناه" كبيرة جدا وإذا حاول الوصول إليها سيرا على قدميه فسيفنى قبل أن يصل اليها ، كما أنه يصف له القائمين على مثل هذه المهام هناك من أمثال هوخمان ، وسولتس ، ودننفلد بأنهم أشرار ومستغلين ولصوص ولا يقدمون أى مساعدة ، ويصف له مايعانيه هو نفسه من عمله الذى لا يليق به . والكاتب عرض المشكلة ولم يقدم الحل المناسب لها .

أما المشكلة الثانية التى عرضها الكاتب فهى مشكلة عرب فلسطين ومايلاقونه من معاملة سيئة وهذا يتضح من وصف كفتوروبتس أثناء سيره بعربته ومايظهر من سوء حالتهم ، والفقر المدقع الذى يعيشون فيه والمذلة والمهانة التى يعاملونه بها . والكاتب يشير على لسان البطل ـ إلى أنهم كانوا يعيشون مع العرب فى سلام قبل أن يأتى نظام الحكم العسكرى ولكنه لا يفصح عن هذا ولا يسترسل فى توضيح ذلك .

هذا وإذا كان الكاتب لم يقدم الحل لهذه المشكلة أيضا فإنه حذر فى نهاية القصة قائلا « إن العربى ليس صورة تصويرية فى كتب التاريخ ولكنه وجود حى ، يقف على أرضه ، وينظر فى عداء للآخرين » .

وقد استعمل الكاتب بعض الألفاظ باللغة العربية مثل : يلعن أبوك أسكت ولا أنا ، روحوا للبيت ، شوفوا . كما استعمل بعض التعبيرات من اللهجة الفلسطينية مثل : شومالك شوبدكم .

٦ ـ عاموس عوز :[٥١]

يهتم عاموس عوز فى كتاباته القصصية بتناول الأحداث العامة التى يجعل الكيبوتس مسرحا لها ، ولذلك فإن كثيرين من النقاد قد أشاروا إلى أن قصصه عبارة عن قصص عن الكيبوتس[٥٢] . وفى الحقيقة فإنه على الرغم من أن أحداث قصصه تدور على أرض الكيبوتس فإنها ليست عن الكيبوتس نفسه ويرجع ذلك إلى أنه ولد فى عالم بعيد عن الكيبوتس ولم ينضم إليه إلا وهو فى سن الرابعة عشرة .

هذا وقد تميزت كتابات "عاموس عوز" القصصية باستخدام صورتين أساسيتين من الصور البلاغية وهما التشبيه والاستعار[٥٣] . ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها :

الحب المتأخر من مجموعة حتى الموت ١٩٦٥

بلاد بن آوى مجموعة قصصية ١٩٦٥

وفى قصة الحب المتأخر (أهفاه مأوحيرت)[٥٤] نجد أن البطل الرئيسى مهتم بشىء واحد وهو أن الروس يدبرون لإبادة الشعب اليهودى ، وفى صورة محازية صورت رفيقة هذا البطل فى صورة قذرة وكل شىء حولها مشوب بالقذارة والتشبيه جاء لخلق تشابه بين الأفكار التى تظهر فى نطاق القصة ، وهذا التشابه لا يغير مايوجد من فروق بين هذه الأفكار ، ولكن يبرز مايوجد من علامات مميزة تحدد ملامح الصورة الواحدة .

وفى قصة بلاد إبن أوى (ارتسوت هتين)[٥٥] وهو الاسم الذى تسمى به المجموعة القصصية ، نجد أن بطل القصة يسمى "متحيا هود مقوب" لم يتناوله الكاتب على أنه شخصية عادية بل شبهه بالقرد فظهر لنا البطل جسمه جسم قرد ويتمتع بقدرة كبيرة وبالوحشية التى فى الغابات .

أما قصة "البدو الرحل والثعبان" (هنفاديم فتسيبع)[٥٦] فهى من القصص التى كتبها عاموس عوز وتناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية واستخدم فى كتابتها أيضا أسلوبى التشبيه والاستعارة ، وعناصر القصة الرئيسية هنا هى البدوى ، وجئولا ، والثعبان . وقد استعار الكاتب القهوة ليعبر بها عن مشاعر "جئولا" فعندما غلت القهوة

وأصبحت على وشك الفوران أسرعت جئولا ورفعت الإناء من فوق النار فرغم أنفها غلت ورغم أنفها ستبرد . والقهوة هنا تعكس شهوات "جئولا" المكبوتة ويمكن أن نرى فيها مثالا للقصة كلها ، فجئولا التى سببت لها حياة العزلة الغليان لم تصل إلى جلسة السكرتارية لحضور الاحتفالات التى كانت تشرف عليها والسبب فى ذلك هو البدوى وبعد ذلك الثعبان فقد تركوها فى انفعال وغليان وفوران وهذا يعنى بالنسبة للقهوة فقدها أما بالنسبة لجئولا فيعنى فقدها حضور الجلسات ولعل الكاتب كان موفقا هنا فى اختياره للقهوة ليعبر بها عن مشاعر "جئولا" لأن جئولا مرتبطة بالبدو وحياتها جزء من حياتهم وإذا كانت القهوة هى المشروب المفضل عند البدور فهى أيضا ذات أهمية خاصة بالنسبة لجئولا لأنها تجيد صنعها وكانت سببا فى أن يكون لها مكانة خاصة فى الكيبوتس .

وهكذا فإن محاور الحركة الرئيسية للقصة تظهر بصورة أكثر وضوحا استخدام صورتى التشبيه والاستعارة ، فلقاء جئولا بالبدوى الراعى البدائى يكمن فى علاقة التناقض والاستمرارية . إن الخوف والاشمئزاز ، والانسحاب هم ثمار الحالة النفسية المعروفة لبنت الكيبوتس . فعندما قال البدوى « فتاة جميلة ، حقا إنها فتاة جميلة جدا ، وأنا ليس لى فتاة ، مازلت صغيرا » نجد أن هذه الكلمات تتكرر فى حديث جئولا تعبيرا عن الخوف فتقول : « أنت مازلت صغيرا ، صغيرا جدا ، ربما تبلغ من العمر العشرين ، وربما الثلاثين ، أنت صغيرا ، لا توجد فتاة من أجلك ، صغيرا جدا » وعندما يقوم الراعى بطرد العنزة التى تتفوه بألفاظ غير مفهومة ويقول : « لا عقل ولا لطف » نجد أن جئولا تمنعه من طرد العنزة وتردد « لا عقل ولا لطف » وهنا تحولت العنزة وفى حدود الحوار إلى مركز استعارى ، فإذا كان الراعى قد قال هذه الكلمات لأنها قطعت عليهم الحديث بأصوات غير مفهومة فإن "جئولا" رددت نفس الكلمات على أساس أن الراعى قد اخترق أراض غير مخصصة له أى أن العنزة كانت بمثابة مرآة تعكس أعمال الراعى من اختراقه لحقول الزراعة .

أما الثعبان فقد لعب دورا رئيسيا فى القصة فقد استعاره الكاتب ليحل محل البدوى ومالم يحدث بين "جئولا" والبدوى فى البستان ، حدث بعد ذلك بين "جئولا" والثعبان بين أحواض الزهور التى فى المستعمرة فبعد أن لدغها الثعبان نجدها تتقلب على جنبيها وتلف وتسند رأسها المتعبة

على ذراعيها ونشوة المتعة تهز جسدها ، وهكذا تحول أبطال القصة الثلاثة : البدوى ، وجئولا والثعبان إلى ثلاثى واحد .

وأسلوب الكاتب فى الصياغة باستخدام التشبيه والاستعارة واضح أيضا فى استخدام بعض الكلمات . فكلمة لتخرج استخدمها الكاتب لتسجل الهدف من حركات "جئولا" ، فهى تستخدم لتصور خروج الفتاة إلى الطريق الترابى وهى فى طريقها إلى بستان المستعمرة ، ثم تتكرر الكلمة مرتين فى الفقرات التى تصور خروج جئولا من الحمام : الخروج الأول من الفتحة التى فى السور يؤدى إلى البدو ، والخروج الثانى من الحمام يؤدى إلى القىء والغثيان . فكلمة لتخرج هى صدى يتردد فى وعى الفتاة ، وكأنها تعبر عما فى عقلها وكأن كل المشاعر تتركز فى هذه الكلمة .

المجموعة التى تربت فى شرق أوربا :

١ ـ أشير باراش[٥٧]

قاص واقعى ، من الأدباء العبريين الذين اهتموا إلى حد كبير بأدب غرب أوربا ، وذلك على عكس برنر ، وجنسين ، وبركوبيتس الذين تأثروا أساسا بأدب شرق أوربا . ولذلك نجد أن كتاباته يظهر عليها التأثير الغربى أكثر من تأثير الارث اليهودى عليها على الرغم من اهتمامه بالماضى التاريخى لليهود .

وكان باراش ينظر إلى مشاكل الحياة بنظرة حزينة كئيبة ، ويصورها كما هى كمتطلع إليها دون أن يقدم لها الحلول المناسبة . ويشير "دوف سيدن" إلى أن هذه النظرة الحزينة كانت انعكاسا للواقع الأليم الذى كان يعيش فيه[٥٨] . وتميزت كتاباته القصصية بما يلى :

١ ـ الواقعية التى لا تتجاهل مشاعر النفس وأحاسيسها .

٢ ـ على الرغم من أن قصصه التى لا ترتبط بالمشاكل الاجتماعية لا تكثر فيها الشخصيات إلا أنها يوجد فيها من العمق الفنى ما لا يمكن تجاهله فى الأدب القصصى العبرى .

٣ ـ يوجد فى قصصه من التفصيلات مايساعد على إيضاح وبلورة الصورة التى يريد إبرازها دون إسهاب فى تفصيلات جانبية .

٤ ـ تميزت قصصه القصيرة بالبساطة وتناولت نماذجا من الحياة البشرية كما هى فى الواقع .

ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ وتناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية :

الحاج إبراهيم ١٩٥٢
صفية المسيحية ١٩٥٢

وقصة الحاج إبراهيم[٥٩] عبارة عن وصف لنموذج من نماذج الحياة اليومية بين عرب فلسطين . وقد جاء الوصف دقيقا وواقعيا دون إفراط فى تفاصيل جانبية حيث ركز باراش فى وصفه على شيئين رئيسيين وهما الحاج إبراهيم (بطل القصة) ، والطبيعة وقدم فى سبيل ذلك مايظهر كل شيء منهما فى صورة واضحة ، والقصة بصفة عامة تفتقد إلى الحبكة القصصية .

فالحاج إبراهيم ، تاجر خضراوات ، حج ذات مرة إلى مكة المكرمة ولذلك فإنه يلقب بالحاج ، وهو رجل مسن يرتدى قفطانا طويلا ، وله لحية منسقة حول وجهه العريض . يجمع الخضراوات من صديقته ويحضرها إلى محله صباح كل يوم ليبيعها إلى زبائنه وعندما لا يكون عنده خضراوات فإنه يجلس أمام محله مع بعض أصدقائه من العرب يتسامرون ويتمازحون . أما فى يوم الجمعة فبعد الانتهاء من الصلاة فى المسجد فإن ابنه أو حفيده يضع عدة كراسى من الأماليد المجدولة أمام المحل ليجلس عليها الحاج وضيوفه ويقدم لهم النرجيلات ومعها الجمرات النارية ، ونظرا لأنه يجلس كل يوم فى مكان واحد فإنه يعرف جميع الذين يمرون من أمامه سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ويرد عليهم التحية بوجه بشوش وهادىء .

واذا كان باراش قد أشار إلى أن ابراهيم رجل مسلم حيث أنه أدى فريضة الحج ويؤدى صلاة الجمعة ، فقد أشار أيضا إلى أنه يؤمن بالقدرية : فعندما سأل الحاج إبراهيم شخصا من زبائنه عما تكتبه الصحف ، وقال له الشخص : « هؤلاء يكتبون وهؤلاء يكتبون ولكن الله هو الذى يعلم الحقيقة » ، رد عليه الحاج قائلا : « لقد أصبت فيما قلت يامعلمى .. الله فقط هو الذى يعرف . إنه هو الذى أحضرنا إلى هذا العالم ، وهو الذى سيأخذنا منه » .

أما بالنسبة للطبيعة فقد وصفها باراش على أنها جميلة وتنتشر فيها الحدائق المليئة بالأعشاب والغابات . وهكذا نجد أنه قدم وصفا دقيقا وواقعيا لبطل قصته والطبيعة التى يعيش فيها .

وقد استخدم الكاتب بعض الألفاظ العربية المصحوبة بعلامة النداء العربية مثل : ياخواجة ، ياست ، يامعلمى ، ياحاج .

وقصة صفية المسيحية[٦٠] ، هى قصة أخرى من القصص التى تناول باراش من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية ، وهى أيضا عبارة عن وصف لنموذج آخر من نماذج الحياة اليومية لعرب فلسطين ، وقد كتبها بنفس الطريقة التى كتبت بها قصة الحاج إبراهيم ، فهى تفتقد إلى الحبكة القصصية وتخلو من التفاصيل الجانبية ويتم التركيز فيها على وصف النموذج البشرى (صفية المسيحية) من ناحية ، والطبيعة التى تتمثل فى المنزل الذى تعيش فيه من ناحية أخرى .

فصفية إمرأة عربية متزوجة من عربى ولها خمسة أولاد يرتدون الملابس القطنية القذرة ، وشعر كل منهم يسقط على مقدمة رأسه ، وربما يكونون مصابين دائما بالتهاب العينين المزمن .

وكانت صفية ترتدى فستانا طويلا لونه أزرق قاتم ، وقدماها حافيتان ، وقذرتان وتقوم ببيع الغلال (القمح ، والفول ـ والبسلة ـ والذرة) لليهود ، وتأخذ سمسرة مقابل ذلك من أصحاب هذه الغلال . وفى أوقات الفراغ تجتمع هى وزوجها مع أصدقائهما من العرب فى منزلها يلهون ويمرحون .

أما المسكن الذى تعيش فيه صفية المسيحية فهو منزل حجرى ، منخفض داخل فناء مسور ، وبجانب مدخل الفناء يوجد شىء يشبه الكوخ وبه صندوق كبير تحفظ صفية فيه الغلال التى تبيعها .

ويلاحظ فى هذه القصة أن الكاتب لم يستخدم ألفاظا عربية باستثناء كلمتى بدل ، ودربكة ، وربما يرجع ذلك إلى أن بطلة القصة كانت قد تعلمت الألمانية فى طفولتها ولذلك فإنها كانت تنطق الألفاظ العربية ـ عندما يكون الحديث على لسانها ـ كما ينطقها الأجانب وليس كما ينطقها العرب .

٣ ـ حاييم هزاز :[٦١]

خصص هزاز معظم كتاباته لتصوير الشخصيات والنماذج والصور كما خصص بعضها لوصف حياة القرى والزعماء القرويين .

ويقول لخنتبوم : إن هزاز قد تميز فى بعض كتاباته بالأسلوب الهزلى مثل (شالوم عليخم)[٦٢] . ولكن فى حين أن "شالوم عليخم" قد أعطى الدعاية للشخصيات والأشياء لتتأثر من تلقاء نفسها ، فإن هزاز استخدم الدعاية إزاء الموضوعات التى يعرضها ، أى أنه يعرض الدعاية التى ليس فيها طابع السخرية القوية بل التى تميل إلى الموضوعية .

هذا وقد تميزت كتابات هزاز ـ بصفة عامة ـ بما يلى :

- القدرة الفائقة على المزج بين عالم الشتات اليهودى والعالم اليهودى فى فلسطين .
- الوصف الدقيق لواقع الجماعة اليمنية سواء فى اليمن أو فى فلسطين .
- التحدث مع كل شخصية من شخصياته بلغتها المناسبة .
- وصف للواقع اليهودى فى فلسطين والصراع مع الطبيعة الفلسطينية .

ومن أهم الكتابات القصصية التى كتبها :

- الأفق المائل (افق ناتوى) مجموعة قصصية ١٩٥٨ .
- أبو يوسف ١٩٦٣ .

وفى المجموعة القصصية التى بعنوان الأفق المائل يصور هزار ملامح الاستيطان اليهودى فى فلسطين ومحاولة تكيف المهاجرين الجدد مع الأرض الجديد التى هاجروا اليها .

أما قصة "أبو يوسف"[٦٣] ، فهى قصة قصيرة ، واحدى قصص هزار التى تناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية . بطلها أبو يوسف ، الرجل العربى المسن الذى يعمل حارسا فى أحد السجون البريطانية بفلسطين فى نهاية الانتداب البريطانى . وهى عبارة عن ديالوج بين أبى يوسف وأحد السجناء اليهود ، يريد هزار أن يبين من خلاله بطولة الشعب

اليهودى واصراره على العودة إلى فلسطين ومايتحمله من مشقة وصعاب فى سبيل ذلك ، وكذلك صورة العربى : الرجل المطحون بين رحى الانتداب البريطانى من ناحية ، والاستعمار اليهودى الجديد من ناحية أخرى ، والذى بارت أرضه وزرعه وسلبت منه ممتلكاته فاضطر إلى تركها والعمل فى حراسة السجون .

وهذه القصة تعكس نوعا من التوتر والقلق الناتج من خوف هزار على انهيار القيم اليهودية وضياعها وتهديد الاستقرار فى الأرض التى اغتصبوها من أصحابها . حيث نجد أن أبا يوسف ينبه الياهو أثناء حديثه معه قائلا له : « نحن ياسيدى الأرض ، نحن الغالبية » ، « إن الذبح لا يخيف البهائم الكبيرة » ثم يقول له أبو يوسف مرة أخرى « لقد انتقم بدوى من عدوه بعد ٢٠ سنة وهو بذلك يحذر من أن العرب لن يتهاونوا فى الأخذ بثأرهم ولو بعد حين ، ولذلك يجب التنبيه حرصا على الكيان اليهودى الجديد .

وقد استخدم الكاتب بعض الكلمات* العربية مثل "أيوه" ، "ياولدى" كما استخدم بعض الأمثال الشائعة مثل "لشفت الجمل ولا الجمال" .

٣ ـ يوسف أريخا :[٦٤]

قاص ملحمى ، يصف الأحداث والأمزجة النفسية ، ويعطى رأيه فيها بصراحة ووضوح . ويعتبر من الكتاب الذين انتقدوا الحياة القديمة فى المهجر بالاضافة إلى تصويرهم للواقع الجديد فى اسرائيل ، ولكنه تميز عنهم بأن تناوله للواقع اليهودى فى اسرائيل لم يكن على صورة واحدة ، ولكنه تناول عدة صور متنقلا بين الكيبوتساه أو الكيبوتس إلى الموشافاه ومن الوشافاه إلى المدينة . ولذلك فإنه يعتبر من الأوائل الذين نقلوا صورة واضحة عن حياة الكيبوتس والكيبوتساه ، وحياة القرية والموشافاه ، وعن حياة العمال الزراعيين ، وعمال البناء ونجح فى تحديد خطوط تطور الحياة الجديدة .

"ويوسف أريخا" يكتب قصصه من خلال نظراته الخاصة ، نظرة المصور الذى ينظر إلى الطبيعة ثم ينسج قصته من خلال وجهة نظره ، كما يصور أعمال الانسان بصراحة وملاءمة بين أعمال الانسان وطابعه ومصيره . ويتميز أسلوبه بالبساطة والوضوح ، وهو يستعين بكل مظاهر

الطبيعة لخدمة حبكته الرئيسية ، ويصور غرائز الانسان : أشواقه بالنسبة للمرأة ، وحبه للمال ، وذلك عن طريق انسجام الأساس الوصفى التصويرى مع الحوار الدرامى .

هذا وقد اختار "يوسف أريخا" القصة القصيرة لتكون أساسا لانتاجاته الأدبية ، وتميز بالاندماج فى شخصياته والتعبير عن مشاعرهم ، كما تميزت كل قصة من قصصه بمستوى ثقافى معين ، وتعمد اخضاع اللغة والأسلوب لطبيعة الموضوع وذلك حتى يجذب القارئ إليه ويجعله وكأنه فى نزهة سريعة بين المناظر والأعمال التى تحدث فى الواقع .

ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها فى الفترة من ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٧ مايلى :

- يوم وليلة من مجموعة قصص أريخا ١٩٥٤
- خطوات فى النار من مجموعة قصص أريخا ١٩٥٤
- منظر ليلة من مجموعة قصص أريخا ١٩٥٤
- المصور والراعى من مجموعة قصص أريخا ١٩٥٤

ويتناول "أريخا" من خلال قصة "يوم وليلة" (يوم فليلا) طبيعة فلسطين ، والمنظر الطبيعى والمنظر الشخصى ، وفى حقيقة الأمر أن هذه القصة عبارة عن تصوير للحب بين طبيب بيطرى شاب فى الموشافاه ومدرسة شابة . والقصة تعكس لنا الطبيعة الخضراء ومشاعر البطلين . وقد حاول الكاتب تصوير المواقف بما يخدم الحبكة الرئيسية للقصة .

أما قصة خطوات فى النار (تسعاديم بأيش) ، فإن أريخا يعود فيها إلى المهجر ، ويحكى من خلالها قصة امرأة يهودية ، اختبأت من الجيوش الألمانية فى حديقة منزل رجل بولندى فى ذروة أيام القتال . وقد كتبت هذه القصة بسلاسة متناهية ولكن ليس فيها عمق موضوعى كما أنها تفتقد التسلسل الفكرى .

أما قصة "منظر ليلة" (نوف شل ليلا) فهى احدى القصص القصيرة التى كتبها "يوسف أريخا" وتناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية[٦٥] وهى تحكى قصة شخص يهودى اسمه جلعادى من مستعمرة "تل تسوك ذهب إلى المدينة ليشترى أدوية لابنته حسب توصية الطبيب ، ولكن نظرا لما حدث له من اضطرابات بسبب مرض ابنته فإنه

نسى آخر موعد للاتوبيسات ووقف حائرا ، وفى النهاية قرر ألا يبيت فى المدينة وأن يذهب إلى القرية ولو سيرا على الأقدام وفعلا بدأ يبحث عن سيارة توصله إلى خارج المدينة ليواصل سيره فى الحقول رغم أن الطرق مليئة بعصابات السلب والنهب . فركب سيارة مكتظة بالفلاحين العرب الذين كانوا ينظرون إليه بنظرات مختلفة بين مبتسم ومستعجب حتى وصل إلى مفترق الطريق وهو المكان الذى حدده لنفسه ليبدأ سيره على الأقدام ، فقفز من العربة وبدأ السير بين الحقول وهو يحمل دوسيها من الجلد البال ، يقفز بين الكتل الطينية اليابسة بسهولة وسرعة وأمامه هدف واحد وهو الوصول إلى زوجته وابنته اللتين تنتظرانه بفارغ الصبر .

وبينما هو يسير وسط الطريق : وقع بين أيدى جماعة من المدنيين المسلحين (مجموعة من الفدائيين) . وزعيم الجماعة هو أبو يوسف . وحسب وصف الكاتب فإنها نفس الجماعة التى هاجمت "تل تسوك" منذ ثلاثة أيام . وقد أخذ أفراد الجماعة جلعادى معهم إلى مكان بعيد ، وبعد أن وصلوا إلى هذا المكان واستراحوا مثُل جلعادى أمام أبى يوسف للتحقيق معه ، ولم ينكر جلعادى أنه كان من بين من ردوا بالنيران عندما هوجمت مستعمرتهم فأمر أبو يوسف بتفتيشه وعندما أخرجوا مامعه من أوراق وقعت عيناه على صورة تشبه صورة ابنته « لطيفة تماما ، وبمجرد أن أوضح له جلعادى أنه يريد الذهاب إلى ابنته ليعطيها الدواء قال له : اذهب إلى ابنتك بسلام . بسم الله الرحمن الرحيم .

وفى هذه القصة نجد أن يوسف أريخا قد صور الأحداث فى بساطة وواقعية ويتضح هذا عندما صور العرب وهم يركبون السيارة ومكتظين فوقها ، وفى تصويره للطبيعة ، الأرض بكتلها الطينية ، وصوت المياه وهى تنحدر فوق الصخور كما عبر أحسن تعبير عن مشاعر أبى يوسف عندما رأى صورة جلعادى التى تشبه صورة إبنته والتى أثارت فيه دوافع الشفقة والرحمة ودفعته إلى اتخاذ القرار بأن يتركه ليذهب إلى ابنته .

هذا ، ويلاحظ أنه يوجد فى القصة إشارة إلى بعض عادات عرب فلسطين ، والتى تبدو من وصف الكاتب عندما جلس أبو يوسف يستمع إلى التحقيق وتجمع رجاله على بعد خطوات منه كنوع من الاحترام ، وعندما جلسوا وأرجلهم مطوية فى دائرة حول النار منكبين على مأدبة

الغداء على عجلة حديدية مقعرة يأكلون فتات الخبز كعادة العرب عندما يجلسون ليأكلوا ، وعندما ردد على لسان أبى يوسف قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم » اذهب إلى ابنتك بسلام كعادة أى مسلم عندما يبدأ عمله .

وقصة الرسام والراعى (هتسيار فهروعيه) هى احدى قصص "يوسف أريخا" القصيرة التى تناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية أيضا[٦٦] . وهى تحكى قصة راع عربى ، كان يرعى الغنم وفجأة وجد أمامه الرسام اليهودى "ألونى" الذى كان يجلس فى خلوة ليرسم بعض المناظر الطبيعية فانتابه القلق لأن هذا المنظر أثار فى ذاكرته حادثة قديمة فتخيل أن هذا الرسام يجهز التسجيلات لشراء هذه الأرض على الرغم من أنه أوضح له أن عمله رسم المناظر فحسب ولذلك بدأ يحكى لألونى قصة عابر الطريق المجذوب الذى ادعى أنه عراف واستخدم كل أساليب المكر والخداع ليكسب ثقة أهل القرية ثم اتضح فى نهاية الأمر أنه لورانس ـ القائد الانجليزى وقد فعل كل ذلك من أجل أن يثير حمية عرب القرية ليحاربوا مع الانجليز ضد الأتراك لتكون الغلبة لهم ويسيطرون على البلاد . وفى النهاية عبر الراعى لألونى عن قلقه وخوفه من أن تكون مهمته للسيطرة على مزيد من الأراضى مثل الرجل اليهودى الذى شاهده منذ فترة بسيطة يقف وينظر بنظارته ويبدى عدة انطباعات وبعد ذلك بعدة أيام جاءوا وأقاموا فى المكان الأكواخ وسورا من الأشجار مليئا بالحجارة ، وسلكا شائكا ، وبرجا عاليا وعلى قمته مصباحا كهربائيا كبيرا ثم جاءت الجرارات وسوت الأرض التى حوله تمهيدا للاستيطان . وقال له فى النهاية : « إننى لا أستبعد ياخواجة أن يحدث بعد أن أذهب أن أتى غدا وأجدكم قد أقمتم لكم مكانا للاستيطان هنا مما أثار الرعب والقلق فى قلب المصور خوفا من أن يعود الراعى من الخلف وينقض عليه ويتخلص منه .

وهنا نجد أن "يوسف أريخا" قد تمكن من أن يعبر فى وضوح عن مشاعر العربى وماينتابه من مشاعر الخوف والقلق ازاء مصير أرضه التى يتم الاستيلاء عليها بعد سلسلة من الاجراءات المختلفة وذلك من خلال الديالوج بين الراعى والمصور ، وقد ظهرت قدرة "أريخا" الفائقة على تجسيد مشاعر الراعى فى قصة العراف التى حكاها الراعى للمصور

وأعرب فيها عن قلقه من أن تكون مهمته أيضا تمهيدا للسيطرة على مزيد من الأراضى مما أثار الرعب فى قلب المصور خوفا من أن يتخلص منه الراعى حتى لا يكمل مهمته .

هذا ويلاحظ أنه يندر استعمال "أريخا" للألفاظ العربية ، فعلى الرغم من أنه قد أشار إلى أن أبطاله يتكلمون العربية فإنه كان يتحدث على لسانهم بالعبرية ولم يستعمل الألفاظ العربية سوى مرة واحدة عندما قال سلام عليكم كما أنه استخدم أداة النداء العربية مرة واحدة أيضا عندما قال ياسعيد .

٤ ـ يوسف حنانى :[٦٧]

قاص واقعى ، يصف الحقائق كما هى بكل تفاصيلها وقد بدأ حياته الأدبية بكتابة الرواية ثم انتقل بعد ذلك إلى كتابة القصة القصيرة وذلك على عكس من سبقه من الكتاب اليهود ـ أمثال يهوشع بريوسف ، وشرجا قدرى ـ الذين بدأوا حياتهم الأدبية بكتابة القصة القصيرة ثم انتقلوا إلى كتابة الرواية فى مرحلة لاحقة ، وقد تأثر إلى حد كبير بيوسف حاييم برنر وتميزت كتاباته القصصية بما يلى :

١ ـ اهتم بتناول النماذج غير العادية فى الحياة أى التى تسبب الآلام والأحزان للآخرين ، وكذلك التى تسبب لهم الفرح والسعادة .

٢ ـ الدقة فى التصوير ، والقدرة الفائقة على التعبير .

٣ ـ يهتم بالتفاصيل الدقيقة ويصفها مجردة وبواقعية تامة .

٤ ـ أدت دقته فى الوصف ومحاولته تصوير الواقع بدقائقه إلى ضعف كتاباته فنيا ، ولكن هذا الضعف كان يتلاشى تحت ستار مشاعر الشفقة والرحمة التى كانت تغمر قلبه وتنعكس آثارها على كتاباته .

ففى روايته "تحت وطأة الاحتلال" (بعول هكبوش) التى تتناول مشكلة الشباب الذين كانوا تحت وطأة الاحتلال البريطانى ـ نجده يتتبع الأحداث الأليمة التى فى الحياة من خلال التصوير الدقيق للواقع بكل تفاصيله .

وفى روايته "منزل مدهون فى حديقة" (بيت ملبين ببرديس) نجده يعرض مصاعب الطموحات الحالوتسية ، ومخاوف الحالوتسيم من المخاطر التى تعم الحياة .

وفى روايته "حظ" (مازال) يصف "حنانى" الآلام التى تحيط بعملية الاندماج بين الطائفين : السفردية ، والاشكنازية وذلك من خلال الحب بين فتاة سفردية وشاب اشكنازى .

ومن أهم القصص القصيرة التى كتبها عن الشخصية العربية الفلسطينية خلال الفترة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ : قصة مزمار أحمد (حليلو شل أحمد) ١٩٦٠ .

وتدور أحداث هذه القصة[٦٨] على شاطىء نهر اليرقون حيث كان يسراليك (شخص يهودى) يجلس ويضع قدميه فى المياه الدافئة ويطيح بجسده على الرمال بين الأضواء والظلال التى تتحرك كالفراشات ويترك نفسه لتموجات الرياح المليئة بالمياه والشمس ، ويشعر فجأة بأن شخصا ما يقف بالقرب منه وحينما يفتح عينيه وجد شابا عربيا اسمه أحمد يقف على بعد خطوات معدودة منه وراء جذع شجرة ومعه مزمار يعزف عليه وما أن رأى أحمد يسراليك وهو ينظر إليه حتى انتابه الخوف وبدأ ينظر حوله بنظرات مليئة بالرهبة والرعب .

وهنا يوضح الكاتب كيف حاول يسراليك أن يزيل مخاوف أحمد بأن نادى عليه ، وأثنى على عزفه وطلب منه أن يستمر فيه ثم كرر له ثناءه بعد أن انتهى من العزف وشكره على استجابته وأعرب له عن شديد إعجابه ودعاه لتناول الطعام معه مما جعل أحمد يطمئن له ويتناول معه الحديث حتى افترقا .

ويلاحظ فى هذه القصة أنه على الرغم من أنها تفتقد إلى الحبكة القصصية فإن ذلك قد تلاشى أمام مظاهر الشفقة والرحمة التى حاول حنانى أن يعرب عنها من خلال تصرفات يسراليك . كما يلاحظ أنه وصف الطبيعة بتعبيرات جميلة تتناسب مع جمالها حيث يقول : « أضجعت بكل جسدى بين الأضواء والظلال التى تتحرك كالفراشات ، أضجعت نائما وغير نائم أسمع تموجات المياه المتدفقة التى كانت ترن فى أذنى وكأنها نغم ساحر .

كما وصف حنانى الطبيعة بدقة متناهية فلم يترك شيئا من مظاهرها التى تبدو له إلا وذكرها : الأشجار ، والنهر ، والمياه الدافئة ، والأضواء ، والظلال والفراشات ، والرياح والشمس والحيوانات ، والقرى والمستعمرات اليهودية ، والطرق الرملية والمزارع والحدائق .

ويظهر فى القصة تأثير الكاتب باللغة العربية حيث استخدم بعض الكلمات العربية مثل : كتر خيرك ، أنت لازم بتعلم عبرانى ، امسك ، أيوه ، كما استخدم علامة النداء العربية مثل : ياولد ، يا أحمد .

واستخدم بعض التعبيرات الفلسطينية مثل : تعالى هون ، شو اسمك ، كويس كتير ، أنا موش باعرف ، وحياة الله انت كويس كتير .

٥ ـ إسحق أورباز :[٦٩]

قاص ملحمى وعاطفى ، اتسمت كتاباته القصصية بتناول النماذج الفردية ، والتعمق فى جوهر الأحداث ويعتمد فى كتاباته على قدرته الفائقة على التعبير عما يجيش فى صدره من الانطباعات التى تنعكس عن احتكاكه بالواقع .

وهو يلعب دورا بارزا فى قصصه ولذلك فإنه يحاول إيجاد علاقة بينه وبين أبطالها ولكن فى حذر حتى لا يترك فرصة للقارىء للخلط بينه وبينهم ، وربما تبدو هذه العلاقة فى وجود تشابه بين اسمه والأسماء التى يختارها لأبطاله . ففى قصته "منزل لشخص واحد" (بيت لادام أحاد) نجد أن البطل اسمه ايزيدور لورنين وهذا الاسم يشترك مع أورباز فى الحروف الثلاثة الأولى[٧٠] . وبصفة عامة فإن أورباز يتميز فى كتاباته القصصية بما يلى :

١ ـ ضعف البناء العام وبصفة خاصة فى القصص التى تتناول سير الحياة الشخصية .

٢ ـ يوجد فى قصصه إحساس قوى بالواقع الاجتماعى الاسرائيلى .

٣ ـ على الرغم من أنه لا يكتفى بوصف المناظر البارزة التى فى الطبيعة ، ويحاول إيضاح الصور الجانبية حتى ينقل صورة دقيقة للقارىء ، فإنه غالبا مايغير من وصف التفاصيل الجانبية حتى لا يكون هناك تطابق بين الصورة ومصورها .

٤ ـ يتميز باستخدام الجمل القصيرة ، وكسر وحدة الجملة الطويلة باستخدام علامات الترقيم .

٥ ـ يستخدم بعض التشبيهات الرمزية مثل : النمل ، والشمعدان الفضى ، وهذه الرموز تتحول إلى محور رئيسى تتجمع حوله مناظر الحاضر وذكريات الماضى .

٦ ـ لديه القدرة على أن يجعل بطله الرئيسى يتحدث بطرق مختلفة ، ويستطيع نقل نقطة التركيز من البطل الرئيسى إلى الصور التى حوله .

٧ ـ البطل الثائر فى قصصه يتحول وهو فى قمة ثورته إلى شخص يطلب الخلاص أو مطارد يبحث عن ملجأ هادئ .

ومن أهم القصص التى كتبها وتناول من خلالها الشخصية العربية الفلسطينية (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) قصة "على سن الطلقة" (عل حودو شل كادور) ١٩٥٩ وقصة "على سن الطلقة" تحكى قصة أسير عربى وقع بين يدى "اسحق أورباز" وهو يتجول بالقرب من قطاع غزة ـ عندما كان يؤدى الخدمة العسكرية ـ ليستمتع بشمس الخريف وبينما كان يسير أمام مغارة تفوح منها رائحة روث الماعز والجمال ، أحس فجأة بشعور غير عادى تجاه هذه المغارة فاعتقد أن هناك شخصا ما يوجد داخلها ، وحاول أن يختبر شعوره الداخلى فدخل المغارة وحينئذ رأى بعض الأسمال السوداء البالية فاتجه على الفور إلى دولاب الملابس وما أن فتحه حتى خرج منه شخص عربى طويل القامة وفى يده بندقية ، فوجه اليه أورباز العوزى وضغط على الزناد فلم تخرج الرصاصة فألقى العربى بندقيته وسقط على وجهه تحت قدميه وطلب منه ألا يقتله .

وكان أورباز يخشى أن يكون العربى من الفدائيين ولكنه فكر وقال : صحيح أن هذا الرجل يضع على رأسه عقالا وكوفية ولكنه لا يحمل كارل كوستاف مثل الفدائيين انه يحمل بندقية تركية قديمة ذات ماسورة صدأة ، إذن فهو أحد الفدائيين القرويين ورفع يده من فوق الزناد وأمره أن يرفع يديه فوق رأسه ويسير أمامه فى الطريق إلى خربة جامون ، وكان يوجه اليه السباب والشتائم ويضربه حيث يقول : أمرته أن يرقد على وجهه ويديه ممدودتين ومبسوطتين ، وضربته بحذائى على مؤخرته » .

وهما فى الطريق سأله عن اسمه فقال العربى أن اسمه "ابراهيم عبد المحسن جامونى" من قرية جامون . وفتشه أورباز فلم يجد معه شيئا سوى بعض التبغ اللزج ونصف رغيف من الخبز ومنديل بداخله صورة لفتاة عربية ، وصورة عائلية لعجوز أعمى ، وشابين منفوضى الصدر ، وعيونهم تلمع ، وشاربيهما مدببان . أحدهما يمسك ببندقية والآخر فى يده سيف فارسى معقوف . وعندما سأله أورباز عن الصور قال العربى : إن الفتاة هى خطيبته التى أحبها ولكن والدها رفضه زوجا لها لفقره ولذلك فإنه يفكر فى بيع البندقية بالاردن ليقدم ثمنها مهرا لعروسه ، أما العجوز الذى فى الصورة الثانية فهو والده الذى توفى بعد أن رفض أن يترك هذه القرية وقال : إن أبى وجدى ولدا هنا وماتا هنا . إننى سأبقى هنا والله يفعل مايريد والشاب الذى يحمل البندقية هو شقيقه ، وقد قتله اليهود ، أما الشاب الآخر فهو ابراهيم عبد المحسن جامونى نفسه .

ويصف أورباز الخربة عندما اقترب منها ومعه الأسير على أنها لم يتبق منها سوى شجرتين ومبنى من الحجارة على قمة التل المنخفض كما أنه لم يترك شيئا فى الطريق إلا وأشار إليه : الأراضى الزراعية القاحلة ، والأراضى الخربة ، والمنازل المهدمة ، كما يعبر عن الخوف الذى انتاب العربى عندما اقتربا من الخيمة التى يجلس فيها شموليك ـ ضابط المخابرات ـ وتوسل العربى إليه ألا يقتله ولكنه لم يأبه بتوسلاته وسلمه إلى شموليك الذى نادى على يعنكله ـ جندى ـ وأمره بأن يأخذه ويحبسه ولا يجعل أحد يتحدث معه كما سلمه البندقية ليجربها حتى يرى إذا كانت صالحة للاستعمال أم لا . وفعلا أخذ يعنكله البندقية ولكن بدلا من أن يجربها فى الهواء الطلق فإنه جربها فى العربى فأراده قتيلا .

ويلاحظ أن الكاتب قد استخدم بعض الكلمات من اللغة العربية مثل : الشباب ، مفيش مهر ومفيش بنت .

ونود أن نشير إلى أنه رغم وجود تشابه بين أورباز فى هذه القصة (على سن الطلقة) ويزهار سميلانسكى فى قصة الأسير حيث كل منهما يلعب دورا فى قصته ويتشابهان فى وصف الطبيعة فإن هناك خلافا جوهريا بين تناول كل منهما لموضوع الأسير ويكمن هذا الخلاف فيما يلى :

١ ـ حاول يزهار سميلانسكى أن يعبر عن نقمته على مايحدث مع العربى الأسير ومايتنتظر زوجته وأولاده من مصير يائس . أما أورباز فهو الذى ذهب بنفسه والقى القبض على أسيره بدون تعليمات صادرة اليه .

٢ ـ عبر سميلانسكى عن ضيقه إزاء عدم قدرته على اطلاق سراح أسيره خشية مايلقاه من عقاب بعد ذلك من قيادته ، فى حين أن أورباز كان يمكنه إطلاق سراح أسيره دون أن يترتب على ذلك أى شىء ولكنه لم يفعل .

٣ ـ لم يلحق سميلانسكى بأسيره أى أضرار ولم يوجه إليه أى سباب أو شتائم أثناء اقتياده إلى الموقع العسكرى ، ولكن أورباز كان يوجه إلى أسيره الشتائم والسباب ويركله بكلتا قدميه .

٤ ـ إذا كانت قصة سميلانسكى قد أثارت اهتماما كبيرا بسبب التحفظ الواضح من أى تطرف قومى غير إنسانى ، ورفض البطولة الرخيصة ، وتعليم الجيل الشاب فى اسرائيل ضرورة احترام العدو ممثلا فى الانسان العربى فعلى العكس من ذلك نجد أن قصة أورباز تثير القلق ازاء هذا التطرف غير الانسانى والمعاملة البشعة للانسان العربى .

مراجع وهوامش الباب الأول

١ ـ بدأت حركة الهسكالاه بين اليهود فى ألمانيا فى ثمانينيات القرن الثامن عشر (١٧٨٠ ـ ١٨٨٠) نتيجة للاشعاعات الفكرية الأوربية التى تسربت إلى حاراتهم الضيقة ، وقد تمكنت من إزالة الفواصل التى تفرق بين اليهودى والشعوب الأخرى وغيرت كل صور الحياة اليهودية مستأصلة منها كل إشارة ذات أهداف سياسية أو قومية أو صهيونية أو دينية وكان لذلك أثر كبير فى التاريخ والفكر اليهودى . وعندما انتقلت الحركة الى شرق أوربا تمكنت من إثارة الثورة ضد نظام الحياة اليهودية فى منطقة الاستيطان وعملت على إحياء اللغة العبرية والأدب العبرى الحديث والتراث اليهودى الأمر الذى أدى الى تمهيد قلوب اليهود الى قبول الفكرة القومية اليهودية

٢ ـ كلوزنر ، يوسف (دكتور) : تاريخ الأدب العبرى الحديث (هستوريا شل هسفروت هعفريت هحدشاه) ، الجزء الأول ، دار نشر ص اسب ، تل ابيب ، ١٩١٠ ، ص ٦ .

٣ ـ عبدالفتاح . نازك (دكتوره) : أضواء على الأدب العبرى الحديث من أواخر القرن الثامن عشر إلى أوائل القرن العشرين ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٢ ، ص ١٣

٤ ـ عبدالفتاح ، المرجع السابق ، ص ٦٥

٥ ـ الشامى . رشاد (دكتور) : لمحات من الأدب العبرى الحديث مع نماذج مترجمة ، مكتبة سعيد رأفت ، ١٩٧٩ ، ص١٣

٦ ـ شاكيد ، جرشون : الأدب القصصى العبرى (هسبورت هعفريت) ١٨٨٠ ـ ١٩٧٠ ، دار نشر كتير الكيبوتس الموحد ، ١٩٧٧ ، ص ٦٢ ـ ٦٤

٧ ـ هيئة التحرير : القصة القصيرة اتجاهاتها وقضاياها ، مجلة فصول ، المجلد الثانى ، العدد الرابع ، ١٩٨٢ ، ص ٥

٨ ـ قطب . محمد : قراءة فى القصة القصيرة ، المكتبة الثقافية ، رقم ٣٥٨ ، ١٩٨١ ، ص٣

٩ ـ ليخنتبوم . يوسف : القصة القصيرة (هسبور هعفرى) ، أنثولوجى ، دار نشر بترسكى ، تل ابيب ، ١٩٥٥ ، ص١

١٠ ـ ابين . يوسف : قاموس مصطلحات الأدب القصصى (ملون موناحى هسبورت) ، الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٧٨ ، ص ٢ ـ ٣

١١ ـ ابين : المراجع السابق ، ص ٣

١٢ ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ٨

١٣ ـ لاحوفر . ت : تاريخ الأدب العبرى الحديث (تولدوت هسفروت هعفريت هحدشا دار نشر دافير ، تل أبيب ، الجزء الثانى ، ص ١٢٧

١٤ ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ٢٠

١٥ ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ١٣ ـ ١٧

١٦ ـ الشامى : المرجع السابق ، ص ٦٠

١٧ ـ كورتسفيل باروخ : بحث عن الأدب الاسرائيلى (حبوس هسفروت هيسرائيليت ، دار نشر جامعة بارابلان ، ١٩٨٢ ، ص ٤٨

١٨ ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ٥٩

١٩ ـ كرامر . شالوم : الواقعية وتحطيمها (رياليزم أوشبيراتو) ، دار نشر أجودت هسوفريم بيسرائيل ص .٩ ، ١٠

٢٠ ـ كرامر : المرجع السابق ، ص ١٠

٢١ ـ كرامر : المرجع السابق ، ص ١٥

٢٢ ـ شاكيد . جرشون موجة جديدة فى الأدب العبرى (جل حاداش بسفروت هعفريت) ، دار نشر هيكبوتس هارتسى هشومير هتساعير ، تل أبيب ، ١٩٧١ ، ص ١٢

٢٣ ـ ميخالى . ب . ى = من مشاكل النثر الاسرائيلى الحديث (مبعيويتها شل هبروزا هيسرائيليت هحدشاه) ، موزنايم ، تل أبيب ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨

٢٤ ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ٦١ ـ ٧٠

٢٥ ـ ابن عيزر . إهود : الحرب والحصار فى الأدب الاسرائيلى (ملحاماه وماتسور بسفروت هيسرائيليت) ١٩٦٧ ـ ١٩٧٧

٢٦ ـ ولد مرد خاى طبيب عام ١٩١٠ فى مستعمرة «ريشون لتسيون» ، عمل بالزراعة والصناعة والبناء ، وخدم فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد ذلك شغل منصبا رئيسيا فى مؤسسات اسرائيل الدفاعية ثم فى الهيئة المركزية للهتسدروت وبعد ذلك فى حزب الماباى كما عمل فى القسم العربى بالهستدروت وهو مازال حيا حتى الآن يواصل الكتابة والأنتاج الأدبى . وقد نشرت أولى أعماله الأدبية فى صحيفة دفار ومجلة عتيم عام ١٩٤٧ .

٢٧ ـ الشامى : المرجع السابق ، ص ٩

٢٨ ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ١١٤

٢٩ ـ طبيب : مردخاى : طريق تراب (درخ شل عافار) ، دار نشر عوفيد ، الطبعة التاسعة ، ١٩٧٠ ، ص ٩ ـ ٥٦

٣٠ ـ البريت هو الختان ، بمعنى العهد وأحيانا يسمى عهد الختان وذلك نظرا لأن الختان هو علاقة العهد بين الله وابراهيم (والشعب) . وهى عادة قديمة جدا نقلها العبرانيون عن المصريين الذين كانوا يحملون ازدراء خاصا للشعوب التى لاتمارس الختان

٣١ ـ يزهار سميلانسكى : اسمه الأدبى س . يزهار (سامخ يزهار) وهو كاتب إسرائيلى ينتمى إلى الجيل الأول من الأدباء ، ودرس فى قرية شبمن للشباب وفى مدرسة رحوبوت القانوية ، ربيت همدراشْ بالقدس ثم عمل بالتدريس لفترة طويلة واشترك فى حرب ١٩٤٨ ، وكان عضوا بالكنيست عن حزب الماباى وبعد ذلك عن حزب رافى حتى يونيو ١٩٦٧ ، وقد تأثر الى حد كبير فى كتاباته باورى نيسان جنسين ، ويوسف حاييم برنر .

٣٢ ـ دوفشانى ، منشه : دروس فى الأدب العبرى والعام (شعوريم بسفروت عفريت فكلاليت) الجزء الرابع ، ص ١٨١

٣٢ ـ نشرت هذه القصة عام ١٩٣٨ وكان عمره ١٩ عاما فى مجلة جليونوت وهى مجلة شهرية كان يرأس تحريرها اسحق لمدان .

٣٤ ـ كيشت . ى : مشخيوت ، تل أبيب ، ١٩٥٣ ، ص ٢٤٠

٣٥ ـ سميلانسكى . يزهار : سبع قصص (٧ سبوريم) ، دار نشر هكيبوتس همأوحاد ، ١٩٧٧ ص ٣٥ ـ ٨٨

٣٦ ـ دوفشانى : المرجع السابق ، الجزء الثانى ٢٠٦

٣٧ ـ سميلانسكى : المرجع السابق ، ص ٩١ ـ ١٠٨

٣٨ ـ ميرون . دان : أربعة أوجه فى الأدب العبرى المعاصر (أربع بنيم بسفروت هعفريت بت يميبو) دار نشر شوكن ، القدس وتل أبيب ، ١٩٦٢ ، ص ٨٥

٣٩ ـ كتب يزهار سميلانسكى ثلاث قصص أخرى عن الحرب وهذه القصص هى : قبل الانطلاق ١٩٤٨ ، وقافلة منتصف الليل ١٩٤٩ ، وأيام تسكيلاج ١٩٥٨

٤٠ ـ ولد أهارون ميجد فى بولندا عام ١٩٢٠ ، وهاجر الى فلسطين مع اسرته عام ١٩٢٦ ، ودرس فى مدرسة هرتسليا الثانوية بتل أبيب ، التحق بكيبوتس «سيدوت يم» وعمل فى ميناء حيفا وانضم الى حركة محنوت هاعوليم ثم ذهب فى بعثة الى أمريكا فى المدة من ١٩٤٦ ـ ١٩٤٨ . ترك الكيبوتس عام ١٩٥٠ حيث استقر فى تل أبيب ورأس تحرير صحيفة فى الفجر كما عمل بالترجمة واشترك مع عدد من أصدقائه فى اصدار المجلة الادبية ورأس تحريرها منذ نشأتها وحتى أصبحت ملحقا أدبيا لصحيفة لامرحاف . وفى عام ١٩٦٨ عين مستشارا ثقافيا لاسرائيل فى لندن .

٤١ ـ بتسلئيل . اسحق : مع كتاب اسرائيل (عم سوفرى يسرائيل) ، دار نشر هكيبوتس همأوحد ، ١٩٦٩ ، ص ١٩٢ .

٤٢ ـ دار المعارف اليهودية ، الجزء الحادى عشر ، ص ١٢٢١

٤٣ ـ ليختنبوم : المرجع السابق ، ص ١٢١ ـ ١٢٣

٤٤ ـ أريخا . يوسف : قصص عبرية من حياة العرب (سبوريم عفرييم محيى هعرفيم) تل ابيب ١٩٦٣ ، ص ٣٠٢ ـ ٣١١

٤٥ ـ ولد موشيه شامير عام ١٩٢١ فى مدينة صفد ثم استقر بعد ذلك فى تل أبيب حيث درس فى مدرسة هرتسليا الثانوية ، وانضم الى منظمة هاشومير هتساعير ولعب دورا بارزا فيها ثم الى كيبوتس مشمار هعيمك عام ١٩٤١ . وفى عام ١٩٤٤ انضم الى سرايا الصاعقة وقد رأس شامير قسم الهجرة فى الوكالة اليهودية بلندن من ١٩٦٩ وحتى ١٩٧١ حيث كان قد أصبح من أكثر المتطرفين اليمينين وانتخب عضوا بالكنيست عن حزب ليكود اليمينى المتطرف بعد أن كان من الماركسيين المنادين بأخوة الشعوب وهو من بين الثمانية الذين صوتوا ضد اقتراح بيجن الخاص بالدخول فى مفاوضات سلام مع العرب . وانشأ وحرر المجلات الأدبية دف حاداش ، وماسا . ورأس تحرير مجلة بمحنّيه التى كانت تصدر عن الهاجاناه ثم اصبحت الآن مجلة جيش الدفاع الاسرائيلى .

٤٦ ـ دوفشانى : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١٩٤٢ ـ ١٧٤ .

٤٧ ـ ميخالى : المرجع السابق ، الأجزاء ٣ ـ ٧ ، ص ٢٦٤

٤٨ ـ شامير . موشيه . الخشخاش المر (هخشخاش همر) من مجموعة تحت الشمس دار نشر سفريت بوعليم ، ١٩٥٨ .

٤٩ ـ ولد ناتان شاحم عام ١٩٢٥ فى تل أبيب وخدم فى البالماح (سرايا الصاعقة) ثم فى الجبهة الجنوبية أثناء حرب ١٩٤٨ ، وبعد ذلك أصبح عضوا فى كيبوتس بيت الفا وله انتاجات أدبية كثيرة فى مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة يصف من خلالها حياة الكيبوتس وحرب التحرير .

٥٠ ـ شاحم . ناتان : تراب الطرق (أفاق هدراخيم) من مجموعة حجر على فوهة البئر دار نشر سفريت بوعليم ، ١٩٥٦ .

٥١ ـ ولد عاموس عوز عام ١٩٣٩ فى القدس ، تعلم فى مدرسة دينية ثم انتقل الى مدرسة عامة وعندما بلغ من العمر ١٤ سنة انتقل الى مستعمرة حولدا ودرس فى الجامعة العبرية ثم عمل بالتدريس وهو من مؤسسى [illegible] » وقد بدأ «عاموس عوز» وهو فى الصف الثانى والثالث كتابة المقالات [illegible] ثم بدأ بعد ذلك يكتب القصص متأثرا بقراءاته لكتابات عجنون فكانت أولى قصصه ، قصة «شق مفتوح للريح» وهى عبارة عن قصة رمزية نشرت ضمن مجموعة كتب وتدل على أن كاتبها قرأ الحكايات (سيفرهمعسيم) لعجنون .

٥٢ ـ يقول «عاموس عوز» فى هذا الصدد : «إن قصصى ليست عن حياة الكيبوتس كما يتصور البعض على الرغم من أن أحداثها تدور فيها ، ولكن من يريد أن يعرف وجهة نظرى بالنسبة للكيبوتس فعليه أن يقرأ مقالاتى عنها فى الصحف» .
بتسلئيل : المرجع السابق ، ص ٨٩

٥٣ ـ برزيل . هليل : ستة كتب ـ ١٦ قصة ([illegible] ـ ١٦ سبوريم)
دار نشر يحيدين احودموتسيئيم ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠٩ .

٥٤ ـ برزيل : نفس المرجع ـ ص ٢٠٩

٥٥ ـ برزيل : نفس المرجع ، ص ٢٠٩

٥٦ ـ برزيل : نفس المرجع ، ص ٢٠٩

٥٧ ـ ولد أشير باراش فى لوباتين بجاليسيا عام ١٨٨٩ ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩١٤ حيث عمل بتدريس اللغة العبرية وادابها . بدأ حياته الأدبية بكتابة عدة قصص شعرية ومجموعة قصصية [illegible] ثم تحول بعد ذلك الى الكتابة باللغة العبرية . وقصصه تتناول واقع الحياة اليهودية فى جاليسيا [illegible] حرى الموجة الثانية فى فلسطين . توفى فى تل ابيب راجع دائرة المعارف العامة مسادا الجزء الثانى ، دار نشر الوموت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٠٦ .

٥٨ ـ شاكيد : الأدب القصصى العبرى (١٨٨٠ ـ ١٩٧٠) ص ٣٤١

٥٩ ـ أريخا : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٦

٦٠ ـ أريخا : نفس المرجع ، ص ١٢٦ ـ ١٢٨ .

٦١ ـ ولد حاييم هزار عام ١٨٩٨ فى «سيدروفيس» وهى احدى قرى اقليم «كييف» التابع لاواكرانيا بروسيا وغادرها عندما بلغ من العمر السادسة عشرة حيث تجول بين قرى روسيا من ١٩١٤ وحتى ١٩٢٠ . وانتقل الى القسطنطينية عام ١٩٢١ ومكث هناك عاما ونصفا ثم انتقل الى المانيا حيث كانت مركزا أدبيا عبريا بعد أن إضمحلت الحركة الأدبية العبرية فى روسيا ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٣١ واستقر بالقدس حتى وفاته عام ١٩٣١ .

٦٢ ـ شالوم عليخم (١٨٥٩ ـ ١٩١٦) ، كاتب روائى يكتب بالعبرية والييدشيه

٦٣ ـ هزاز . حاييم : ابو يوسف ، دار نشر عم عوفيد ، ١٩٦٣ .

٦٤ ـ ولد يوسف اريخا عام ١٩٠٧ فى أولفسك بأوكرانيا ، وهاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ وعاش فيها حتى عام ١٩٢٩ حيث رحل الى أمريكا واستمر هناك حتى عام ١٩٣٢ ، ثم عاد الى تل ابيب مرة أخرى ورأس بلديتها حتى توفى عام ١٩٧٢ .

٦٥ ـ أريخا المرجع السابق ، ص ٢١٦ ـ ٢٢٠

٦٦ ـ أريخا : نفس المرجع ، ص ٢٢٤ ـ ٢٣٠

٦٧ ـ كاتب يهودى ولد فى فيلنا عام ١٩٠٨ ، وانتقل الى فلسطين عام ١٩٢٥ ومنذ ذلك الوقت وهو يكتب كتاباته عن الحياة فى فلسطين ومن أهم أعماله مجموعة قصصيه بعنوان فى طريق الأحزان ١٩٣١ .

٦٨ ـ أريخا : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠

٦٩ ـ ولد إسحق أورباز في روسيا عن ١٩٢٣ ، وهاجر الى فلسطين ضمن هجرة الشباب عام ١٩٣٨ كان عضو احدى المستعمرات الاسرائيلية ، عمل فى مجالى الزراعة والتدريس ، كما عمل بأحد المناجم وكذلك فى صناعة الماس وخدم ضابطا بالجيش النظامى . بدأ فى نشر قصصه عام ١٩٥١ .
راجع ، أورباز ، اسحق : مدينة لايوجد فيها مخبأ (عيرشاين باه مانسون) مجموعة قصصية ، دار هكيبوتس همأ وحاد ١٩٧٣ ، ص ٥ .

٧٠ ـ برزيل . هليل : كتاب وماينفردون به
دار نشر يحيدين ، أحود موتسئيم ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٧ ـ ٣١٣ .

٧١ ـ أريخا · المرجع السابق ، ص ٣٣٦ ـ ٣٤١

الباب الثانى

الشخصية العربية الفلسطينية من خلال نماذج القصة الاسرائيلية القصيرة (١٩٤٨ - ١٩٦٧)

الفصل الأول

صورة الشخصية العربية الفلسطينية في القصـة الاسـرائيلية القصـيرة (١٩٤٨ - ١٩٦٧)

تحتوى المجتمعات العربية بصفة عامة على ثلاثة أنماط رئيسية من البشر ، يتميز كل نمط منها بخصائص اجتماعية ونفسية واقتصادية معينة رغم وجود بعض التداخل بينها : كثرة غالبية تقطن فى الريف وتشتغل بالزراعة ، وقلة قوية متزايدة فى العدد والنسبة تسكن المدن وفيها يتركز معظم النشاط السياسى والاقتصادى والثقافى ، وهى الفئة التى تتعرض أكثر من غيرها للمؤثرات فى الخارج ، ثم قلة أخرى متناقصة فى العدد والنسبة من "البدو الرحل" الذين يتنقلون وراء المطر للرعى ، وتحكمهم معايير القبيلة وتقاليدها أكثر مما تحكمهم القوانين المكتوبة (١).

ولذلك فإن تناول الشخصية العربية فى أى مجتمع عربى يجب أن يشمل الشخصية الريفية ، والشخصية الحضرية ، والشخصية البدوية ، ولكننا هنا ونحن بصدد دراسة الشخصية العربية الفلسطينية فى القصة الاسرائيلية القصيرة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) سنلاحظ أن النماذج الأدبية اقتصرت على تناول شخصيتى الفلاح والبدوى ويبدو أن الأدباء الاسرائيليين قد عمدوا إلى تجاهل الشخصية الحضرية فى المجتمع الفلسطينى عند تناولهم للشخصية العربية الفلسطينية فى كتاباتهم بصفة عامة بهدف تحقير وتغييب هذه الشخصية بالرغم من أنها كانت تمثل ٣١,٨٪ من عرب فلسطين .

وقد نالت* دراسة الشخصية بصفة عامة اهتمام الكثيرين من علماء النفس من أجل وضع نظرية لها تقوم بتفسير سلوك الانسان فى إطار منطقى منظم (٢). ووضع هؤلاء العلماء تفسيرات متعددة تحاول كل منها

تحديد طبيعة الشخصية فى ضوء التصورات والأسس التى تقوم عليها كل نظرية أو يقوم عليها كل تفسير ، وقد تتفق هذه التفسيرات أو تختلف مع بعضها بدرجة أو بأخرى وبالتالى فليس هناك تعريف واحد يعتبر هو الصحيح والباقى تعريفات خاطئة فكل تعريف يستند على تصور نظرى معين .[٣]

ومن الطبيعى أن يختلف علماء النفس فى وضع مفهوم ثابت ومحدد لما يسمى بالشخصية على مستوى الفرد لأنه من الصعب أن يتم العثور على مقياس واحد يمكن تطبيقه على شخص ما أو على عدة أشخاص وذلك لأن العلوم الانسانية والاجتماعية علوم جدلية أكثر منها علمية أو رياضية فمن الصعب أن تتفق استجابة عدة أشخاص لموقف واحد يتعرضون له بينما تتفق نتيجة التفاعلات الكيمائية - إذا ثبتت متغيرات التجربة المعملية . وكذلك لاشك فى أن تعطى مسائل الحساب نفس النتائج إذا أجرينا عمليات حسابية بعينها .

وإذا كان أمر وضع نظرية تتعلق بالشخصية على المستوى الفردى الشخصى - أمر صعب فأن وضع نظرية لتعريف شخصية شعب أو أمة ما أمر أصعب ، ونحن نقصد هنا بشخصية الشعب أو الأمة مايسمى بالشخصية القومية[٤] والتى تعنى دراسة أكثر سمات الشخصية شيوعا فى أى مجتمع للوصول إلى صورة مؤلفة من هذه السمات ، أى أن هذا المصطلح يستخدم لوصف السمات النفسية والاجتماعية والحضارية لأمة ما تتسم بثبات نسبى والتى يمكن عن طريقها التمييز بين هذه الأمة وغيرها من الأمم .

ودراسة الشخصية القومية العربية تعنى دراسة وجهة النظر الاسرائيلية تجاه هذه الشخصية أى أنها تعنى وجهة نظر الغير التى تهدف إلى تشكيك العربى فى قدراته وتشويه صورته .

ومن الجدير بالذكر أن هناك دراسة سابقة لدراستنا قام بها الباحث "السيد يس" بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام تحت عنوان "الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العربى"[٥] ، واعتمدت هذه الدراسة على مادة مجموعة من المؤلفات والكتابات العربية والاسرائيلية - خضعت للتحليل النقدى بهدف الوصول إلى نتائج محددة

بشأن القضايا التى رأى الباحث أنها كانت المحاور الرئيسية التى دار حولها التحليل الاجتماعى للصراع العربى الاسرائيلى . ويهمنا من هذه الدراسة أن نشير إلى ماتوصلت إليه من تحديد صورة الشخصية العربية فى المفهوم الاسرائيلى من خلال الكتابات الاسرائيلية .

لقد أشارت الدراسة فى مجملها إلى أنه لا يوجد مفهوم اسرائيلى واحد للشخصية العربية ولكن هناك مفاهيم ثلاثة رئيسية وهى : تصور الصفوة الاسرائيلية (التقليدية والمعاصرة) للعرب ، وتصور العلماء الاسرائيليين ، وتصور الرأى العام الاسرائيلى لهم .

وبالنسبة لتصور الصفوة الاسرائيلية التقليدية فهناك ثلاث صور لهذا التصور :

الصورة الأولى :

تسمى باسم "البوبرية" نسبة إلى "مارتن بوبر" وتعترف بالنظرة المعتدلة للعرب على أساس أنها تعترف بالظلم التاريخى الذى وقع عليهم ، والذى تمثل فى طردهم من ديارهم بزعم أن شعبا بلا أرض قد وجد أرضا بلا شعب ويدعون إلى التعايش على أساس أنه لا يوجد حق كامل للفلسطينيين فى التراب الفلسطينى وأصحاب هذا الاتجاه يؤمنون بصواب الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية ، وقد انتهى هذا الاتجاه ، ولا يعبر إلا عن لحظة تاريخية من لحظات الوعى اليهودى .

الصورة الثانية :

وتسمى باسم "البنجريونية" نسبة إلى "بن جوريون" ، وتركز على أن العرب لا يعرفون سوى لغة القوة والردع ، وهذه الصورة لا تعكس صورة هذا الفريق من الصفوة التقليدية الاسرائيلية فحسب ، ولكنها تعكس أيضا عدوانية المشروع الصهيونى نفسه والأساس الإرهابى والتوسعى الذى يقوم عليه .

الصورة الثالثة :

وتسمى باسم الوايزمانية وهى لا تقل فى اتجاهها العدوانى إزاء العرب عن الصورة البنجريونية .

أما الصفوة الاسرائيلية المعاصرة فترى أن الشخصية العربية تتسم بعدوانية أصيلة وتحب الصراع والحرب وترجع هذه العدوانية إلى الإسلام الذى نادى بسمو المسلمين على غيرهم بالاضافة إلى أنه دين نزعة حربية ، كما ترى هذه الصفوة أن الشخصية العربية تتسم بالانفعالية التى ترد إلى الضعف الحضارى ، وأنها تعانى من أزمة هوية أدت إلى شعورها بالإحباط . أى أنها ترى عقلانية الاسرائيلى مقابل انفعالية العربى ، ومسالمة اليهودى مقابل عدوانية العربى ، وتقدم الاسرائيلى مقابل تخلف العربى ، وواقعية الاسرائيلى مقابل الأوهام التى يعيش فيها العربى .

ويرى العلماء الاسرائيليون أن الشخصية العربية تتسم بالجمود والتصلب ، وغير قادرة على تجاوز سلبياتها العديدة نتيجة سمات غريزية تتسم بها .

أما بالنسبة لمفهوم الرأى العام الاسرائيلى عن الشخصية العربية فقد أشارت الدراسة إلى أن اليهود لم يعنوا كثيرا بالتفكير فى مشاكل العرب وشعروا تجاههم باللامبالاه التى تفوق فى رسوخها الشعور بالشك فيهم ، كما أن معظمهم يؤيد سياسات الحكومة الاسرائيلية الخاصة بفرض القيود العنيفة على العرب بزعم أن اعتبارات أمن اسرائيل لها الأولوية على حقوق العرب الانسانية ومن ناحية أخرى ينكرون حقوق اللاجئين الفلسطينيين . وبصفة عامة ، فإن العرب يتسمون فى نظر الغالبية العظمى من الاسرائيليين بأنهم كسالى ، وذكاؤهم منخفض ، وتملؤهم مشاعر الحقد تجاه اسرائيل ، وهم قساة وخونة وجبناء .

وقد انتهى الباحث إلى تكوين صورة مركبة للعرب على ضوء المفاهيم الثلاثة وهى « أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة ، ولذلك فاتباع سياسة الردع والعنف معهم هى الأسلوب الأمثل . وهم قوم فرديون مفككون ، يميلون إلى الكذب والمبالغة وخداع الذات . وهم بالمقارنة بالاسرائيليين كسالى ، وجبناء ، وخونة ، ومستوى ذكاؤهم منخفض وعلى الجملة هم أدنى من الاسرائيليين » .

وإذا كانت هذه هى الصورة الشخصية العربية فى المفهوم الاسرائيلى ، فإننا نرى حقيقة أنها لا تختلف عن صورة الشخصية

العربية الفلسطينية فى الفكر الصهيونى فى بداية هذا القرن . فلم تكن الشخصية العربية حتى عام ١٩٤٨ تميز فى الفكر الصهيونى على أنها شخصية عربية فلسطينية ، وانما كانت تميز على أنها شخصية عربية فحسب وذلك على أساس أن السكان الاصليين لفلسطين كانوا يسمون عربا سواء فى المؤلفات ذات الطابع النظرى ، أو فى اليوميات الاستيطانية أو الروايات أو المراسلات الدبلوماسية وذلك يرجع لسببين : إما لكون العرب كانوا كتلة بشرية واحدة تتوزع عبر تقسيمات إدارية وليس عبر تقسيمات سياسية اقليمية يشكل كل منها دولة كما هو الآن[٦] ، أو أن ذلك فكر صهيونى مخطط يهدف إلى نزع اسم الشعب العربى صاحب الحق فى هذه البلاد وهو الشعب الفلسطينى . ونحن نرجح السبب الثانى لأنه عندما كانت الشعوب العربية موزعة عبر تقسيمات إدارية كان كل شعب يسمى باسمه ، ولكن اليهود عمدوا إلى نزع الهوية الفلسطينية عن عرب فلسطين حتى يمهدوا لفكرتهم "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" وكانت صورة العربى الفلسطينى فى الفكر الصهيونى هى صورة البدوى الهمجى الجاهل وقد كتب أحاد ها عام[٨] ١٨٩١ يقول : « العرب رجال صحراء ، أناس جهلة لا يرون ولا يفهمون مايجرى حولهم » ، ثم تطورت صورة العربى الفلسطينى من بدوى إلى فلاح وذلك نتيجة للاصطدام الصهيونى بالواقع فى فلسطين وحيث أعتقد الصهاينة أنهم فى موقع أخلاقى وحضارى لا يقاس بالعربى الفلسطينى ولذلك فقد صورت على أنه أقرب إلى المتسول من أى شىء آخر ، وأنه متخلف ، ومنحط ، وتلتصق به كل صفة سيئة وكل عادة ذميمة ، كما أنه لص وقذر وبالتالى فإنه ليس جديرا بأن يمتلك الأرض .

وقد اضيفت صفات أخرى للعربى الفلسطيني بعد تنفيذ وعد بلفور وظهور الفلسطينى المقاتل من أجل حقوقه المشروعة حيث وصف بأنه إرهابى وجبان ومتوحش ومثير للرعب ، وأنه لا يقوم بعملياته العدوانية ألا فى الليل أما فى النهار فإنه يرتدى لباس المسكنة والضعة[٩] حيث يقول "أحاد ها عام" : إن المستوطنين الصهاينة يعتقدون أن العرب جميعا متوحشون ، يعيشون مثل الحيوانات ولا يفهمون مايدور من حولهم[١٠] .

ولم يقف المفكرون الصهاينة عند هذا الحد بل تمادوا فى تشويه صورة العربى (بما فى ذلك الفلسطينى) وتحقيرها ، فهو محتقر ومزدرى بحيث

لا يمكن لأحد أن يأخذه مأخذ الجد ، ولديه تراث عريق من شهادة الزور ، وتراث أعرق من القتل والاجرام صار طبيعية ثابتة فيه ، وأسلوب شيطانى من التخلف والغدر حيث يقول ج كوهين » :

« إن العربى مجرد مخلوق غريب ، يرتدى جلبابا ممزقا ، وغطاء قذرا للرأس وتلتف زوجته بثوب أبيض ، ويسير أطفاله حفاة وليس من مجال الخطأ تحديد هويته فكل شىء يتعلق به ، ماديا كان أم معنويا ينطق بصفاته إنه ليس قذرا فحسب ، بل هو أيضا لص ، كذوب ، كسول ، وعدوانى »[١١] .

ولعل اصرار المفكرين الصهاينة على تشويه صورة العربى الفلسطينى كان بهدف نزع صفة الآدمية عنه حتى يبرروا لأنفسهم معاملته بقسوة واضطهاده وطرده من أرضه . وهكذا يتضح مدى التطابق الموجود بين صورة المفهوم الاسرائيلى باتجاهاته ، وصورة الفكر الصهيونى ـ عن الشخصية العربية الفلسطينية كما سيتضح بعد ذلك من دراستنا مدى شيوع هذه الصور فى الأدب النثرى الاسرائيلى (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) . ودراستنا تعنى بدراسة الشخصية العربية الفلسطينية ، وهى شخصية قومية الا أنها لا تدخل فى إطار مايعنيه مصطلح الشخصية القومية فى مجال الدراسات النفسية والانثروبولوجية إن دراستنا تدور أساسا حول ايضاح صورة الشخصية العربية الفلسطينية كما يراها الأدباء الاسرائيليون (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) وذلك من خلال النماذج الأدبية المختارة من حيث السمات الخارجية (الصفات الجسدية والملابس) وكذلك الطبائع والقيم الدينية ، كما أنها ستمتد لتبرز كيف صور الأدباء الاسرائيليون الطبيعة والأعمال التى يقوم بها العرب وكذلك أسلوب معاملة السلطات الاسرائيلية للعرب ، وحالة العرب فى ظل السيطرة الاسرائيلية من خلال النماذج الأدبية المختارة أيضا ، وذلك على أساس أن الأدب هو أحد الأدوات الهامة التى يمكن عن طريقها تحديد ملامح الشخصية نظرا لأنه يتفاعل معها ، ويعبر عنها ، ويرصد أبعادها ، ويعكس انفعالاتها . إن الأدباء يعايشون المجتمعات كجزء منها ينفعلون بقضايا واقعها ، ويعبرون عنها من خلال رؤيتهم الأدبية سواء كانت هذه الرؤية معبرة عن خيال أدبى للأديب ، وعن عمقه الفنى فى التعبير عن الواقع الذى يعايشه ويحتك به ، أو كانت رؤيته موجهة من قبل من لهم الهيمنة والسيطرة على المجتمع بفرض غرس مفاهيم معينة لتحقيق أهداف سياسية محددة .

وأود أن أشير إلى أن هناك دراسة أدبية سابقة قامت بها « ريزا دومب » بعنوان « العرب فى الأدب العبرى النثرى » (١٩١١ ـ ١٩٤٨)[١٢] واعتمدت هذه الدراسة على ثمانية نماذج أدبية ولسبعة من الأدباء الاسرائيليين ـ خضعت للتحليل بهدف تفهم الشخصية العربية الفلسطينية فى المجتمع الفلسطيني . ومن هذه الدراسة يمكن أن نلمس حقيقة ، أن صورة الشخصية العربية الفلسطينية سواء كانت فى المفهوم الاسرائيلى أو الفكر الصهيونى لا تختلف عنها فى الانتاجات الأدبية النثرية التى ظهرت فى بداية هذا القرن .

فعلى سبيل المثال ـ وليس الحصر ـ يذكر "موشيه سميلانسكى" المشهور بالخواجا موسى (١٨٧٤ ـ ١٩٥٣) فى سيرته الشخصية أنه عندما قابل العرب لأول مرة فى طريقه من "يافا" إلى مستعمرة "ريشون لتسيون" كان غير مرتاح ، وشعر بالقلق ، والغضب ، وذهل عندما وجدهم هناك حيث يقول :

« ماذا يفعل هؤلاء العرب هنا ؟ لماذا هم فقراء ، وقذرون بينما الأرض حول قريتهم جيدة وخصبة ... انهم همجيون يكونون سعداء ويعيشون فى سلام عندما يستقرون ، ولكن عندما يهيجون يصبحون قتلة . يقتسمون خبزهم التافه مع الشخص الجائع الفقير ، ولكنهم يرتكبون القتل من أجل الشيء الذى يريدونه ولا يستطيعون تحقيقه .[١٣]

وهنا يريد "موشيه سميلانسكى" توضيح أن العرب غير جديرين بملكية الأرض ولا بزراعتها ويصف شخصية "عبد الله بن الشيخ" العجوز فى قصة "عائشة" فيقول :

« شخص صغير ، ودميم ، روحه شريرة مليئة بالغيرة والكراهية ، وانفعالاته العاطفية مبتذلة . إن "عبد الله" يلهث وراء النقود ويحسبها ، ولا يمكن أن يكون محل ثقة ، ولا يصون كلمته أبدا . انه يصون فقط الكراهية تجاه أى شخص يقف فى طريقه . »[١٤]

ويصف اسحق شامى « (١٨٨٩ ـ ١٩٤٩ـ) العربى فى قصة "انتقام البطاركة" بالعنف حيث يقول :

« بدأ يدمر فى بطء زراير صدريته ، وينزع الكوفية من حول عنقه البدين الذى اختفى تحت قفطانه - فظهر صدره الأسود اللون ، وكان شعره الأسود طويلا ، خشنا ومنتفشا ... وحينئذ حول جسمه العريض تجاه الباب المؤدى إلى الرواق . »

كما يصف البدو فيقول :

« جفاف الصحراء ، ووهج الشمس يمكن أن يرى فى سمرتهم ووجوههم المتجعدة ، وحدتهم ، وأنوفهم الخطافية تبرز من بين أغطية الرءوس الملونة مثل مناقير الطيور الحادة ، وعيونهم متوهجة وكأنها كانت فى النار . »

وهنا نجد أن "شامى" لم يختلف كثيرا عن "موشيه سميلانسكى" فى وصفه للعرب وفى هذا الصدد تقول "ريزا دومب" :

« إن الصفات التى وصف بها سميلانسكى العرب فى قصصه القصيرة تشبه تلك الصفات التى وصف بها "شامى" أبطاله : إن طباعهم الحادة ، وغضبهم السريع وصراعهم من أجل الانتقام ، وصيانتهم لشرفهم - هى الصفات السائدة للخصائص المتغيرة فى كلا الحالتين حتى وإن اختلف فكر الادباء ازاء الأسباب والحالة التى أدت بهم إلى ذلك » .

وإذا كان "موشيه سميلانسكى" يصف العرب بأنهم همجيون ، وقذرون ، ووصفهم "شامى" بالعنف وحدة الطباع - فإن اسرائيل زراحى (١٩٠٩ - ١٩٤٢) يصفهم بأنهم عديمو الشفقة ولا توجد رحمة فى قلوبهم حيث يصف عرب أحدى القرى العربية أثناء المعارك التى دارت بين الأتراك والقوات البريطانية فيقول فى قصته "قرية السلوان" :

« عرب القرى يدخلون بين النيران ، ليجردوا القتلى ، ويسرقون الجثث ، ويقطعون الأصبع الذى به خاتم ، أو يأخذون السنة الذهبية من الفم[١٥] أى أنه يريد أن يصور الشخصية الفلسطينية بأنها شخصية بشعة تتصف بالاجرام واللصوصية .

وهكذا نرى أن الشخصية العربية الفلسطينية سواء فى المفهوم الاسرائيلى أو الفكر الصهيونى ، أو الأدب النثرى العبرى فى بداية هذا

القرن هى شخصية البدوى أو الفلاح ، الجاهل ، المنحط ، القذر ، المتوحش ، الذى تلتصق به كل صفة سيئة ، وكل عادة ذميمة ، وأن شخصيته هى شخصية الإرهابى الذى يثير الرعب والفزع .

وفى الحقيقة ، أن هذه الصفات لا تعكس صدقا أدبيا نابعا من الأدباء عند تصويرهم للشخصية العربية الفلسطينية ، ولكنها تعكس فكرا صهيونيا موجها يهدف أساسا إلى تشويه صورة هذه الشخصية وتغييبها بهدف تحقيرها من ناحية واظهار تفوق الشخصية اليهودية من ناحية أخرى ، والدليل على ذلك هو شيوع نفس الأوصاف التى كانت سائدة فى الفكر الصهيونى ، والأدب الاسرائيلى النثرى قبل ١٩٤٨ وفى المفهوم الاسرائيلى والقصة الاسرائيلية القصيرة (٤٨ ـ ٦٧) وذلك كما سيتضح من تحليل صورة الشخصية العربية الفلسطينية كما تناولها الأدباء الاسرائيليون ، وأقصد بتحليل صورة الشخصية العربة الفلسطينية ابراز أكثر الصفات التى تناولها الأدباء ، وركزوا عليها فى وصفهم للعربى الفلسطينى ، والتى ألحوا فى تكرارها أكثر من مرة .

المبحث الأول
السمات الخارجية

إن السمات الخارجية لأى شخصية تعطى انطباعا خاصا عن هذه الشخصية ، بل ربما تذهب إلى أبعد من ذلك وتعكس بعض الانطباعات الداخلية والمشاعر النفسية لها . ولما كانت الشخصية العربية الفلسطينية من الموضوعات التى تناولها الأدباء الاسرائيليون فى كتاباتهم كان من الطبيعى أن تحظى السمات الخارجية لهذه الشخصية باهتمام هؤلاء الأدباء ، ولذلك فقد حرصت أثناء دراستى للنماذج الأدبية المختارة على إبراز هذه السمات ، وتحليلها من خلال جزءين رئيسيين على النحو التالى :

١ - الصفات الجسدية :

كانت الصفات الجسدية للشخصية العربية الفلسطينية من الجوانب التى حظيت باهتمام الأدباء الاسرائيليين حيث كانوا يحرصون باستمرار على نقل ملامح الشخصية العربية الفلسطينية من حيث الصفات العامة فى تكوينها الجسدى بكافة تفاصيلها . ومن هنا كان حرصنا على تحليل هذا الجانب لنبين كيف يرى الأدباء الاسرائيليون الشخصية العربية الفلسطينية من هذه الناحية وذلك من خلال خمس نقاط :

أ - الوجه :

نال وجه العربى الفلسطيني اهتمام الأدباء الاسرائيليين من حيث الوصف ، وشاعت عنه الأوصاف التالية فى كتاباتهم الأدبية :

١ - الشحوب والصفرة :

حيث يصف "س يزهار" - فى قصة "خربة خزعة" - الرجل الذى خرج فجأة من باب أحد الأسوار الطينية بعد أن تصور أن الجنود الاسرائيليين قد ابتعدوا عن المكان ، ولكنه فوجىء بهم أمامه وعندما حاول الفرار أطلقوا النيران فوق رأسه حتى توقف فيقول :

« كانت ملامح وجهه فارغة من دمها ليس إلى حد الشحوب وانما اليرقان والصفرة المخجلة »

وهذا الوصف ملائم للموقف لأن خروج الرجل من باب أحد الأسوار بعد أن اطمأن إلى أن الجنود الاسرائيليين قد ابتعدوا عن المكان ثم مفاجأته بوجودهم أمامه أدى به إلى أن يفقد السيطرة على نفسه وأن يتجمد الدم فى عروقه . كما أن يزهار يستخدم هذا الوصف ليعبر به عن مدى الرعب الذى انتاب العربى من جراء سلوك الجنود الاسرائيليين .

أما "عاموس عوز" فيصف البدوى - فى قصة "البدو الرحل والثعبان" عندما كان واقفا يراقب "جئولا" من بين أشجار البستان وهى تثبت زرار القميص العلوى فيقول :

« أغلق البدوى عينه المفتوحة ، ورفع وجهه ، وغمز بعينه المراقبة . كان وجهه شاحبا ، وتنتشر الشقوق الطبيعية فى خديه »

وهنا استخدم "عاموس عوز" هذا الوصف ليعزز به وجهة نظره وهى أن البدوى يقوم بعمل غير شرعى بقيامه بالرعى فى المناطق الزراعية ، ولذلك فإنه وصف وجهه بالشحوب على أساس أن هذا الشحوب يعكس خوفه من أن يراه أحد من سكان الكيبوتس ويلحق به الأذى أى أن الراعى نفسه يعرف أنه ليس له الحق فيما يفعله .

٢ - البلاهة :

حيث يصف اسحق أورباز - فى قصته « على سن الطلقة » - "ابراهيم" وهو يجلس بجواره تحت شجرة الجميز ، ويحكى له عن ذكرياته ، وعن أن أباه كان يحكى له دائما عن هذه الشجرة وكذلك جده فيقول : « وضعت السلاح بجانبى ، ومضغ ابراهيم تبغا ، وكان وجهه جامدا يعبر عن البلاهة » .

وهذا الوصف يعبر عن الحالة النفسية لابراهيم الذى كان مذهولا مما حدث له حيث وقع أسيرا ، ولم يتمكن من تحقيق هدفه ، وأصبح مشلولا عاجزا عن التفكير فبدا كالأبله الذى لا حول له ولا قوة .

٣ ـ الصلابة :

حيث يصف "حاييم هزاز" أبو يوسف فى قصته "أبو يوسف" وهو يتحرك فى فناء السجن فيقول : « كان طويل القامة ، ومقوس الظهر ، ووجهه ككتلة من الأرض فى وقت الجفاف »

واستخدم الكاتب هذا الوصف ليكون مناسبا للعمل الذى يقوم به "ابو يوسف" فهو يعمل ضمن أفراد الحراسة بالسجن ، وعادة مايتميز وجوه الحراس بالجمود والصلابة .

أما "يوسف أريخا" فيصف الراعى ـ فى قصته "الرسام والراعى" عندما مر على الرسام وهو ينظر اليه بتعجب كبير قائلا : « كان واضحا أن الراعى ينظر إلى الرسام بتعجب كبير ، وعندما لوح بيده ـ كانت القشعريرة تغطى وجهه الصلب » وصلابة الوجه هنا تعكس ضيق الراعى من وجود الرسام وقلقه على الأرض التى يرعى فيها وخوفه من أن يتم الاستيلاء عليها .

ب ـ الابتسامة :

حظيت أيضا ابتسامة الشخصية العربية الفلسطينية بوصف الأدباء الاسرائيليين فى كتاباتهم القصصية على أساس أنها تعبر عن الانفعالات الداخلية للانسان رغم اختلاف هدف كل كاتب من وصفه لها ، بل نجد أن الكاتب الواحد يستخدمها فى القصة الواحدة لأكثر من هدف . وعلى أى حال فقد صورت على النحو التالى :

١ ـ السخافة والغباء والمكر :

حيث يصف "س . يزهار" ـ فى قصته "خربة خزعة" ـ أحد العرب الذين جمعوهم فى العربة الجيب ليأخذوهم بعيدا عن القرية للتحقيق معهم فيقول :

« كان العربى الذى فى الجيب ينحنى مستسلما ، وهو لايزال يحاول إخفاء آلام معدته بابتسامة اعتذار شاحبة سخيفة » وهنا يعبر "يزهار"

عن مدى الألم الذى ألم بالعربى وحالة التوتر التى كانت تنتابه فقد كان العربى يحس بآلام عنيفة فى معدته ، وفى نفس الوقت يرتجف من الرعب ونظرا لأنه لم يستطع التعبير عن كل ذلك فإنه كان يبتسم هذه الابتسامة التى تعكس كل مايلم به .

أما "يوسف أريخا" فيصور ابتسامة الراعى - فى قصته "الرسام والراعى" - عندما مر على الرسام ونظر اليه فى تعجب وشك فيما يفعله ، وخوفا من أن يكون مثل الذين سبقوه وجاء يخطط ليستولى على المكان بعد ذلك - قائلا :

« وبدت على شفتيه ابتسامة رقيقة وماكرة ... حملق فيه الراعى بعينيه السوداوين وكانتا تشعان بريقا قاتلا فى نفس اللحظة ، وبدت على وجه الأسير ابتسامة باهتة مريبة مليئة بالوهم والشر »

وإذا كان "يزهار" قد استخدم الابتسامة كمرآة لتعكس له ما ألم بالعربى من آلام وتوتر فإن "أريخا" قد استخدمها فى قصته "الرسام والراعى" لتعكس قلق الراعى العربى على أرضه التى يرعى فيها وخوفه من أن يكون مايحدث هو تمهيد للاستيلاء عليها . كما استخدمها فى قصته "منظر ليلة" عندما وصف رئيس العصابة وهو يحقق مع جلعادى قائلا : « أظهر أبو يوسف ابتسامة ملتوية من تحت شاربه ، نظر اليه فى خلسة كمهتم بالموضوع » ليعبر بها عن حنكة رئيس العصابة ومحاولته جمع المعلومات من جلعادى .

وفى قصته "البدو الرحل والثعبان" يصف "عاموس عوز" ابتسامة البدوى عندما كان يقف مع "جئولا" بين الحدائق يتحدث معها بعد أن أشعلت له السيجارة - قائلا : « رد الرجل ببسمة مضطربة وكأنه ضبط متلبسا بجريمته وانسحب إلى الخلف بخطوة هزيلة » .

وهنا نجد أن "عاموس عوز" قد وصف ابتسامة البدوى بالاضطراب لتعكس خجله من "جئولا" بنت الكيبوتس لأنه لم يتعود على الوقوف مع مثيلاتها من قبل :

٢ ـ الصوت المرتفع والحقارة :

حيث يصف "يوسف أريخا" ابتسامة "ابو يوسف" رئيس العصابة ـ فى قصته "منظر ليلة" ـ عندما نظر إلى صورة بنت "أهارون جلعادى" بعد أن أمر بتفتيش أوراقه قائلا : « وفجأة جعل فى يده صورة البنت السمراء ، واللذة الباسمة على الوجه الملىء بالحنان ، والرأس المجعدة السوداء ، وظهر وجهه رقيقا وعجيبا ، وفجأة صهلل بضحكة عالية » .

والوصف هنا يعبر عن سعادة رئيس العصابة بالصورة التى رآها ـ صورة ابنة "أهارون جلعادى" ، التى بعثت السعادة فى نفسه نظرا لأنها تشبه صورة ابنته .

واستخدم "ناتان شاحم" نفس الوصف فى قصة "تراب الطرق" عندما وصف الشباب العرب وهم يجرون وراء عربة كفتورفيتس التى تحمل المربى ويلعقون مايسيل منها على فوهات البراميل فقال : « الآن ، أعتقد أنهم أدمنوا اللعبة بلا عداء أحاطوا به ، وتعلقوا بصارى العربة البارز من الخلف ، وهم يموتون على أنفسهم من صهللة الضحك » .

والهدف من الوصف هنا هو نفس الهدف الذى كان يرمى إليه "أريخا" فإذا كان "أريخا" قد وصفها بالصوت المرتفع ليعبر عن سعادة رئيس العصابة بالصورة فإن "شاحم" قد استخدم نفس الوصف ليعبر عن سعادة العرب وهم يلحسون البراميل دون خوف .

ومع ذلك نجد أن "شاحم" وصفها مرة أخرى فى نفس القصة بالحقارة عندما صور الشباب العرب الذين تجمعوا حول عربة كفتوروفيتس بعد أن ضرب بالسوط أحد الذين كانوا يتعلقون بالعربة فقال : « تجاهلهم كفتوروفيتس فقفزوا من مكانهم فى آخر لحظة ونظروا اليهم بنظرة عداء من خلال ضحكة حقيرة » .

والوصف هنا يعبر عن الحقد الذى حاق بالعرب عندما ضربهم كفتوروفيتس بالسوط .

أما "عاموس عوز" فيصف الابتسامة فى قصته "البدو الرحل والثعبان" بعدم المبالاة وذلك عندما صور البدوى وهو نائم بين قطيعه قائلا :

« ستعجب وهو يخرج بسرعة من داخل ردائه الداخلى ولاعة ذهبية ويشعلها لك بسرعة ، والابتسامة التى على شفتيه ليست حقيقية ، انها ضحكة متواصلة لا مبالاة فيها » والوصف هنا يعبر عن مدى الاستهتار عند البدوى الذى أدى بعد ذلك إلى انتهاكه للأراضى الزراعية والرعى فيها .

حـ ـ العينان :

إذا كان وجه وابتسامة العربى الفلسطيني قد نالا اهتمام الأدباء الاسرائيليين بالوصف عند تناولهم للشخصية العربية ـ الفلسطينية ـ فإن عينى هذه الشخصية قد حظيتا بنصيب أكبر من الوصف حيث شاعت عنها الأوصاف التالية :

١ ـ متعبتان ومتقلصتان :

حيث يصف "ناتان شاحم" فى قصة "تراب الطرق" العربى الذى جرى وراء عربة كفتوروفتيس المحملة بالمربى وسقط تحتها قائلا :

« شاب واحد فقط ، وجهه صغير ، وعيناه صغيرتان .... لم يذهل كفتوروفتيس ، قفز من العربة ورفع الولد الذى كان يصرخ بين يديه . كان وجهه ضاربا إلى الحمرة ، وعيناه ضامرتان »

والوصف هنا مناسب لحالة الشاب الذى سقط تحت العربة وكان يصرخ ويبكى من شدة الألم ، لأنه من الطبيعى أن تكون عيناه مغرورقتان بالدموع وضامرتان من شدة البكاء .

أما أشر براش فيصف عيون العرب بأنها دائما ملتهبة حيث يقول فى قصة "صفية المسيحية" :

« كان أولادها الخمسة أولاد عرب بكل تفاصيلهم : الملابس القطنية القذرة ، والشعر على مقدمة الرأس ، وربما كان يوجد دائما التهاب العينين المزمن » .

والوصف هنا يعكس حالة الاهمال التى يعيش فى ظلها العرب ، وعدم تمتعهم بالرعاية الصحية الكاملة لدرجة أن التهاب العينين أصبح سمة واضحة من سمات عيونهم .

والذى يؤكد ذلك أننا نجد أن هناك أدباء آخرين يصفون عيون العرب بنفس هذه الصفة : « فاسحق أورباز" يصف - فى قصة على سن الطلقة - العربى الذى كان فى الصورة قائلا :

« كان يوجد بين هذه الصور ، صورة لفتاة عربية ، وصورة عائلية عجوز واحد سقيم العينين »

كما يصف "عاموس عوز" - فى قصة "البدو الرحل والثعبان" - البدو الرحل وهم يتنقلون من مكان لمكان قائلا :

« سيل متقطع وعنيد يتجه شمالا ، تاركا وراءه الأماكن التى كان يستوطنها وينظر متعجبا بعيون متعجبة إلى المناظر العاصفة »

٢ - محملقتان وترفان فى عصبية :

حيث يصف "س . يزهار" - فى قصة "خربة خزعة" - عيون العرب الذين كانوا يختبئون بين الحقول بعد أن وصف التل الذى وصل اليه الجنود الاسرائيليون بالعربة الجيب ليشرفوا منه على الجانب الآخر والأراضى الواسعة المترامية الأطراف والتى بدت أسفل التل فيقول :

واذا بتلك العيون المتهمة تحدق بك من قلب الحقول ، انه صمت النظرة المتهمة تماما كتلك التى للحيوانات المهانة ، تحدق به وتصحبك ولا مفر »

والوصف هنا يعبر عن الحزن الذى ألم بالفلاحين الذين وقفوا مكتوفى الأيدى عاجزين عن عمل أى شىء فى حقولهم .

أما "عاموس عوز" فيصف - فى قصة "البدو الرحل والثعبان" - البدو وهم يتنقلون مع أغنامهم من مكان لمكان بحثا عن المربى وهربا من الجوع قائلا :

غنمهم الأسود مبعثر فى المناطق تأكل طعامها بأسنان قوية وشرهة وخطوات أصحابها صامتة وبطيئة وأعينهم تراقب كل شىء »

وهذا الوصف يعكس مدى الحذر والحرص الذى يعيش فيه البدو فهم من ناحية يخشون أن يراهم أحد من اليهود فيمنعهم من الرعى ، ومن ناحية أخرى يحرصون على أن يستفيد قطيعهم من كل مايتاح لها من مرعى .

كما يصف "عاموس عوز" ـ فى نفس القصة ـ البدوى عندما قابلته "جئولا" وسألته عما يفعله فى الظلام وعما اذا كان لصا أم لا فيقول :

« لا ، حقا لا ، أبدى اقتناعا كاملا وعاد للابتسامة . وكانت عينه المفتوحة ترف تلقائيا فى عصبية ..... انكمش العربى من تأثير الكلمات السريعة وحملق بعينيه فى الأرض » .

وهذا الوصف يختلف عن الوصف الأول ، فهو هنا لا يعكس الحرص والحذر ولكنه بمثابة ستار يحجب انفعالات البدوى عن "جئولا" عندما قالت له متعجبة : "لص" فالكاتب يحرص على أن يوضح أن البدوى كان يشعر بأنه عمل عملا غير شرعى وأنه تسبب فى الحاق الخسائر بمزارع المستعمرة ولذلك فإن عينيه كانتا تحملقان وترفان فى عصبية ليتبين مالم يتمكن من الإفصاح عنه .

٣ ـ شاردتان ترتعدان من الخوف وتبعثان على الحيرة والشك والحقد

حيث يصف "ناتان شاحم" الشابّ العربى ـ فى قصة "تراب الطرق" ـ الذى حاول الهرب من كفتوروفيتس قائلا : « وجهه غاضب ، عيناه سوداوان قاسيتان تبعثان على الشك حاقدتان تنظران اليهم فى كل اتجاه » كما يصف الشباب العرب الذين كانوا ينتهزون فرصة ابتعاد "كفتوروفيتس" أو اختفائه لينقضوا على المربى ويلتهمونها قائلا :

« اختفى "كفتوروفيتس" فى فتحة البرميل . طالت اللحظات كانت العيون الحاقدة تكمن من كل جانب وتنتظر الوقت المناسب . »

والوصف هنا يوضح مدى الحرمان الذى يعيش فيه العرب ، كما يوضح أيضا المعاملة السيئة والارهابية التى يلقاها العرب من اليهود والذى يؤكد ذلك أننا نجد أنه على الرغم من أن "يوسف حنانى" ـ فى قصته "مزمار أحمد" ـ كان يعامل احمد بلطف ويحاول الاقتراب منه ليعبر له عن اعجابه بعزفه على الناس الا أن أحمد كان لايزال خائفا وينظر حوله فى رعب وفزع حيث يقول "حنانى"

« كان كلامى مزيجا مشوها من العربية والعبرية ، وبدا أن وضوح وجهى قد أزال خوفه ، وبدأ هو يقترب منى ويلقى حوله بنظرات مليئة بالرعب »

٤ ـ شريرتان تنظران فى عداء للآخرين وتشعان بريقا حادا :

حيث يصف "ناتان شاحم" الشاب العربى الذى جرى وراء عربة "كفتوروفيتس" المحملة بالمربى قائلا :

« شاب واحد فقط ، وجهه مستدير ، وعيناه صغيرتان وشريرتان » و"شاحم" يعبر هنا عن حالة الشاب الذى جرى مع زملائه وعيناه كانتا مليئتان بالشر لأنه يتوقع أن يضربه "كفتوروفيتس" بالسوط . وعندما حدث ذلك بالفعل نجد أن "شاحم" قد وصف عيون العربى ـ فى نفس القصة ـ بأنها تنظر فى عداء للآخرين فقال عندما وصف العرب الذين كانوا يقفون على أحد جانبى الطريق :

« مجموعة من الشباب تقف على جانبى الطريق ، بجوار العربة ، ونظرت اليهم فى عداء وفجأة انحنى واحد منهم ، ورفع حجرا وألقاه بقوة تجاه العربة . »

كما يقول :

« وقف عدد من الشباب أمام العربة ، عمل تحدى ولم يخلو الطريق . تجاهلهم "كفتوروفيتس" ، فقفزوا من مكانهم فى آخر لحظة ونظروا اليهم بنظرة عداء وهنا يعبر "شاحم" عن مشاعر العرب الذين ساءهم ماحدث للشاب العربى الذى سقط تحت العربة ، كما ساءهم أيضا اعتداء "كفتوروفيتس" بالضرب على الشباب العرب ، ولذلك فإنهم كانوا يقفون وينظرون فى عداء تجاههم حتى أن أحدهم التقط حجرا من الأرض والقاه بقوة تجاه العربة .

ويلاحظ أن شاحم أراد أن ينبه اليهود إلى معاملتهم السيئة للعربى وإلى أحقية هؤلاء العرب فى العيش على أرضهم فيقول :

« أرض اسرائيل ليست صهيون ولكنها فلسطين . العربى ليس صورة تصويرية فى كتب الجغرافيا ، ولكنه إنتاج حى ، يقف على أرضه ، وينظر فى عداء للآخرين . »

وكأنه يقول لهم : إن العربى ليس غائبا ، ولكنه موجود ومشحون بالغضب والعداء تجاهكم لما يلقاه من معاملة سيئة .

د ـ الأسنان :

تعرض الأدباء الاسرائيليون الذين تناولوا الشخصية العربية الفلسطينية فى قصصهم القصيرة إلى وصف أسنانها ، ونظرا لأن تناولهم كان منصبا على الفلاح والبدوى فإن وصفهم للأسنان جاء مناسبا لهذين النمطين حيث شاع عنها :

١ ـ أنها سوداء :

فيصف "اسحق أورباز" ـ فى قصة "على سن الطلقة" صورة "ابراهيم عبد المحسن جامونى" قائلا :

« كانت له أسنان سوداء ، وأسفاه لقد شوهت الأسنان تلك الابتسامة القلبية »

وهذا الوصف مناسب لشخصية "ابراهيم عبد المحسن جامونى" على أساس أنه فلاح والمعروف عن الفلاحين عدم الاعتناء بأسنانهم .

٢ ـ مثل أسنان الحيوانات :

فنجد أن "يوسف أريخا" قد استعار الذئب من البيئة الصحراوية وشبه أسنان أحد أفراد العصابة بأسنانه فى قصة "منظر ليلة" قائلا :

« بعد أن مشط رئيس العصابة شاربه مرة أخرى بابهامه وأصبعه ، وبخ فجأة الرجل المتوحش الذى يكشف أسنانه كالذئب الوحشى »

ولعل "يوسف أريخا" قد اختار الذئب بالذات ليعبر عن مدى القسوة التى عامل بها هذا الرجل (أحد أفراد العصابة) "أهارون جلعادى" .

كما أن "عاموس عوز" استعار الثعلب من البيئة الرعوية وشبه أسنان البدوى بأسنانه فوصف فى قصة "البدو الرحل والثعبان" ـ أحد البدو الذين قاموا بعملياتهم الانتقامية ضد اليهود قائلا :

« ظهر بملامح وجه ماكرة حتى يمكنه التدمير : مكشوف العينين ، ومكسور الأنف ، ولعابه سائلا ، وفكاه بارزان ، وظهرت من بينهما أسنان طويلة ملوية كأسنان الثعلب » .

ويبدو أن الكاتب اختار الثعلب بصفة خاصة لأنه ـ أى الكاتب ـ وصف البدوى بالمكر والخداع وهذه الصفات من صفات الثعلب .

هـ ـ الأيدى :

وجاء وصفها مناسبا لشخصية الفلاح حيث وصفت بأنها سمراء ، وخشنة ، وطويلة ، فيقول "س . يزهار" فى وصفه للعربى العجوز الذى وقع بين أيدى الجنود الاسرائيليين فى قصة "خربة خزعة" .

« أصبح أثناء حديثه بجوار بهيمته ، ويمسك حزام بطنها بيده السمراء المتيبسة »

ويصف أحد العرب الذين كانوا يجلسون تحت الجميزة قائلا :

« شخص ذو شارب غليظ ، كان يجلس فى طرف الدائرة ، ويلف بيديه القرويتين السمراوتين »

كما يصف العرب الذين جمعوهم من القرية ووضعوهم تحت شجرة خارجها فيقول :

« وهناك من كتفوا أيديهم الكبيرة الخشنة ، أيدى فلاحين ، على صدورهم »

وفى قصة "الحاج ابراهيم" يصف "أشر براش" تصرف ابراهيم عندما كان فى الحقل ورأى الشاب الصغير وهو يقطف اليقطين الصغير فيقول :

انحنى قليلا ، ومد يديه الكبيرتين الخشنتين ، وأمسك الشاب بشدة ، رفعه بإحدى اليدين ودفعه فى الهواء . »

أما فى قصة أبو يوسف فيصف "حاييم هزاز" أبو يوسف قائلا :

كان طويل القامة ومنحنيا قليلا ، وجهه ككتلة من الأرض فى وقت الجفاف ويداه طويلتان أكثر من المعتاد . »

وطول اليدين هنا أيضا مناسب لشخصية "أبو يوسف" لأنه كان حارسا فى أحد السجون والمعروف عن الحراس أنهم يكونون طوالا وأقوياء ، بالاضافة إلى أن "أبو يوسف" كان فلاحا قبل أن يعمل فى مجال الحراسة .

والقـــدمـــــان :

تعرض الأدباء الاسرائيليون لوصف القدمين فى تناولهم للشخصية العربية الفلسطينية وشاع عنها فى كتاباتهم أنهما حافيتان : فيقول "س . يزهار" ـ فى قصة "خربة خزعة" ـ فى وصفه للعرب الذين جمعوهم من القرية وشحنوهم فى العربات :

« واصلا السير فى بركة الماء مباشرة ، يخوضان فى الماء بأقدامهما الحافية »

وفى قصة الحاج ابراهيم ـ يصف "أشر براش" ابراهيم قائلا :

« السمرة والصلابة من الرياح والشيخوخة ، كفا قدميه الحافيتين فى صندل من المطاط »

ويصف يوسف أريخا الراعى فى قصته « الرسّام والراعى » فيقول :

« وقدماه الحافيتان ، والسوداويتان تخطوان فى همجية صحر. ية ثم يعرب عن مشاعر الرسام قائلا :

« توقع أن يرى خلف ظهره خنجرا مصقولا ، وعينين فيهما القتل وقدمين حافيتين لينقلا الراعى من الكمين رويدا رويدا .

وفى قصة « البدو الرحل والثعبان » ـ يصف عاموس عوز » الرجلين

اللذين رافقا الشيخ الذى حضر الى الكيبوس ليعتذر عن أعمال الشباب العرب فيقول :

« ثم قام وخرج ، هو والرجلان الحافيان اللذان يرتديان جلابيبهما القاتمة » .

كما يصف البدوى الذى تحدث مع جئولا قائلا :

« العربى يوسع ضحكته ، ويحنى قامته وكأنه يقدم الشكر على جميل كبير .

شكرا جزيلا ياسيدتى ، ابهاما قدميه الحافيتين غرستا فى الأرض الرطبة ويلاحظ هنا أن وصف القدمين كان شائعا بالنسبة للفلاح والبدوى كما كان بالنسبة لوصف الأسنان ولم يكن مقصورا على الفلاح فقط كما كان فى وصف الأيدى .

٢ ـ الملابس :

إمتد اهتمام الأدباء اليهود فى تناولهم للشخصية العربية الفلسطينية إلى وصف ملابسهم الخارجية ، وكان وصفهم مركزا على الملابس الريفية والبدوية وتجاهلوا تماما وصف الملابس الحضرية وذلك حتى تكتمل الصورة التى عمدوا إلى تصويرها وهى أن الشخصية العربية الفلسطينية : إما شخصية بدوية أو ريفية وجاء الوصف على النحو التالى :

أ ـ الفلاحون يرتدون قفاطينا ويضعون على الرأس عمامة أو طاقية :

حيث يصف "س . يزهار" ـ فى خربة خزعة ـ العجوز الذى كان يستمع إلى الحوار بين "مويشى وجابى" وقد خيل إليه أن ثمة ترددا فى الأمر قد ثار لديهما بالنسبة له فيقول :

استدار نحونا ، طاقية صغيرة على رأسه ، ولحيته بيضاء ، وقفطانه مخطط مفتوق من على صدره الأشيب .

ويصف العربى الذى دفعه "مويشى" بقوة داخل العربة قائلا :

« بقيت ساقاه ، وذيل قفطانه ، وصندله تتدلى خارجها وهى تتخبط تخبطات مضحكة » .

كما يصف العجوز الذى جلس على حجر بجانب أحد المنازل فيقول :

« وسرعان ماراح ذلك الرجل ، ذو العمامة البيضاء ، والحزام الأصفر يحاضر أمامنا » .

ويصف عربيا من بين أول مجموعة بدأ نقلها بالشاحنات قائلا :

« وسرعان ما انبرى من بينهم احد الرجال بقفطانه المقلم وحزامه الجلدى اللامع الابزيم » .

كما يصف العربى الذى توجه إلى أحد الجنود الاسرائيليين ليسأله عما إذا كان العرب سيأخذون معهم حاجاتهم أم لا فيقول :

« وهنا توجه إلينا عربى من فوق الشاحنة فجأة ، ذلك المقلم اللامع الابزيم » .

ويلاحظ أن "س . يزهار" قد صور ملابس الفلاح فى القرية كما رآها وربما يرجع ذلك إلى انه ولد فى فلسطين وكان يعبر من خلال انتاجاته الأدبية عن احساسه بالطبيعة الفلسطينية واللقاء مع الشعب الفلسطينى وجها لوجه .

وفى قصة "الحاج ابراهيم" يصف "أشربراش" الحاج ابراهيم وهو جالس أمام محل الخضراوات قائلا :

« هو نفسه يجلس على عتبة حجرية ، ضخم الجسم ، يرتدى قفطانا جميلا وطويلا ومحزم بحزام وعلى رأسه طاقية » .

ويصفه عندما كان يسير بين الكتل الترابية التى نسج عليها العشب الجميل ونبات اليقطين فيقول :

« سار الحاج ابراهيم بينهما بقفطانه الواسع » .

كما يصفه عندما كان يقطف اليقطين من بين الأحواض فيقول :

« هو نفسه انحنى وبدأ يبحث بين الاحواض ، واختفى هنا وهناك قطف يقطينه خضراء ، ووضعها فى جيب قفطانه »

وفى قصة "صفية المسيحية" يصف "أشربراش" أيضا العربى الذى خرج من المنزل ثائرا غاضبا قائلا :

"وبينما أقف مندهشا ، ثار فى الخارج عربى مكشوف الرأس ، يقفز فى قفطانه لينجو من الخطر" .

وهنا نجد أن "أشربراش" قد صور الفلاح الفلسطينى كما هو على طبيعته وهذه سمة من سمات "براش" البارزة فى كتاباته القصصية حيث انه يتميز فى كتاباته بالبساطة وتناول نماذج من الحياة البشرية كما هى فى الواقع .

ب ـ البدو يرتدون جلابيب غامقة :

حيث يصف "عاموس عوز" الرجلان اللذان كانا مع الشيخ الذى أحضروه الى مقر سكرتارية الكيبوتس وشرحوا له ماقام به البدو من اعمال السرقة فيقول :

« ثم قام وخرج هو والرجلان الحافيان اللذان يرتديان جلابيبهما القاتمة .

ثم يصف البدوى "وجئولا" تنظر إليه فيقول :

« تتطلع الفتاة لجلبابه الغامق الثقيل وقالت له : الا تشعر بحرارة من هذا ؟ »

ويلاحظ هنا أن "عاموس عوز" قد وصف ملابس البدوى ولم يتعرض لوصف ملابس الفلاح وربما يرجع ذلك الى ان كتاباته القصصية تتناول الاحداث العامة التى يجعل الكيبوتس مسرحا لها ، ومن الطبيعى ان يكون تناوله مقصورا على البدو لأنهم هم الذين ينتقلون بقطيعهم فى المناطق المجاورة لمزارع الكيبوتس بحثا عن المرعى وجاء اختياره للجلابيب الغامقة مناسبا جدا لهم لأنها تعكس أشعة الشمس نهارا فتشع الدفء فى أجسادهم كما أنها تحميهم ليلا من برودة الجو وهم فى الصحراء .

المبحث الثانى

الطبائع والقيـم الدينيـة

إذا كانت السمات الخارجية لأى شخصية تعطى انطباعا خاصا عن هذه الشخصية وتعكس بعض الانطباعات الداخلية والمشاعر النفسية لها ، فان الطبائع والقيم هى التى تؤكد صدق هذه الانطباعات ، وتكمل الصورة النهائية التى توضح هوية هذه الشخصية واتجاهاتها وأنماط حياتها .

ولما كان هناك اهتمام من جانب كتاب القصة الاسرائيلية القصيرة بتناول السمات الخارجية للشخصية العربية الفلسطينية ضمن اطار تصويرها ، فان طبائع وقيم هذه الشخصية قد حظيتا بنصيب أوفر من الاهتمام من جانب هؤلاء الكتاب . ولذلك فإننا سنحاول تحليل هذا الجانب من خلال النماذج الأدبية المختارة استكمالا لمحاولتنا إيضاح رؤية الأدباء الاسرائيليين لصورة الشخصية العربية الفلسطينية خلال الفترة موضوع البحث وذلك من خلال جزءين رئيسيين وهما الطبائع ، والقيم الدينية .

١ ـ الطبائع :

كان وصف طبائع الشخصية العربية الفلسطينية فى مقدمة الجوانب التى نالت اهتمام أدباء القصة الاسرائيلية القصيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) نظرا لأن هؤلاء الأدباء قد حرصوا على تشويه صورة العربى الفلسطينى ، والتحقير منها ، واظهاره فى صورة بشعة متوحشة وذلك كما سيتضح من تحليلنا لهذه الطبائع .

وقد رأينا أن نقسمها الى خمس نقاط على النحو التالى :

أ ـ الوحشية :

تجسيدا للرؤية الصهيونية للشخصية العربية الفلسطينية على أنها شخصية تحمل فى طياتها قدرا هائلا من الرغبة فى الانتقام بما ينطوى

ذلك على قدر كبير من الوحشية والتعطش للدماء ـ فقد حرص الادباء اليهود على أن يظهروا العربى الفلسطينى فى صورة متوحشة مرعبة فصوروه على النحو التالى :

١ ـ مثل الحية السامة والثعبان :

حيث يصور «س . يزهار» ـ فى قصته «خربة خزعة» ـ على لسان «شلومو ويهودا» الطفل العربى الصغير حين يكبر ويكون رجلا بأنه سيكون مثل الحية السامة ـ فيقول :

«رأينا كذلك ذلك الشيء الذى كان يدور ، والذى لايمكن أن يكون حين يكبر الا حية سامة ، ذلك الذى هو الآن .

وقد جاء التصوير بهذه الصورة تبريرا لما يقوم به الجنود الاسرائيليون من اعمال إنتقامية ضد العرب ، رجالا ، ونساء ، وأطفالا . وأن مايقوم به اليهود من أعمال ضد الاطفال هو إتقاء لشرهم حينما يكبرون .

وفى قصة «الأسير» يصف «س . يزهار» أيضا الشخص الذى كان يجلس على أحد جانبى الصخرة عندما كان الجنود يقطعون الطريق جيئة وذهابا فيقول :

«وخلال هذه الضجة غاب عن ذهننا أن شخصا ما كان يجلس على أحد جانبى الصخرة فى المنحدر بين عقبى بندقية وزوجين من الأحذية ، إنه الأسير الذى كان يتلوى كالثعبان » .

وكما جاء التصوير فى «خربة خزعة» ليبرر الأعمال الانتقامية للجنود الاسرائيليين ضد العرب فان التصوير فى «الأسير» جاء تبريرا للقبض على البدوى الذى كان يجلس فى حال سبيله دون اى ذنب اقترفه .

أما فى قصة «الرسام والراعى» فإن «يوسف اريخا» بين سبب القلق الذى كان يعيش فيه الرسام بعد أن تركه الراعى قائلا :

« كان يتوقع أن يرى خلف ظهره خنجرا مصقولا ، وعينين فيهما القتل ، وقدمين حافيتين لينقلا الراعى من الكمين رويدا رويدا كحية مفترسة » .

والكاتب هنا أراد بهذا التصوير أن يظهر الراعى فى صورة بشعة وخطره ، وأنه خائن ولاأمان له وليس عنده مجال للتفاهم ، وأنه من الممكن ان يتسلل خفية كالحية المفترسة وينقض على الرسام .

٢ ـ مثل الرجل المتوحش :

حيث يصف «يوسف أريخا» فى قصته «منظر ليلة» أحد العرب الذين قابلوا أهارون جلعادى وهو يسير ليلا فى الطريق بعد أن وصف أفراد العصابة فيقول : .

«طوال القامة وأقوياء ، ملثمين ويرتدون ملابسا من الكتان ، ملفوفين بالعباءات وعيونهم تلمع كالخنافس الهامسة ، وأسنانهم بيضاء ، وأنوفهم دقيقة وأصابعهم مربوطة بأشرطة . أحدهم كان صبيا ، ويبدو كرجل متوحش .

ثم يصف نفس الرجل مرة أخرى فى نفس القصة قائلا :

« بعد أن مشط رئيس العصابة شاربه مرة أخرى بابهامه وأصبعه ، فجأة وبخ الرجل المتوحش الذى كشف اسنانه كالذئب المتوحش .

والعصابة هنا مقصود بها مجموعة من الفدائيين كانت تقوم بأعمالها الفدائية ضد إحدى المستعمرات ، والرجل الذى وصف بأنه متوحش هو أحد أفراد هذه المجموعة ، ولذلك فإن الكاتب وصفه بهذه الصفة ليبين أن هؤلاء الفدائيين يقومون بأعمال إرهابية ضد اليهود .

وفى قصة «البدو الرحل والثعبان» يصف «عاموس عوز» الراعى على لسان جئولا قائلا :

«طرح جسمه على الأرض ، امسك بعنقى ، والقى بنفسه على بطنى كان مخيفا ونحيفا ، وصغيرا ، صغيرا كالشاب ـ وقويا متوحشا .

وهنا نجد أن «عاموس عوز» قد وصف الراعى بأنه متوحش ليكمل الصورة التى أراد أن يصور البدو بها وهى أنهم مزعجون ، ومتسللون ، ولصوص ومتوحشون .

أما فى قصة «قيثاره يوسى» فيصف مردخاى طبيب الشباب العرب قائلا :

فان يوناة اليوم كما هى ضعيفة وواهنة جسديا ونفسيا ، أما هؤلاء الصغار الذين يثيرونها فإنهم متوحشون بطبيعتهم وقد وصف «مردخاى طبيب» الشباب العرب هنا بأنهم متوحشون بطبيعتهم ليؤكد على الفكرة التى يريد أن يبثها من خلال قصته وهى أن العرب هم سبب البلاء الذى حل بيوناة ، كما كانوا السبب فى مقتل يوسى .

٣ ـ مجرم ويثير الرعب

حيث يقول «س . يزهار» فى «خربة خزعة» على لسان أحد الجنود الاسرائيليين وهو ينظر الى القرية التى سادها الصمت ولاحت فى أفقها الآلام والآحزان :

« يوم واحد فقط غير مريح ، ثم نضرب جذورنا من بعده هنا لأيام كثيرة كما الشجرة على غدير ماء . أجل وفى المقابل المجرمون » والوصف هنا جاء ضمن سلسلة الأوصاف التى وصف بها الجنود الاسرائيليون عرب القرية تبريرا لأعمالهم .

وفى قصة «منظر ليلة» يصف «يوسف أريخا» تصرفات أحد أفراد العصابة مع أهارون جلعادى قائلا :

« وبسبب الحقد الناتج عن الغيرة والتعصب كان يقفز عليه ليخفيه بكلتا يديه ، ليهرسه ويمزقه إربا ، ويبدو أن الغيور الكبير كان صبيا قاتلا ، ولولا اليد التى أمسكته من كتفه ودفعته بقوة جانبا لكان من الممكن ان يدمر من أجل أن ينفذ مؤامرته .

وقد أراد «أريخا» أن يبين مايثيره هذا الرجل من رعب فى «أهارون جلعادى» فوصفه بالحقد والغيرة والقتل والتدمير ، كل هذا فى اطار مايرمى اليه من تشويه صورة الأعمال التى يقوم بها الفدائيون .

أما فى قصة «تراب الطرق» فيصف «ناتان شاحم» تصرفات أحد الشباب العرب الذين كانوا يعترضون عربة كفتوروفيتس قائلا :

« مجموعة من الشباب تقف على جانبى الطريق ، بجوار القرية ونظرت اليهم فى عداء وفجأة إنحنى واحد منهم ، رفع حجرا ، والقاه بقوة تجاه العربة» .

والكاتب هنا أراد أن يبين ان الشباب العرب يتميزون بالعدوانية وأنهم يثيرون الرعب فى قلوب اليهود بإلقائهم الحجارة عليهم ، كما أراد أن يخلق مبررا لتصرف كفتوروفيتس عندما القى بأحد الشباب تحت العربة

ب ـ متسلل ورجل عصابات ولص :

حرص الأدباء الاسرائيليون أيضا على أن يظهروا العربى الفلسطينى فى صورة المتسلل ، واللص ، ورجل العصابات وذلك حتى يبرروا لأنفسهم

مطاردته ، ومعاملته بقسوة وعنف وطرده من أرضه وقد تكررت هذه الصورة كثيرا فى كتابات الآدباء الاسرائيليين مما يؤكد شيوع المفاهيم الخاصة بتشويه صورة العربى الفلسطينى .

أن « س . يزهار » يتحدث فى خربة خزعة عن التعليمات التى تلقاها من قيادته قائلا :

« ولايمكن تقدير هذه الخاتمة النزيهة حق قدرها إلا بعد أن تعود الى البداية ، وتستعرض فيما نستعرض ذلك البند الموقر «معلومات» الذى سرعان مايحذر من خطر متزايد لـ «متسللين» و «نوى عصابات» .

وفى معرض وصفه للقرية وهدوئها ، والطبيعة الجميلة آسفا على المهمة المكلف بها هو وزملاؤه متمنيا لو كانوا فى رحلة مدرسية ليستجموا فى هذا الجو الرائع يقول :

« القرية التى هناك ، والمتسللون الذين فيها »
كما آسف على وجوده وحيدا فى السهل قائلا :
« المعارك والعمليات ، والمهام كلها كانت غريبة عنى . وكل أولئك العرب القذرون ، والمتسللون لأحياء نفوسهم القاحلة »

و «يزهار» يسوق هذا الوصف فى «خربة خزعة» على لسان السلطات الاسرائيلية التى أساءت الى شخص العربى الفلسطينى وشوهت صورته أمام الجندى الاسرائيلى حتى يقدم على تنفيذ مايصدر اليه من تعليمات دون تفكير .

وفى قصة «منظر ليلة» يصف «يوسف أريخا» الطريق الى منزل «أهارون جلعادى» فيقول :

« وفى الحقيقة ، فان الطريق مازالت مليئة بعصابات السلب والنهب ثم قال عندما وقع «جلعادى» بين أيدى افراد العصابة :

«وفورا هىء له أنه سقط بين ايدى عصابة تقوم بعملياتها فى المساء ويحتمل أن تكون هذه العصابة هى نفس العصابة التى هاجمت «تل تسوك» منذ ثلاثة أيام .

ويقول فى مكان آخر من نفس القصة :

«تخيل أنه سيقع بين أيدى عصابة قاتلة تنهى كل شىء ويبدو أن ذلك قد تحقق .

كما يقول عندما بدأ افراد العصابة يسألون «جلعادى» بعض الأسئلة :

« وبدأ هؤلاء يسألونه أسئلة ، وجلعادى يجيب فى هدوء والكل ينظرون بأعينهم الى رئيس العصابة الذى يقف فى وسطهم .

ثم يصف أفراد العصابة بعد أن أخذوا جلعادى معهم الى المكان الذى يختبئون فيه قائلا :

« وهكذا كانوا يسيرون : حاملوا البنادق على الجوانب.، وفى المقدمة ورئيس العصابة فى الوسط يهتز على سرج مهره سوداء .

ويصف فى مكان آخر من القصة أفراد العصابة عندما جلسوا ليأكلوا فيقول :

« وجلس هؤلاء وأرجلهم مطوية فى شكل دائرة حول النار ، منهمكين على مأدبة الغذاء ، على عجلة حديديه مقعرة يأكلون فتات الخبز ، وكان رئيس العصابة الذى بدا وكأنه أكل وجبه خفيفة ، ممدا وملفوفا ببطانية ويستعد للنوم .

كما يقول فى موضع أخر :

« ومن خلال همهمة السائرين عرف جلعادى أن رئيس العصابة هو « أبو يوسف» بجلاله وقدره حيث ذكر اسمه سواء على السنة رجال السلطة أو على السنة المستوطنين بأنه رئيس عصابة ، ولص قوى .. وهو نفسه «ابو يوسف» الذى اختطف عددا من أبناء المستعمرات ولم يعيدهم » .

وكما ذكرنا من قبل فإن المقصود بالعصابة فى هذه القصة هى مجموعة من الفدائيين كانت تقوم بأعمالها ضد إحدى المستعمرات ، ولعل يوسف أريخا قد وصفها بهذه الأوصاف حتى يشوه صورة العربى الفلسطينى الذى يكافح من أجل حقوقه المشروعة وحتى يضع مايقومون به فى مجال عمليات السلب والنهب .

أما فى قصة «البدو الرحل الثعبان» فإن «عاموس عوز» يتحدث عن البدو فيقول :

إنهم يسرقون ثمار الفواكه غير الناضجة التى فى البساتين ، ويفتحون الحنفيات ويسرقون الأكوام المهجورة ، ويسرقون حظائر الدجاج ،

وينتفون ريش الطيور ، أضف الى ذلك ـ ونرجو الا يساورك الشك ـ أن آيديهم قد وصلت الى الأمتعة التى فى شقتنا الصغيرة .

كما يقول فى مكان آخر من نفس القصة :

«إن الظلام يشاركهم فى جرائمهم ، اللصوص يمرون فى المعسكر كالريح ، ولم يجدوا الحراس الذين وضعناهم ، ولاالحراس الذين أضفناهم اليهم .

ويتحدث عن عمليات التفتيش التى كانت تقوم بها السلطات داخل مخيمات البدو لتبحث عن السرقات والسارقين فيقول :

«لم تسفر العمليات الهجومية المفاجئة التى تمت فى المخيمات الممزقة عن اى شىء ، وكأن الأرض قررت أن تتستر على السرقة وتنبه السارقين .

وفى مكان آخر من نفس القصة ينتقد «عاموس عوز» تعاطف «أطقين» مع البدو ويعبر عن عدم جدوى هذا التعاطف فيقول :

(ولكن هذه المرة كل شىء زاد عن حده ولذلك ماذا يعتقد «أطقين» إنهم يسرقون ويغتصبون ، ويدمرون ، ويحولون أراضينا الى خوف شديد .

ثم يشير إلى أن البدو يسرقون بعض الأشياء فيقول :
« حتى الآن لم يحدث شىء مروع حقيقى . بعض عمليات السرقة ليست نهبا ، واغتصابا ، وقتلا »

ولعل وصف «عاموس عوز» للبدوى بهذه الصفات أيضا وتكراره لها أكثر من مرة فى سياق القصة مقصود به تشويه صورة البدو وأنهم هم السبب فى كل مايلحق بالكيبوتسات الاسرائيلية من أضرار ، كما أن هذا التكرار يؤكد شيوع الأفكار المقصود بها تشويه صورة العربى الفلسطينى على أيدى الكتاب الاسرائيليين .

جـ ـ الجبن والمذلة :

كان الجبن والمذلة من بين الصفات التى وصف بها الأدباء الاسرائيليون عرب فلسطين فى قصصهم القصيرة خلال الفترة موضوع البحث حيث شاعت هذه الصفات فى كتاباتهم على النحو التالى :

١ ـ أنهم جبناء :

حيث وصفوا بذلك اما صراحة أو شبهوا بالقنفد والفأر . فيقول «ناتان شاحم» فى قصة «تراب الطرق» على لسان كفتوروفيتس عندما سأله «الياهو» عن امكانية أن يسافر إثنان إلى الخليل « يمكن أن تخاف أيضا من الحجر الذى فى الحقل ـ هل ترى هذا الحجر ، ذاك الكبير يمكن أن يأتى عربى ويلقيه علينا ، إننا يجب أن نوجه للجبناء النظرات وكل ماسورة بندقية » .

ووصف العرب بالجبناء هنا هو وصف مقصود من جانب «ناتان شاحم» حيث يريد بذلك أن يوضح لالياهو أن العربى ليس له أمان ويمكنه أن يلحق الأذى باليهودى فى أى وقت ، ومن هنا كان السبب فى معاملة كفتوروفيتس القاسية للشباب العرب ، كما أنه يريد أن ينبه « الياهو» لأن يأخذ حذره من العرب وأن يبادرهم بالمعاملة القاسية إتقاء لشرهم .

وفى قصة «الكنز» يصف «أهارون ميجد» «سليمان» عندما سمع أصوات خطوات وهو فى طريقه الى الكنز فيقول :

« إنكمش سليمان كالقنفد ، والتصق بالساق وعلى بعد أربعة أقدام كانت هناك أصوات عالية .

ثم يصفه وهو يحاول الهروب من المخزن فيقول :

« سرت حرارة فى داخله وقال : سجن ، لايمكن الهرب ، حبسنى عدوى كحبس الفأر» .

ويلاحظ هنا أن «أهارون ميجد» قد آستعار بعض الحيوانات من البيئة القروية ليشبه بها سليمان الرجل العربى ، وربما يرجع ذلك الى أنه من الكتاب الاسرائيليين الذين اهتموا بوصف الحياة القروية وصفا دقيقا . وقد وصف سليمان أولا بأنه انكمش كالقنفد وذلك ليبين مدى جبنه فانكماشه بهذه الصورة كان لمجرد أنه سمع صوت خطوات على مقربة منه ، ثم وصفه بعد ذلك بالفأر وكان اختياره للفأر مناسبا جدا لأن سليمان كان موجودا فى مخزن للغلال وعادة ماتتواجد الفئران فى مخازن الغلال بكثرة والهدف من وصفه بالفأر هو إظهار مدى جبنه أيضا فهو خائف حتى من مجرد الهروب .

٢ - إنهم يتصفون بالاستسلام والإذعان والمذلة :

وقد ورد ذلك إما صراحة أو فى صور استعارية حيث شبهوا بالشحاذين فى توسلاتهم وبالخرس والأحجار الصماء فى صمتها وسكونها إن « س . يزهار» يصف فى «خربة خزعة» حالة العجوز الذى آخذوا منه الجمل فيقول :

«رغا العجوز متزلفا ، وكان مستسلما ، ومخلقا ، ومؤملا ومصليا ، وجاهزا لأى شىء .

كما يصف العربى الذى أمسكوا به بعد أن حاول الهروب فيقول :

« وفى النهاية بلع الرجل ريقه ، ثم عاد ومد يده مستسلما .

ثم يصف العربى الذى كان فى العربة الجيب قائلا :

« كان العربى الذى فى الجيب ينحنى مستسلما ، وهو لايزال يحاول إخفاء آلام معدته بابتسامة اعتذار شاحبة سخيفة .

ويصف العجوز عندما طلب منه «مويشى» ان يختار بين نفسة أو الجمل فيقول :

« يلله» حكم مويشى : إمشى يلله .

طيب قال العجوز ، طيب ماشين ، وانحنى قليلا بإذعان اقرب الى صدمة القلب ثم تراجع عدة خطوات .

كما يصف الرجال والنساء والأطفال الذين وقفوا بجوار جدار إحدى المنازل عندما كان الجنود يقبضون على الشباب فيقول :

«حملقوا فينا بنوع من التجمد واليأس ، وبلمحة بارقة من حب الاستطلاع الذى يطل من خلال الرعب ، والذل ، واليأس ، والدمار ، ومن خلال مباغتة الكارثة التى حلت لتوها ، ويتضح من هذه الاشتشهادات الحالة السيئة التى وصل اليها عرب القرية وعجزهم . عن مواجهة الجنود الاسرائيليين ، كما يتضح منها دافع المقارنة التصويرية لجماعة غربية من الغزاة المدججين بالسلاح وعرب مدنيين عزل من السلاح غير قادرين على مواجهة هؤلاء الغزاة وليس فى مقدورهم إلا الخضوع والاستسلام .

أما «يوسف أريخا» فإنه يصف الراعى - فى قصة «الرسام والراعى» - عندما مر على الرسام فيقول :

« ومن خلال وجهه يبدو عليه الخضوع والاستسلام ألقى التحية على الرجل الغريب» .

كما يصفه عندما حاول أن ينادى على الرسام فيقول :

نهض كشيء مهمل ، توجه متسلقا الصخرة هادئا لينادى الرسام ، وما أن طبع على وجهه علامات الاستسلام حتى استجاب له ألونى بعربية واضحة . واستسلام الراعى هنا نابع من معرفته لحقيقة مصير الأرض التى يرعى فيها واعتقاده فى أن وجود الرسام سيتبعه مجموعة من الاجراءات الشكلية للسيطرة على هذه الأرض ، وفى نفس الوقت فإنه لايستطيع أن يفعل شيئا للحيلولة دون ذلك .

وفى قصة «الخشخاش المر» يقول «موشيه شامير» على لسان شبيرا عندما توسل اليه «ابو فاضل» ليتركه :

إنك تصون نفسك من صفات العرب ، وأحس بالفزع والاشمئزاز إزاء هذا الجسد الكبير الذى ركع أمامى على الأرض وأبناء أسرته من ورائه عند الحائط وعندما أصر «شبيرا» على أن يمشى ـ قال له «ابو فاضل» :

«هه ياأفندى ، هه ياشبيرا ، إرحمنا وارحم أولادنا ، نحن لك ، وكلنا لك إلى أين سترسلنا . إلى أين سترسلنى ؟ فلم يستجب له .

ثم يقول «موشيه» على لسان «أبو فاضل» وهو ينظر الى أولاده عندما تكرر استنكار «شبيرا» له .

« يله ، وخبط على رأسه ، ومؤخرة أولاده . إذهبوا ، ماذا تنتظرون ؟ إذهبوا وابكوا أمامه ، إذهبوا واطلبوا منه ، إذهبوا وصلوا أمامه توسلوا اليه » .

ووصف موشيه شامير للعربى بهذا الأسلوب يأتى ضمن نطاق اهتماماته بدراسة الاتجاهات الاجتماعية والطبقية ومناقشة المشاكل القومية وانتقاد حياة الكيبوتس حيث يتضح من هذا الوصف المعاملة المهينة التى يعامل بها العربى من قبل اليهود .

وفى قصة «على سن الطلقة» ـ يقول «اسحق اوربان» على لسان الجندى الاسرائيلى بعد أن حكى له «ابراهيم عبدالمحسن جامونى قصته :

«إننى شعرت بالذنب على ماحدث لبيته وعائلته ، يالجهنم ، وربما هو يكذب ، هؤلاء الأذلاء معرفون بالكذب»

«واسحق أورباز» يقصد بالاذلاء هنا الفدائيين لأنه كان يعتقد أن ابراهيم عبدالمحسن جامونى من الفدائيين ولذلك فانه جاء بهذا الوصف فى نطاق حملة التشويه التى يشوهون بها صورة العربى الفلسطينى .

أما «حاييم هزار» فيصف «ابو يوسف» ـ فى قصة «ابو يوسف» ـ عندما وجد المسجونين يتحدثون بعضهم مع البعض الآخر قائلا :

« وما أن عادوا إلى السجن . جاء « أبو يوسف » ـ ووقف أمامهم كالشحاذ» ومن هذا الوصف يتضح مدى الحالة المهينة التى يعيش فيها العرب فعلى الرغم من أن أبا يوسف يعمل حارسا بالسجن إلا أنه يتعامل مع المسجونين وكأنه شحاذا . وفى قصة «البدو الرحل والثعبان» ـ يصف «عاموس عوز» البدوى عندما حاول أن ـ يضرب أغنامه ، ومنعته جئولا عن ذلك فيقول :

« إمتثل البدوى فى إذعان تام ، ورمى الحجر من يده .

ويصف الأغنام قائلا :

«وبراعم حيواناتهم مهلهلة مكتظة ، تحتمى كل واحدة فى الأخرى ، وتتجمع فى شكل كتلة ترتجف صامته هادئة كرعاتها الخرس ... وعندما تعبر الحقول فمن شأنك ان تصطدم بقطيع خامل ملقى فى مكانه وقت الأيلولة ، وكأن أرجلها مغروسة فى الأرض الجافة ، وفى الوسط نام الراعى كحجر البازلت .

ثم يصف البدوى عندما كان واقفا وراء جئولا بين الحقول فيقول :

« البدوى واقف خلف جئولا ، صامتا كالضباب ، يحرك إبهام قدمه فى التراب وظله ساقط أمامه .

ويتضح من هذه الاستشهادات الاتجاه الأدبى «لعاموس عوز» فهو يتخذ الرمزية منهجا أدبيا له ولذلك شبة الرعاة مرة بالخرس ، وأخرى بحجر البازلت ، وثالثة بالضباب ،وكل ذلك يعكس حالة الاستسلام ، والمذلة التى يعيش فيها البدو .

د ـ القذارة والتفاهة :

كانت القذارة والتفاهة من بين الصفات التى وصف بها الكتاب الاسرائيليون العربى الفلسطينى وقد شاعت هذه الصفات على النحو التالى :

١ ـ وصف الأدباء العربى الفلسطينى بأنه قذر ، ومقيت ، وجيفة ، ووقح ، ونتن وحقير يثير الغضب وانقباض النفس وذلك حتى يبرروا لأنفسهم ممارسة العنف ضده بهدف إتقاء شره ، ففى خربة خذعة يقول س . يزهار على لسان أحد الضباط الاسرائيليين موجها حديثه الى جندى إسرائيلى ليتصرف مع العربى الذى كان يقف عند البئر .

«أوخز النذل فى مؤخرته قليلا ، فليتزحزح [illegible]، فليتزحزح هناك ذلك القذر »

ويعبر «يزهار» عن شعوره بالوحدة فيقول :

« كان من الأفضل لو أننى تركت كل شىء فى تلك اللحظة وذهبت الى المنزل . المعارك والعمليات ، والمهام كلها كانت غريبة عنى ، وكل أولئك العرب القذرون ، المتسللون لاحياء نفوسهم القاحلة فى قراهم المهجورة ، أصبحوا مقيتين ، مقيتين الى حد الغضب .

ويصف القرية بعد أن أصبحت خاوية وخربة فيقول :

« يتحرك فيها تجهم كريه ، كنوع من الشفقة على متسول ، ومشوه ، وقذر ، لايثير إلا الغضب ، وانقباض النفس لاحل له إلا أن تتخلص منه وأن تنتزع نظرة غاضبة وتقذف بها هذه القرية .

ويقول عندما صوب «جابى» مدفعه الرشاش تجاه العربى الذى حاول الهرب بعد أن خرج من باب أحد الأسوار الطينية :

«صوب جابى المدفع الرشاش نحوه بدقة وهو يقول لنا : إنه يوحى بأنه قذر» .

كما يقول على لسان جابى بعد أن أمسك بذلك العربى وبدأ فى استجوابه :

« إنه يوحى بأنه قذر ، عاد جابى وكرر مشيرا اليه بابهامه ...» جيفه لابد أن ذلك الحقير يضمر شيئا .

ويصف السائق ومساعده وهما يضعان العرب فى الشاحنة فيقول

كان السائق ومساعده قد وقفا هناك يستحثان الصاعدين ، فيمدان يدا لهذا ويدا لذلك ، يساعدانه بدفعه ، يقولان كلمة لفلان ، يعقبان على ذلك السمين ، وذلك القذر الكبير قطعا .

ووصف العربى هنا بأنه قذر ومقيت وجيفة ونتن وحقير جاء ضمن سلسلة الأوصاف التى حاولت السلطات الاسرائيلية أن تغرسها فى وجدان الجندى الاسرائيلى تجاه العربى حتى يقوم بتنفيذ أوامرها من قتل وطرد دون تردد .

وفى قصة «صفية المسيحية» يصف «أشر براش» صفية عندما خرجت من المنزل وهى منفعلة وتجرى وراء أخيها فيقول :

«وقفت فجأة كالمذهولة ، وفورا بدأت تتحدث بالألمانية . إنه أخى كلب قذر عربى حقيقى ، إنه أهاننى .

واختيار «أشر براش» لأن يكون وصف العربى بأنه قذر هنا على لسان صفية شقيقته يعطى إيحاء بأن هذه الصفة شائعة عنهم لدرجة أنهم هم الذين يصفون أنفسهم بذلك .

أما «ناتان شاحم» فيصف أحد الشباب العرب فى قصة «تراب الطرق» قائلا :

«شاب نحيف قذر ، ولكن كتفيه عريضتين ، وعلى رأسه قبعة عسكرية قديمة » كما يصف الشباب العرب عندما كانوا يصعدون على العربة ويلعقون المربى فيقول :

« كانوا يقفزون على العربة ، ويلعقون المربى التى تسيل على حروفها ، كان كفتورفيتس يقذفهم بالشتائم ، ويهددهم بالسوط ، ولكنهم التصقوا بالعربة كالذباب .

ثم يصفهم مرة أخرى قائلا :

« كانوا يجرفون بأصابع قذرة الطين العكر من فوق العربة ويضعونه فى أفواههم .

ويقول على لسان كفتوروفيتس عندما كان يسير بعربته :

«هناك مكان يعكر الصفو ، والجميع سيعبرون بسلام إذا لم يتحرك عربى قبيح ويفعل شيئا»

ووصف شاحم للعرب بهذه الصفة فيه تبرير لضربهم بالسوط ، فوصفهم بالقذارة ثم تشبيههم بالذباب يعنى أنهم يشكلون خطورة على المربى التى يحملها ولذلك فإن ضربهم كان بهدف تجنب هذه الخطورة .

٢ ـ وصف العربى الفلسطينى بأنه تافه : وذلك بهدف تغيبه عن أرضه ووطنه وجاء هذا الوصف إما صراحة أو فى صورة استعارية حيث شبه بالأشياء الصغيرة التافهة مثل النمل ، وأسراب الدجاج . والتماثيل الصغيرة .

ففى قصة «خربة خزعة» يصف «س يزهار» العرب وهم يجرون بين الحقول فيقول :

«هناك أيضا زأر أحدنا وهو يشير إلى حقل آخر كانوا يركضون فيه كالنمل ، أشباح كثيرة ، كان اندفاعهم يتبدد أكثر كلما كان الحقل أكبر" .

كما يصف أحد الجنود وهو يسوق العرب أمامه خارج القرية فيقول :

"يده الأخرى تستحثهم على الخروج كما لو كان يهش سربا من الدجاج" . والوصف هنا يبين مدى الإستهانه بالعرب الفلسطينيين وأنهم مجرد مخلوقات تافهة سرعان ما تتبدد وتزول .

أما "يوسف أريخا" فيصف الراعى فى قصة الرسام والراعى ـ قائلا :

"نهض كشىء مهمل ، توجه متسلقا الصخر هادئا لينادى الرسام" .

ووصف الراعى هنا بأنه شىء مهمل يهدف إلى تغيبة عن أرضه وإعطاء الحق للرسام فى تخطيط هذه الأرض والإستيلاء عليها كما حدث من قبل .

وفى قصة "البدو والرحل والثعبان" يصف عاموس عوز "البدو عندما يمر عليهم شخص فيقول :

"وعندما تمر من أمامهم بجرار يعج بالضجيج ويثير عليهم أعمدة من التراب فتجدهم يجمعون بهائمهم برقة ويفسحون لك ممرا أوسع مما تريد ويتطلعون إليك من بعيد وكأنهم تماثيل صغيرة" .

هذا الوصف فيه كنايه عن تفاهة البدو ويهدف أيضا إلى تجاهلهم .

هـ - مثل الحيوانات :

جاء وصف العرب بالحيوانات ضمن سلسلة الأوصاف التى روجها الأدباء الإسرائيليون فى كتاباتهم عن الشخصية العربية الفلسطينية بهدف تحقيرها ومعاملتها معاملة بهائمية .

ففى "خربة خزعة" يقول "س . يزهار" على لسان جابى وهو يوجه حديثه إلى أحد العرب :

"توقف أيها الكلب صرخ فيه جابى ، وأطلق عليه الرصاص فوق رأسه"

كما يصف العرب وهم يسيرون فى بركة الماء قائلا :

"وكان ثمة من إنحنى من بينهم متنهدا ، ثم خلع نعليه من قدميه وراح يقطع الماء . لم أعرف لماذا بدأ المشهد بالغ الإذلال والإحتقار كالحيوانات فكرت كالحيوانات ."

وعندما تقدمت المرأة المسنة وهى تحمل طفلتها الرضيعة الهزيلة وترقصها أمام الجنود الاسرائيليين أملا فى أن يتركوها ، صرخ فيها أحد الجنود وأمرها بأن تسير مع بقية الناس وهنا قال "سميلانسكى" على لسان "يهودا" :

"إنهم كالحيوانات : قال يهودا شارحا . فلم نعقب بشىء ."

والوصف هنا يعبر عن مدى احتقار اليهود للعرب ، واستهتارهم بهم وإهانتهم لهم . وفى قصة "صفية المسيحية" يصف "أشر براش" صفية عندما كانت تتشاجر مع أخيها فيقول :

وقفت فجأة كالمذهولة . وفورا بدأت تتحدث بالألمانية : إنه أخى ، كلب قذر ، عربى حقيقى ."

"وأشر براش" يقصد بهذا الوصف عدم احترام المجتمع العربى لنفسه واحتقاره لذاته مما يعمل على تشويه صورة العربى أمام القارىء .

أما فى قصة "تراب الطرق" فيقول ناتان شاحم - على لسان كفتوروفيتس - لزميله «إلياهو» عندما أوقف كفتورفيتس العربة فى السوق ونزل ليشترى بعض الطعام .

"إنهم مثل الكلاب ، يرون أنك تفكر كثيرا فيهاجمون ، وحينما نضربهم ضربة قوية فإنهم يهربون ."

ووصف العرب بالكلاب هنا جاء تشجيعا « لإلياهو » ليقوم هو أيضا بضربهم بالسوط كما يفعل كفتورفيتس .

وفى قصة على سن الطلقة يتحدث "إسحق أورباز" عن "إبراهيم" عندما ذهب ليخطب الفتاة التى أحبها فيقول :

"ذهب يطلب يدها ولكن أباها طرده مثل الكلب" .

وهنا أيضا كما كان فى قصة صفية المسيحية "لاشر براش" نجد أن الوصف جاء إظهارا لعدم احترام المجتمع العربى لنفسه واحتقاره لذاته ، ونفس الشىء نجده فى قصة "أبو يوسف" حيث يذكر "حاييم هزار" على لسان "أبو يوسف" وهو يوجه كلامه إلى المساجين بعد أن قص عليهم قصة الرجل الذى عطف على الكلب فأثابه الله على ذلك :

"أنهى أبو يوسف كلامه وقال : ولكن أنتم ياأولادى : أعطفوا على كلب مريض مثلى حتى تنالوا عطف العالم الآخر ."

٢ ـ القيم الدينية :

لقد اتضح مما سبق ان الأدباء الاسرائيليين (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) قد اهتموا فى كتاباتهم القصصية بتناول السمات الخارجية للشخصية العربية الفلسطينية بشقيها : الصفات الجسدية ، والملابس . كما اهتموا كذلك بتصوير طبائع هذه الشخصية ، وأن هذه الجوانب قد حظيت بنصيب وافر من التركيز على التفاصيل الدقيقة لها .

ومن الجدير بالذكر أن كتابات هؤلاء الكتاب لم تخلو من بعض الاشارات الى القيم الدينية لهذه الشخصية رغم أن معظم هذه الاشارات لاتحمل فى مضمونها مغزى معين ، وأنها وردت لتكملة البناء الفنى لهذه الكتابات ، وفيما يلى سنقدم تحليلا لهذه الاشارات من خلال النماذج القصصية المختارة وذلك من خلال نقطتين رئيسيتين :

١ ـ الصلاة ودور العبادة ، والحج

حيث نجد «س يزهار» يتحدث فى قصة ـ خربة خزعة ـ عن العرب الذين جمعوهم تحت الشجرة تمهيدا لنقلهم خارج القرية فيقول :

« كان ثمة من جلسوا وتمايلوا بظهورهم كما لو كانوا فى صلاة ، بينما دحرج آخرون سبحات العنبر العليه بشكل عام ، أو مجرد سبحات سوداء وهناك من كتفوا أيديهم الكبيرة الخشنة ، أيدى فلاحين على صدورهم .

ومن هذا الاسستشهاد يلاحظ ان الأدباء الاسرائيليين لم يكتفوا بتشويه السمات الخارجية وطبائع الشخصية العربية الفلسطينية ولكنهم ذهبوا الى أبعد من ذلك واستهزؤا من حركات الصلاة .

وفى قصة «الحاج ابراهيم» يصف براش تصرفات ابراهيم فيقول :

«وفى يوم الجمعة ، وبعد أن يعود من الصلاة بالمسجد فإن الشاب الصغير (ابنه أو حفيده ، وربما يتيم غريب) يحضر عدة كراسى من الأماليد المجدولة للحاج وضيوفه وثلاث أو أربع نرجيلات ، ومعها جمرات نارية»» .

وهذه الاشارة جاءت لتكملة البناء الفنى للقصة وإن كانت تدل على أن «أشر براش» لم يستطع اغفال الجانب الدينى عند العرب .

أما «ناتان شاحم» فيصف القرية فى قصة «تراب الطرق» قائلا :

« الجبال تقترب رويدا رويدا ، قرية عربية كبيرة ، هناك عند صخرة الجبل بمفردها ، ويوجد مسجد فى الوسط ، والبيوت من حوله ، بساتين محاطة بأسوار ، ورائحة دخان ، وقطعان من الماعز .

والاشارة الى وجود مسجد فى القرية ووصف بقية الأشياء نسبة اليه دليل على أنه من المعالم الرئيسية فى القرية ، وهذا يعكس اهتمام العرب بدياناتهم وان كان الكاتب قد أورد هذا من خلال الوصف ولايقصد ذلك .

وكما كانت هناك إشارة إلى الصلاة ودور العبادة ، كانت هناك إشارة أيضا إلى فريضة الحج حيث يتحدث «أشر براش» عن «ابراهيم» فى قصة الحاج إبراهيم فيقول :

لقد حج مرة إلى مكة المكرمة ، ومنذ ذلك الوقت يسمى بالحاج ، وهو يبيع الآن خضراوات من حديقته ، ومن مزرعته .

وهكذا نلاحظ أن اشارات الكتاب فيما يتصل بمجال العبادة تقتصر على المظاهر الخارجية فقط دون الاشارة الى الخشوع أو الفضيلة رغم أن الصلاة تدعو إلى الخشوع ، والحج يدعو الى الفضيلة بما يعكس جهل هؤلاء الكتاب بديانة عرب فلسطين .

٢ - القرية :

حيث يصف «س . يزهار» فى قصة «خربة خزعة» العرب الذين كانوا مكدسين تحت الشجرة فيقول :

جمهورا واحدا صامتا ويرافق بعيونه كل مايحدث ، وبين الفينة والأخرى كان ثمة من تأوه منهم ويقول : أخ يارب .

ثم يصف مجموعة أخرى من العرب قائلا :

« بينما راح آخرون يفككون أعواد القش والعشب بأيديهم لمجرد أن يفعلوا شيئا ما وعيونهم جميعا كانت تتجول معنا وتتعقب كل حركة لنا ، ولايقولون شيئا سوى تلك التنهيدة التى تطلق بين الحين والآخر : آخ يارب .

كما يصف عربى بعد أن رفض الجنود الاسرائيليين توسلاته فيقول :
ثم عاد وجلس فى مكانه ببطء وهو يتنهد قائلا : لاإله إلا الله .

وهنا نرى أن «يزهار» يحاول أن يرجع روح التدين والرجوع الى الله لدى العرب الى عجزهم أمام المواقف المختلفة ، ويبدو أن هذا المفهوم كان شائعا لدى الكتاب الاسرائيليين لاننا نجد ان أكثر من كاتب خلال الفترة موضوع البحث قد أشار إلى هذا المفهوم .

ففى قصة الحاج «ابراهيم» يقول «براش» على لسان إبراهيم :

الله فقط هو الذى يعرف ، هو الذى أحضرنا الى هذا العالم وهو الذى سيأخذنا منه .

وفى قصة «على سن الطلقة «يشير» أشر براش الى الحديث الذى دار بينه وبين «ابراهيم عبدالمحسن جابوتى» فيقول :

« وحكى لى إبراهيم أن أخاه قتل أثناء حرب اليهود مع العرب ، وهذه ارادة الله أن يموت أخوه وينتصر اليهود ، وهو نفسه ليس لديه أى شىء عكس ذلك هو نفسه نزح الى القطاع فسألته وماذا بالنسبة للعجوز ؟ فقال إبراهيم : لقد مات هو أيضا ، وحكى أن أباه لم يرغب فى أن يترك مكانه وقال فى هذا الصدد : إن أبى وجدى ولدا هنا ، وماتا هنا ، إننى سأبقى والله يفعل مايريد .

وفى قصة «ابو يوسف» يحكى حاييم هزار ماحدث بين «الياهو» و «ابو يوسف» عندما أخبر «أبو يوسف» الياهو بانه يملك أرضا وبساتين فيقول :

«صفعه» «الياهو» على وجهه وقال له : أتركت كل هذا وجئت لتكون شرطيا فى السجن ، فقال له أبو يوسف : لايوجد رزق ياحبيبى فالأرض قاحلة والرب لم يرسل بركته .

وهكذا نرى أن الأدباء الاسرائيليين ارادوا ترسيخ فكرة أن العرب الفلسطينيين لايستطيعون مواجهة المواقف المختلفة وليست لديهم القدرة على اتخاذ القرار .

الفصل الثانى

وصـــف الطبيعـة والأعمـــال التـــى يقـــوم بهـا العـــرب

تقع فلسطين فى الغرب من قارة آسيا بين خطى عرض ٣٠ - ٢٩ ، ١٥ - ٣٣° شمالا ، وبين خطى طول ١٥ - ٣٤° ، ٤٠ - ٣٥° شرقى جريتش وهى القسم الجنوبى الغربى من بلاد الشام وتنقسم جغرافيا الى ثلاثة أجزاء :

١ - الجزء الشمالى

ويتكون من الجليل وسهل زرعين : ويحد الجليل من الشمال سلسلة جبلية محاذية لشاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وجبل الشيخ ، والعديد من الأودية ومدينة تل القاضى المتاخمة لجبل الشيخ على مقربة من منابع نهر الأردن ، والى الشرق من جبل الشيخ منطقة خصبة ، أما جنوب الجليل فيقع سهل زرعين الخصيب ووادى الاردن ، وكان التخم الجنوبى لها يمتد الى جبل الكرمل المشهور بخصوبته على سلسلة التلال التى تنتهى فى الجنوب الشرقى عند جبل فقوعة .

٢ - الجزء الأوسط :

ويمتد من الطرف الجنوبى من وادى زرعين فى الشمال الى جنوب مدينة الخليل عند حدود النقب على بعد مائة وخمسة وثلاثين كيلومترا . ومن البحر الأبيض المتوسط إلى نهر الأردن ، والبحر الميت ، وهذه

المنطقة صالحة للزراعة وأهم غلاتها القمح ، والشعير ، والخضار ، والعنب ، والتين ، والزيتون ويزدحم السكان فى السهل الساحلى جنوبا .[٢]

٣ ـ الجزء الجنوبى

وهو المنطقة التى تقع الى الجنوب من مدينة الخليل بين البحر الابيض المتوسط والوادى الممتد من البحر الميت الى خليج العقبة ، ويتصف هذا الجزء بمناخ جاف وتنحدر السفوح فيه من الخليل الى بئر سبع الى صحارى تغطيها الاحجار الكلسية والصوان وتتخللها قلة من الأودية المزروعة ، والقسم الشرقى منها جبلى ويمتد الى الجنوب حتى يصل الى البحر الميت ، ووادى الأردن الخصيب الذى تكتنفه من الجانبين سلاسل جبلية .

ونظرا لخصوبة الأرض ووفرة الأمطار فان زراعة الحبوب والخضراوات والفواكه منتشرة فى المناطق التى يقيم فيها العرب . ومما لاشك فيه ان هناك عزلة جغرافية بين السكان العرب واليهود فى اسرائيل . ففى آخر إحصاء قامت به السلطات الاسرائيلية (كان عام ١٩٦٦ ، وهو آخر إحصاء خلال الفترة موضوع البحث) اتضح ان ١١ ٪ فقط من السكان العرب يقيمون فى بلدان ممتزجة السكان من عرب ويهود ، وحوالى ٥٦ ٪ يقيمون فى المنطقة الشمالية من البلاد ، وحوالى ٢٠ ٪ فى المثلث الصغير ، والباقون ينتشرون فى انحاء اخرى من البلاد .

هذا ، وقد اضطر السكان العرب نتيجة للحكم العسكرى الاسرائيلى أن يستوطنوا المناطق الريفية فى المناطق المترامية الأطراف ، ويقيمون فى قرى مقفرة ، ومنازل ريفية وضيعة وكانوا موزعين على ١٠٣ قريه منها ٢٧ قرية فى المثلث ، ٦٤ قرية فى المنطقة الشمالية ، ١٢ قرية فى مناطق القدس ، وحيفا ، واللد ، والرملة .

إن عدد السكان العرب فى اسرائيل عام ١٩٦٦ (طبقا لآخر إحصائية خلال الفترة موضوع البحث) كان حوالى ٣١٢ر٥٠٠ نسمة ، انضم منهم حوالى ٧٣ر٨٠٠ عامل عربى إلى القوة العاملة فى البلاد ، وبالتالى بلغ عدد العاملين منهم خلال عام ١٩٦٦ حوالى ٦٥ر٦٠٠ عامل . وعلى الرغم من ان الهستدروت أصدر قرارا فى ٢٦ يناير ١٩٥٩ يقضى بقبول العمال

العرب في عضويته على ان يتمتعوا بكافة الحقوق والالتزامات ، إلا أنه لم ينسب اليهم أى عمل ذى مستوى رفيع حيث كان توزيع العمل على النحو التالى :

٢٥٦٠	الزراعة وصيد السمك .
١٢٩٠٠	البناء والاشغال اليدوية العامة .
٩٨٠٠	الصناعة والحرف والتعدين
٨٠٠٠	الخدمـــات
٤٨٠٠	التجارة .
٤٠٠٠	النقل والمواصلات
٥٠٠	الكهرباء. والخدمات الصحية .
٦٥٦٠٠	أجمالى العمال العرب ، والباقى حوالى ٨٢٠٠ عامل عاطل يقومون أيضا بأعمال الخدمات لدى الاسرائيليين .

أما بقية السكان العرب فيعملون بالرعى .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن من الممكن لأدباء القصة القصيرة الذين تناولون الشخصية العربية الفلسطينية فى كتاباتهم أن يتناولوا هذه الشخصية دون التعرض للواقع الذى تعيش فيه وللأعمال التى تقوم بها .

ولذلك فانني سأحاول فيما يلى أن ابين كيف صور هؤلاء الادباء هذه الطبيعة وتلك الأعمال فى النماذج الأدبية التى أشرنا اليها من قبل وذلك من خلال مبحثين : وهما وصف الطبعية ، والاعمال التى يقوم بها العرب .

المبحث الأول

وصف الطبيعة

إن وصف الطبيعة فى الكتابات القصصية يضفى دائما لمسه رومانسية عليها ويعطى للقارىء فرصة للترويح الذهنى من عناء ملاحقة الأحداث ، ونظرا لأن الطبيعة الفلسطينية لها أهمية خاصة عند اليهود على أساس أنهم كانوا ينظرون اليها على أنها المرتع الذى يستنشقون فيه هواء الحرية النقى بعد الانعتاق من قيود التاريخ اليهودى ، ومن المنفى ومن كل الآلام الانسانية ، والعالم الذى يحيون فيه حياة نظيفة كريمة بعد فترة الحياة فى الجيتو وماكانوا يعيشون فيه من ضيق وقذارة وانغلاق - فإن الأدباء الاسرائيليين قد اطنبوا فى وصف هذه الطبيعة وتمسكوا بأهدابها وبالغوا فى تعلقهم بها بهدف إثبات جذريتهم وفى محاولة منهم تعكس بوعى أو بدون وعى ارتباطهم النفسى والوجدانى بل وربما التاريخى أيضا بكل رموز هذه الطبيعة .

فرغم اعترافهم بأن الطبيعة فى الأرض الفلسطينية جميلة وتنطق بالخضرة وتمتلىء بالبساتين وتظهر عليها الشمس مشرقة بأشعتها الذهبية ويسطع القمر فى لياليها وتنتشر فيها الورود والأزهار أشكالا وألوانا فإننا نستطيع أن نتلمس الدوافع الكامنة وراء هذا الوصف للأراضى الفلسطينية . إذ يرون فيها جنتهم الموعودة التى لابد من أن يحيوا فيها ولا يعقل أن تكون أرضا بهذا الأمل أقل روعة فى خيالهم من هذه الأوصاف علاوة على أن الوصف يكون بمثابة الدعاية ليهود المهجر لينجذبوا إلى هذه الأرض . ورغم هذا الحب والخيال الجارفين للطبيعة الفلسطينية فان تشويههم وتحقيرهم لصورة العربى الفلسطينى لم يلبث أن امتد إلى الطبيعة نفسها لمجرد أن يد العربى امتدت اليها ففى الوقت الذى نراهم فيه يسهبون فى وصف الطبيعة فاننا نجدهم يصفون القرى العربية التى تشغل حيزا من هذه الطبيعة بأنها مقززة ، ومجرد قرى متناثرة على قمم الجبال لا فن فى بنائها ، ولانشاط فى حياتها ، ولابساتين فى أفنائها بل لاتحتوى - كما يصفون - إلا على بعض من أشجار الفاكهة فى أروقة بيوت قذرة مبنية بالطوب اللبن .

ومن هنا ، كان حرصى على ابراز هذا الجانب من خلال النماذج الأدبية المختارة لأبين كيف يرى الأدباء الاسرائيليون الطبيعة الفلسطينية وذلك من خلال خمس نقاط على النحو التالى :

الطبيعة ساحرة وجميلة :

حيث يصفه « يوسف حنانى » فى قصة مزمار أحمد قائلا :

« فى ظل إحدى الأشجار على شاطىء نهر اليرقون اشرق على يوم صيفى بكل بهائه وسطوعه . جلست على ضفة اليرقون ، وضعت قدمى فى المياة الدافئة ، اضطجعت بكل جسمى بين الأضواء والظلال التى تتحرك كالفراشات ، وتركت نفسى لتموجات الرياح المليئة برزاز المياه وأشعة الشمس ، اضجعت وكنت نائما وغير نائم اسمع تموجات المياه المتدفقة التى كانت ترن فى أذنى وكأنها نغم ساحر ، خوار بقرة من بعيد ، ثغاء الجمال ، الأضواء والظلال ـ كل هذا امتزج بعضه مع البعض الأخر ، وخيل إلى أننى ملكت قلب العالم كله . »

و « يوسف حنانى » يتحدث هنا عن الطبيعة حديث المستمتع بكل مافيها من ـ جوها البديع ومياه أنهارها الدافئة ، وهذا ليس بغريب على « يوسف حنانى » فهو قاص واقعى يصف الحقائق بكل تفاصيلها ويتميز فى كتابته بالدقة فى التصوير والقدرة الفائقة على التعبير ، ومحاولته تصوير الواقع بكل دقائقه .

٢ ـ الأراضى خصيبة وتنتشر فيها البساتين وأشجار الفاكهة :

حيث يبدأ « س . يزهار » قصة « خربة خزعة » واصفا الطبيعة فيقول :

« يمكننى أن أبدأ القصة وفق تسلسلها . يمكننى أن أبدأ بأحد الأيام المشرقة ، أحد أيام الشتاء الصحوة ، وأن أدقق فى وصف الانطلاق والرحلة حيث كانت الطرق الترابية مروية بأمطار اليومين الأخيرين ، والأسيجة الشجرية المحيطة بالبيارات التى كانت داكنة ورطبة . »

ثم يصفها أثناء تقدم فصيلته لمهاجمة القرية فيقول :

« كانت هذه الفصيلة تتقدم فى منطقة مجهولة ، وتوغل فى الوجود المغتسل المطهر للحقول ، فى هواء ناعم ونقى ، وفى حقول كروم بعضها محروث قبيل المطر وبعضها معشوشب (فى أعقاب المطر الأول) وجميل أن تغوص فى الشعاب الطينية الزلجة من ماء راكد ، وأوحال رخوة . »

ويقول عندما أوشكت الفصيلة على دخول القرية :

« وتبين لنا وفقا لذلك أن البيوت القليلة التى تلوح فى منحدرات تل آخر هى خربة خزعة ، وأن كل البيارات والحقول من حولنا ماهى إلا ملك لتلك القرية ، وأن مياهها الوفيرة ، وأرضها الخصبة ، وزرعها الرائع ، كان قد ذاع صيتها كما ذاع صيت أهلها . »

ويصف بعد ذلك المناطق المحيطة بالقرية فيقول :

« وحين أمعنا النظر فى تلك البيوت القليلة الواقعة خلف ذلك التل غير المرتفع تفصلنا عنها الأشجار والبساتين الوارقة ، وآبار المياه المتناثرة هنا وهناك اكتشفنا أنه لاتوجد مشكلة فى « خربة خزعة » كلها ، وأنها لا تستوجب أى توسيع آخر فى الشرح فعلا ، وفى الناحية المقابلة كانت ثمة أشجار جميز متفرقة طاعنة فى السن ومقفرة ، لم يعد بها تقريبا مايمت للنبات بصلة سوى انها نبات ضخم ثم عاد أحدنا بعد ذلك ببرتقال فأكلنا ، وحيئذ اتجهنا منحدرين وسط خطوط محروثة مبللة رمادية لم يسعفهم الوقت لزرعها . »

كما يصف الأراضى الزراعية بعد أن خرجوا من القرية فيقول :

« سرنا فى أحد الأزقة المتعرجة ، وما أن انتهينا من التجول فيها حتى كنا قد انتهينا من القرية ، وانفتحت أمامنا مروج مخضوضرة ، مسيجه بعدد من أشجار الاثل ، يليها سياج لقطعة أرض محروثة .

وهنا نجد أنه على الرغم من اعتراف سميلانسكى بجمال الطبيعة ووصفه لدقائقها إلا أنه عندما امتد وصفه ليشمل الأراضى التى امتدت اليها يد العربى فانه وصف زرعها بالجدب والقفر وذلك ليثير حمية الجنود الاسرائيليين ضد العرب عندما يحسون بأن هؤلاء العرب هم السبب فى تشويه صورة الطبيعة الجميلة .

وفى قصة «الكنز» يصف «أهارون ميجد» الطبيعة عندما توقف «سليمان» ونظر تجاه الطريق فيقول :

«كانت توجد ظلال كثيفة ومتراكمة بين أشجار الرمان والخوخ (البرقوق) ، يبدو أنها لم تقطف . يمكن أن تأتى ذات ليلة ومعك حقيبة وتملأها بالخوخ .

كما يصفها و«سليمان» يتأمل الأراضى المحيطة بالطريق المؤدية إلى المنزل متمنيا أن يعود اليها ويزرعها كما كان يزرعها من قبل فيقول :

« إنها أرض ممتازة . أخذ حفنة تراب من الطريق ونفخها بين أصابعه فتطايرت وتساقطت الى أسفل . أرض ممتازه ، يابسة ، جافة ، لعق يده وصعد الى أعلى الهضبة . لقد كانت شجرة الجميز على جانب الطريق ذات فروع كثيرة .

وهنا نجد أنه على الرغم من استرسال الكاتب فى وصف الطبيعة فإن حب العربى لأرضه وتعلقه بها وتذكره لما كان عليها قبل مجىء الاسرائيليين قد برز فى مخيلة الكاتب وألح على ذاكرته فثبته بقلمه على لسان العربى .

وفى قصة «تراب الطرق» يصف «ناتان شاحم» الأراضى المحيطة بالقرية قائلا :

« حقول واسعة ممتدة حتى الجبال شرقا والى الحدائق فى مستعمرة بتاح تكفاه ارتفعت أشجار النخيل من تحت حدوة الفرس وغطت شارب كفتورفيتس وحواجبه إنتهت الطريق بالرمال . أرض مخضرة سوداء فى موسم الحراثة وبيضاء فى موسم الحصاد تزين الطريق أشجار شائكة فارعة الطول كقرنى الغزال غرست على جانبى الطريق مغبرة بالتراب ، الأرض تدندن لريح الظهيرة أشجار الموالح تتزاهى وهى واقفة فى حيوية جميلة ، وقوية على الأرض الفسيحة المسقفة .

وهنا يتضح مدى اتقان «ناتان شاحم» لوصف أشجار الموالح الباسقات حيث استعار من الطبيعة الغزال وأخذ منه صفة الرشاقة وأضفاها على سيقان هذه الأشجار .

٣ ـ عدم إهمال العرب لأرضهم :

حاول الاسرائيليون إثبات أن عرب فلسطين لايهتمون بأرض فلسطين ، ولابزراعتها وذلك فى محاولة منهم لاضفاء الشرعية على احتلالهم لهذه الأرض ، وتمثل هذا فى اطار مقولة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » إلا إن الأديب الاسرائيلى عندما كان يتطرق لوصف الطبيعة كان يصطدم بالواقع الحى ـ سواء بوعى أو بغير وعى ـ الذى لايمكن لأحد أنكاره ، وهو أن الفلاح الفلسطينى كان مرتبطا بأرضه ، وكان حريصا على زراعتها وعلى أن يجعلها جنة خضراء وهى تلك الجنة التى تشهد بها أوصاف هؤلاء الأدباء حيث يصف «س . يزهار» فى «خربة خرعة» الأراضى المحيطة بالقرية والجنود الاسرائيليين يراقبونها من فوق التلال فيقول :

«ومن تحتنا كانت الأرض مقسمة بالأسيجة الشجرية الى مربعات واسعة وضيقة منقطة هنا وهناك ببقع خضراء داكنة ، وهنا وهناك مكورة بقمم الأشجار القروية وبالتلال الموشاة بزهر «الصغير» على الأرض وبالنسائم المحروثة هنا وهناك ـ كان السهل مفروشا بالسكينة ولايخجله شىء ، ولاأثر لآدمي على الأرض ونشيد أرض خصبة يرنم بالأزرق والأصفر والبني والأخضر وبكل مابينها ، تستدفىء فى شمس مابعد المطر ، ترنو الى النور .

كما يبدأ «يزهار» قصة الأسير واصفا الرعاة وقطيعهم والأراضى التى يرعون فيها فيقول :

«بعد أن كان الرعاة وقطيعهم مهملين بين الصخور الحجرية ، بين أوراق أشجار الزيتون ، بين الجحور ومنزلقات الجبال ، وأيضا بين الوديان الجميلة المزيدة بالأضواء مع أضواء الذرة القوية ، ذات السيقان الذهبية الخضراء الصيفية ، وحيث التراب تحتهم فى كتل طينية مثل الجوز ، الذين أزالوا القمح الجميل على بعد قدم مع رائحة الأرض القديمة بثمارها وطيبها ـ بعد أن كانوا متشتتين بين المنحدرات والأودية المليئة بقطيع الغنم ، وتطل من قمم الجبال أشجار الزيتون المظلله فى صورة واحدة هنا وأخرى هناك ـ وقد إتضح أنه لايمكن الغوص فى الداخل بدون اثارة المشاعر ، وماسيطر الآن هو ذوق الدورية ، جلسنا على الحجارة لنستريح فترة ما ، ولنجفف فى ضوء الشمس العرق المتصبب . كل شىء كان ينطق بالصيف مثل معدن الذهب معمعة الذهب وحقول الذهب ، الذرة المورقة الصفراء ، التلال واخضرارها ، أشجار الزيتون وشحمتها الجميلة .

وعندما تخيل سليمان فى قصة «الكنز» أنه سيقابل رئيس الحكومة ويطلب اليه أن يعطيه جزءا من الأراضى التى كان يمتلكها فى «خربة جامون» ـ يقول «أهارون ميجد» على لسانه :

« أنا يعنى ، يوجد لى هناك فى القرية ٤٢ دونما ، أرض طيبة ، زيتون ورمان ، وأرض زراعية تدر محصولا طيبا ، لايوجد مثلها فى القرى كلها حقيقة إنها طيبة .

كما يقول على لسانه مرة أخرى عندما كان يتحدث مع إبن عمه :

« أنا سأزرع ذرة فى الجزء المجاور لبستان كامل ، وسأزرع جزءاً تبغا

خلف الجزء المزروع زيتون ، دونمان تبغ ، وتسعة دونمات حلبة وبيقة (نبات علف) ، وهنا وفى قصة «تراب الطرق» يصف ناتان شاحم «الأراضى المزروعة على جانبى الطريق الذى كان كفتورفيتس يسير فيه فيقول :

« وعلى جانبى الأشجار الشائكة ، أراض زراعية مخططة ، وقمح ذهبى اللون ، سيقانه مستسلمة لليقطين المنزلق ، وأحواض الذرة الخضراء .

٤ - القرى العربية مهجورة ومعزولة على قمم الجبال :

حيث يصف «س . يزهار» القرى فى قصة «خربة خزعة» عندما كان موجودا فى السهل يستعد مع زملائه للهجوم على القرية فيقول :

العرب القذرون المتسللون لإحياء نفوسهم القاحلة فى قراهم المهجورة ... اى دخل لنا ، ولشبابنا ، وأيامنا العابرة بقراهم المقملة ، والمبقة والمقفرة ، والخانقة ... هذه القرى الخاوية سيأتى اليوم الذى تبدأ فيه فى الصراخ ... وفى عز الظهيرة أو قبل الغروب تبدأ القرية التى كانت قبل لحظة فقط مجرد نسيج أكواخ مقفرة ، يلفها صمت اليتيم ، صمت قاس ونحيب جنائزى يقطر القلب ، تبدأ هذه القرية الكبيرة البائسة وتغنى نشيد الأشياء التى فارقتها روحها .

ثم يصف القرية وأزقتها فيقول :

« والآن حينما كنا نتوغل منحدرين في مهبط أحد الأزقة داخل القرية مستغربين ما اذا كان عرضه سيتسع سيارة جيب ، ومتأهبين لكل المفاجآت التى قد تحدث وكان صمت القرية يعود فيوغل فى السكون .

كما يصفها عندما قابل هو وزملاؤه سبعة من أبناء القرية يسيرون معا فيقول :

« الزقاق المتعرج ، وأسوار الأحواش المطينة بالطين المخلوط بالتبن ، والمتراصة بأعواد القصب المكدسة بأطوالها المتفاوته ، والتى كانت تفوح ببقايا من شذى صيف (هه ، صيف بعيد) رائحة القرية الرطبة ، وضجيج صمت الخرائب .

بدت كلها غريبة ، وخائفة ، وتافهة .

ونلاحظ هنا أنه على الرغم من أن « س . يزهار » قد بالغ من قبل فى وصف جمال الطبيعة فإنه قد تناسى ما ذكره ، وبالغ فى وصف قبح القرى العربية وذلك حتى يبرر ماسيحدث بعد ذلك من إبادة القرى المتخلفة ..

أما فى قصة « الكنز » فيصف « أهارون ميجد » القرية التى تقع على صخرة التل قائلا :

« تقع القرية على صخرة التل . حيث يقع منزل العمدة والمزبلة والميدان ، والشارع وكذلك البقال . »

وفى قصة « تراب الطرق » يصف « ناتان شاحم » الطريق الذى كان يسير فيه كفتوروفيتس فيقول :

« الجبال تقترب رويدا رويدا ، قرية عربية كبيرة عند صخرة الجبل تقف بمفردها . »

ويتضح من هذين الاستشهادين شيوع فكرة وجود القرية العربية معزولة على قمم الجبال لدى الأدباء الإسرائيليين على أساس أن وجودها فى المناطق الزراعية سيشوه هذه المناطق بطبيعتها الساحرة كما أن هذه الفكرة تؤكد ما أشار إليه « س . يزهار » فى قصة « خربة خزعة » من وصف القرى العربية بأنها مهجورة وخاوية ، ومعزولة .

٥ ـ المنازل مبنية بالطوب اللبن وبداخلها أكواخ طينية وبعض الأشجار :

حيث يصف « س . يزهار » فى قصة « خربة خزعة » أحد منازل القرية أثناء إطلاق النار عليه فيقول :

« وثمة من يتوقف فى البيت الطينى عن الأكل . »

كما يصف أحد المنازل أثناء الاقتحام فيقول :

« نركل البوابة الصغيرة التى تتوسط البوابة الخشبية الكبيرة فى أسوار الطين وندخل إلى الحوش المربع الذى يتوسط كوخا على ضلعها من هنا ، وكوخا آخر على ضلعها من هناك ، وأحيانا ، وحين تكون هناك سعة من المال ، وكانت الفرصة تواتى ، كان يبادر هؤلاء فيضيفون كوخا طينيا فوق سقف البئر ، ثم يشيدون كرما أو كرمين ويقيمون لهما عريشة ، بل ويحضرون الحجارة الاسمنتية التى ليست فى حاجة إلى تبييض وان كانت أطرافها غير متقنة الصنع كلها على الاقل وشجيرات فلفل وباذنجان

خريفية نبتت إلى أسفل بين الأعشاب ، وتعفنت عند الصنبور ، ومخزن تراكم الغبار فيه فوق بيوت العنكبوت الجاذبة كما لو كانت دهنية . جدران حرصوا على تزيينها بشتى الوسائل مسكن مبيض بالكلس واسع الأفريز مدهون بالأزرق والأحمر للزينة ، وفى أعلى الجدران أشياء صغيرة معلقة للتفاخر . »

ويصف بيوت القرية عندما توقف هو وزملاؤه فى ظل الجميزة قائلا :

« كانت القرية قد أصبحت مكشوفة من تحتنا أحواش ، بعضها بيوت حجرية وأكواخ طينية فى غالبها . »

كما يصف « اشر براش » منزل صفية فى قصة « صفية المسيحية فيقول :

« لقد سكنوا منزلا حجريا منخفضا داخل فناء سور ، وبجانب مدخل الفناء كان يوجد شىء يشبه الكوخ . »

ويبرز من هذه الاستشهادات وصف الأدباء الإسرائيليين للبيوت العربية بأنها بناء لا فن فيه ولا إتقان لعلم العمارة . فهى مبان من الطوب اللبن أو من الأحجار الأسمنتية التى ليست فى حاجة إلى تبييض حتى فى أطرافها غير متقنة القطع ، واذا زرعوا بالقرب منها فإنهم يزرعون بلا اهتمام ولا تطبيق علمى سليم لأصول الزراعة .

المبحث الثانى

الأعمال التى يقوم بها العرب

كان الصهيونيون يرون أنه حتى ينجح الاستيطان فى فلسطين فانه يجب تحديد موقف اليهود من أرضها الأمر الذى أفرز بدوره مايسمى بصهيونية العمل :التى ترى أنه لابد لليهود من العمل فى الأرض الفلسطينية وفلاحتها حتى وان أدى ذلك الى تحرك اجتماعى هابط وذلك من أجل الاستيلاء على هذه الأرض والسيطرة عليها .

ومن هنا تعمد اليهود إبعاد العرب عن مجالات العمل تحت شعار العمل العبرى « الذى كان يهدف الى تجاهل وجود شعب آخر ـ غير اليهود ـ فى فلسطين وكذلك إزالة جزء من الطبقة العاملة العربية فيها من أجل انجاز برنامج الدولة الذى تبنته الحركة الصهيونية وهو الاستيلاء على العمل والاستيلاء على الأرض وتحت تأثير هذا الشعار طرد مبعوثو الصهيونية مئات العمال العرب من أماكن عملهم وفرضوا على من يمنحهم العمل من اليهود عقبات خاصة . ومن هنا أضطر العمال العرب إلى بيع طاقة عملهم فى السوق السوداء وكانوا دئما معرضين لخطر الطرد من أماكن عملهم . أما من تبقى منهم فإن أعمالهم انحصرت فى الأشغال الحقيرة التى لايقوم بها العامل اليهودى كالعمل فى المجارى والبناء وذلك نتيجة شعور اليهود بالتفوق وبأنهم أسمى وأرقى من الشعب الفلسطينى هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نتيجة للمفهوم السائد لدى الاسرائيليين بأن العربى كسول ، وأنه لايمكن إسناد أى عمل صعب إليه لأنه ليس لدنيه الاستعداد ، ولا القدرة الذهنية أو الجسدية اللازمتين لأدائه لأنه لايستطيع إلا أن يؤدى العمل « بطريقة العربى » وهو تعبير شائع الاستخدام بعد أن صار جزءاً من التراث فى إسرائيل ، فالمثل العبرى « عمل عربى » يكاد يكون ترجمة حرفية لتعبير أداء العربى للعمل ويستخدمه الاسرائيليون للحط من قدر الشىء ولو صف أفظع درجات انعدام الكفاءة ، والافتقار الى المهارة فى أداء العمل .

وفى الحقيقة أنه عكس الاعتقاد السائد بأن مايجتذب المستوطن الصهيونى إلى فلسطين هو ارتباطه بالأرض وحياة الريف فإننا نجد أنه منذ العشرينيات والمستوطنين اليهود يميلون إلى التجمع فى المناطق

الحضرية . ففى عام ١٩٣١ كان ٧٤٪ من اليهود يعيشون فى المناطق الحضرية ، وفى عام ١٩٤٨ زادت هذه النسبة إلى ٥٤٪ أما الأن فإن نسبة اليهود المقيمين فى المدن والمستوطنات الحضرية تصل الى ٩٠٪ وبالتالى انضمت مجموعة الأعمال المرتبطة بالأرض والريف إلى مجموعة الاعمال البسيطة التى يسندها اليهود للعرب على الرغم من تحذير المفكرين الصهاينة من خطورة هذه الظاهرة . ولذلك ليس من الغريب أن نجد إشارة الأدباء الإسرائيليين إلى الأعمال التى يقوم بها العرب - فى النماذج الأدبية المختارة خلال الفترة موضوع البحث - منصبة على نمطى الشخصية اللذين حظيا بالوصف وهما : البدوى والفلاح وحتى اذا تخطت الاشارات حدود هذين النمطين فانها لاتخرج عن الإطار العام لهما . فاذا كانت الإشارة الى عربى يعمل فى مجال التجارة - نجده يعمل فى تجارة الغلال الزراعية التى ينتجها الفلاح من الأرض ، أو أعمال القطف والانتقاء والتعبئة التى ترتبط بالزراعة واذا كانت الاشارة إلى عربى يعمل عملا يدويا - نجده لايقوم إلا بالأعمال الحقيرة المضنية والتى عادة لايقوم بها إلا الأعراب البدو فى المناطق التى يتمركزون فيها .

وفيما يلى سأحاول إبراز الأعمال التى يقوم بها العرب الفلسطينيون كما صورها الأدباء الاسرئيليون فى النماذج الأدبية المختارة وذلك من خلال أربع نقاط على النحو التالى ؛

١ - رعاة غنم :

حيث يحدد « س . يزهار » فى قصة « خربة خزعة » على لسان مويشى - قائد الفصيلة - مصير العرب الموجودين خارج القرية عندما كان يتحدث مع زملائه قبل الهجوم عليها فيقول :

« إعرابى واحد ينفجر ، وعشرة ينبطحون على الأرض . »

ويصف على لسان « جابى » ، العربى الذى كان فى العربة الجيب عندما انتابته رجفة مفاجئة هزته من أعماقه فيقول :

« أى مريض ، قال « جابى » ، إنه سليم كثور ، إنه محتال ، وهذا كل مافى الأمر ، ليس لهؤلاء الأعراب دم فى عروقهم على الاطلاق . »

و « مويشى » يشير إلى أن العرب كلهم أعراب وذلك حتى يهون من هول الكارثة التى ستحدث عندما يتم تفجير الألغام على أساس أن الأعراب البدو هم الذين يشوهون الطبيعة ويلحقون الخسائر بالأراضى الزراعية - والكاتب يؤكد نفس الفكرة على لسان جندى اسرائيلى آخر وهو

« جابى » ، فرغم أن الأعرابى كان مريضا إلا أن « جابى » هون من هذا الأمر امام صديقه « أرييه » وقال إن الأعراب لايوجد دم فى عروقهم على الاطلاق ، ولم يقف عند هذا الحد بل شبهه بالثور وبأنه محتال إمعانا فى تشويه صورته وتحقيرها .

وفى قصة « الأسير » يصف « س . يزهار » الرعاة فيقول :-

« كان الرعاة وقطعانهم مهملين بين الصخور » .. كان يوجد بين كل ذلك رعاة من بعيد يرعون غنمهم .

ويقول عن الأسير عندما أحضروه ليرعى الغنم أمامهم :

فتح عينيه وأخرج الأصوات المتداولة بينه وبين غنمه « .. لقد كنا مستغرقين فى كل ذلك لدرجة أننا لم نتنبه لعدد من الرعاة الأخرين »

وإذا كان « يزهار » قد بالغ فى التهوين بالعربى بوصفه أعرابى من خربة خزعة فإنه يؤكد على نفس الفكرة تقريبا فى قصة « الأسير » ويصورهم على أنهم أناس مهملون لايعرفون إلا لغة الحيوانات التى يرعونها .

وفى قصة « الرسام والراعى » يصف « يوسف أريخا » مشاعر الرسام عندما مر عليه القطيع فيقول :

« ما أن مر القطيع حتى وقف الرسام مأخوذا بحب الاستطلاع الملىء بالحيرة ويتوقع الراعى الذى سيمر أيضا حتى يستطيع أن يستمر فى عمله بهدوء وأثناء ذلك اقترب الراعى . »

كما يصفها مرة أخرى و « ألونى » يراقب أعمال الراعى فى دهشة وتعجب فيقول :

« وكما يبدو أن نظرات الراعى المفروسة فى ظهره قد قويت جدا ، وأحس ألونى أن هدوءه متوتر جدا . »

وهنا يريد « أريخا » إيضاح أن الراعى مصدر إزعاج للرسام الذى لايستطيع مواصلة عمله بهدوء إلا بعد أن يمر الراعى لأن وجود هذا الراعى أطاح بحالة الهدوء النفسى التى كان عليها الرسام ، وكذلك قوة التركيز التى كان قد وصل اليها .

وفى قصة « البدو الرحل والثعبان » يصف « عاموس عوز » تصرف السلطات الاسرائيلية تجاه البدو فيقول :

« ورغم التخبطات التى لاتحتاج الى تفصيل ، قررت السلطات فتح الطرق المؤدية إلى الشمال أمام البدو . »

ويصف تصرفات البدوى الذى كان ينظر إلى جئولا وهى تركع على الأرض وتخطط بيدها خطوطا اعتباطية فيقول :

« البدوى ينتظرها فى حيرة ، وبين الفينه والأخرى يغلق عينيه المفتوحة ويحملق أمامه بعينيه الأخرى . »

ثم يصف تصرف « جئولا » فيقول :

« أزاحت الفتاة نفسها عن الجذع الذى ارتكزت عليه ، وانحنت تجاه البدوى وكأن البنج يسرى فى ظهرها . »

ويصف النظرات المتبادلة بين البدوى والعنزة قائلا :

البدوى ينظر إليها بلاحركة وذلك لأنها ترفع نفسها وتعود لقرض العشب كما يصف تصرف البدوى عندما يمر عليه شخص ما فيقول :

« وفى النهاية فإنك تعطى ظهرك للبدوى وتمضى فى طريقك ، وعلى بعد مائة أو مائتين تلف رأسك فتراه واقفا نفس وقفته . »

ويلاحظ هنا أن تناول « عاموس عوز » كان مقصورا على البدوى الذى يرعى الغنم وربما يرجع ذلك ـ كما ذكرنا من قبل ـ إلى أنه يختار الكيبوتس مسرحا لأحداث قصصه وبالطبع كان لابد من أن يتناول البدو الذين يرعون قطعانهم فى المناطق المحيطة بالكيبوتسات ، كما يلاحظ أيضا أنه حرص على اظهار أن البدوى مصدر ازعاج وقلق لليهود كما فعل « يوسف أريخا » فى قصة « الرسام والراعى » .

٢ ـ فلاحون :

حيث يصف « س . يزهار » فى قصة « خربة خزعة » المكان الذى جمعوا فيه سكان القرية تمهيدا لترحيلهم فيقول :

« لقد شاهدنا جمهور القرويين كله مكدسا ، وصامتا ، كتلة هائلة وملونة . » ثم يصف العرب وهم جالسون تحت الشجرة قائلا :

« وهناك من كتفوا أيديهم الكبيرة الخشنة ، أيدى فلاحين على صدورهم . » ويلاحظ أن « س . يزهار » كان يصف سكان إحدى القرى العربية ولذلك فإنه استعار صفة التكديس من المحاصيل الزراعية ، وصفة التكتل من الكتل الطينية فى الأراضى الزراعية ووصف بها سكان القرية حتى يحس القارىء بمدى العلاقة الموجودة بين سكان القرية والأرض الزراعية ، وكأن القرى العربية تخلو من أى عناصر بشرية أخرى كالطلبة أو التجار أو العمال أو الصناع .

وفى قصة « الكنز » يروى « أهارون ميجد » الحديث الذى تخيل سليمان أنه دار بينه وبين رئيس الحكومة فيقول :

رئيس الحكومة : ضاحكا ، حسنا يافلاح ، خذ زوجتك أمينة ، ومصطفى ، والطفل الرضيع وعد إلى قريتك . »

ثم يقول على لسان « سليمان » وهو يأمل فى أن يعود إلى أرضه ليزرعها :

« عندما نعود ونعزق هذا الحقل مرة أخرى ، قبل المطر أحرث ، وبعد ذلك أفلحها مرة ومرة ، أربع مرات ، إنها أرض ممتازة . »

ونجد هنا أنه رغم حرص « أهارون ميجد » على اظهار « سليمان » فى صورة فلاح لايعرف شيئا سوى الزراعة إلا أن حب هذا الفلاح لأرضه واتقانه لفنون مهنته قد سيطرا على خياله رغم إرادته فعبر عنهما فى قصته . وفى قصة « منظر ليلة » يصف « يوسف أريخا » العرب الذين كانوا يركبون العربة التى ركبها جلعادى فيقول :

« وعندما جاءت سيارة أخرى ، اندس جلعادى وسطها ، وهى مكتظة بالفلاحين العرب . »

ثم يصف العرب الذين أحاطوا بجلعادى ليلا فيقول :

« وها هو يقف بين صمت الليل الذى سكن سكونا مخيفا ، وهو محاط بعدد من المدنيين المسلحين ، ومجموعة من الفلاحين . »

ويصفهم وهم يسيرون حول جلعادى فى الطريق فيقول :

« وفى الوسط كان رئيس العصابة يهتز على سرج مهرة سوداء يقودها فلاح صغير وهنا نلاحظ أن « أريخا » قد عمد إلى تحقير وتشويه صورة الفلاحين العرب فمرة يصفهم بأنهم شىء مهمل لاقيمة له حيث يركبون

العربات كتلا بشرية متراصة فوق بعضها وتارة أخرى يصفهم ضمن أفراد العصابة التى قابلت « جلعادى » ليلا .

بائعو خضراوات وحبوب :

حيث يصف « أشر براش » المحل الذى كان يبيع فيه الحاج ابراهيم الخضراوات فيقول :

« محله ، محل الخضراوات لم يكن إلا مخزنا كبيرا خاليا ، بابه المزدوج والمرتفع مغلق ويقوم على عتلتين كبيرتين من الحديد ، وهو نفسه يجلس على عتبة حجرية . »

ويقول عن الحاج ابراهيم نفسه :

« إنه يبيع الخضراوات الآن من حديقته ومن مزرعته التى تقع خلف مستعمرة الألمانيين ، وعندما يجمع الخضراوات من حديقته فإنه يحضرها الى محله فى الصباح . »

وهنا لم يقصر « أشر براش » عمل « الحاج ابراهيم » على بيع الخضراوات فحسب ولكن جعله هو الذى يجمعها أيضا من المزرعة بنفسه وكأنه يريد أن يقول : رغم أن الحاج إبراهيم يقوم ببيع الخضراوات فإنه فلاح أيضا . ويبدو أن هذه الفكرة متأصلة عند « أشر براش » لأننا نجده يختار لزوج صفية وأولادها ، والعرب الذين يتاجرون معهم ـ فى قصة « صفية المسيحية » ـ المحاصيل الزراعية مادة لتجارتهم ولم يختر لهم شيئا آخر حيث يقول :

كنت أحضر عدة مرات فى الأسبوع إلى محل صفية ، وكانت تدخلنى إلى الشقة فى المكان الذى يوجد فيه أحيانا زوجها ، وأولادها ، أو أى عربى آخر من الذين يتاجرون معهم ، وهناك أوضحت لى أنواع القمح : قمح نوريس ، وحوران ، وبلدى ، وأنواع العدس الأبيض والأحمر ، وأنواع البازلاء والذرة ، أيضا كانت تبيع القمح المطحون . »

٤ ـ ممارسة الأعمال الحقيرة :

« حيث يقول « أهارون ميجد » على لسان « سليمان » فى قصة « الكنز » .

إننى أخذت زوجتى والأولاد على الجمل وذهبت ، هى تجمع السيقان وتشعل النيران لتخبز ، ونحن نجلس فى السقيفه ونشرب القهوة . »

ثم يقول على لسان « سليمان » أيضا عندما تخيل أنه يجلس مع زوجته فى المنزل :

هناك كانت أمينة تهف القمح . هنا كانت تخبط لتنقى العدس . وهنا يلاحظ أنه رغم تفاهة هذه الأعمال فإنها لم تخرج عن نطاق العمل الزراعى ويبدو أن ذلك كان شائعا لدى الكتاب الاسرائيليين لأننا نجد أن هذه الفكرة قد تكررت عند أكثر من كاتب . ففى قصة « تراب الطرق » يصف ناتان شاحم الأعمال التى يقوم بها العرب فيقول :

وعلى جانبى الأشجار الشائكة أراض زراعية مخططة ، وقمح ذهبى اللون ، وسيقان مستسلمة لليقطين المنزلق ، وأحواض الذرة الخضراء ، والان تقتلع البقايا عربيات تلبسن ملابسا ملونة تقطفن من الحقل وتعملن أكواما . »

وفى قصة (الخشخاش المر) « يوضح موشيه شامير الأعمال التى يقوم بها العرب فيقول ؛

(منذ أسبوعين فى موسم أحد المحاصيل ، كان أبو فاضل يجمع الليمون ، والنساء تكومن الأخشاب للتدفئة فى الشتاء . إنهم فى الموسم يعملون كالبهائم إنهم يشحنون الليمون فى السلال ويحملونه على الجمال والحمير وينقلونه إلى محطة القطار ، ومن هناك ينقل ليباع فى تل أبيب ، وكل مايتعلق بذلك : القطف ، والانتقاء ، والتعبئة ، والربط ، والشحن ، وقيادة البهائم ، والتحميل يقوم به أبناء « أبوفاضل » البنين والبنات ، والصغار والكبار . »

ويقول « يوسف حنانى » ـ فى قصة « مزمار أحمد » ـ عن أحمد : « إنه يسكن فى العزبة المجاورة وهو ذاهب الآن الى أمه التى تعمل فى الموشافاة عند اليهود . »

وواضح بالطبع أن الكاتب يقصد أن أم أحمد تعمل خادمة لدى اليهود ، وهذا عمل حقير من سلسلة الأعمال الحقيرة التى نسبها الأدباء الاسرائيليين إلى عرب فلسطين والتى كانت شائعة أيضا لدى أكثر من كاتب حيث نجد أن « أشر براش » يقول على لسان « صفية فى قصة » « صفية المسيحية » .

أنا وزوجى نعمل بالسمسرة فقط . ففى الحقيقة كل هذا المحصول ليس ملكنا . العرب يحضرون لنا عينات أو عدة عبوات ، ونحن نبيع ماعندهم . »

وفى قصة « أبو يوسف » يقول « حاييم هزار » .

« لقد تغير الحراس من مكان لمكان ، وكان « أبو يوسف » واحدا منهم ، كان عربيا يبدو وكأنه يبلغ الخمسين من عمره » .

كما يتحدث « مردخاى » طبيب - فى قصة قيثارة يوسى - عن يوناه فيقول :

« مازلت أذكر صرخات ألمها فى جوف الليل من أثر الحروق وضرب السياط التى ينهال بها شيخ من الاسماعيليين الذين يخروجون الشياطين ، وقد دعوه لكى يخرج من جسد الفتاة ذلك الشيطان الذى التصق بها . »

الفصل الثالث

وصف معاملة السلطات الاسرائيلية للعرب واوضاعهم في ظلها .

مارست السلطات الاسرائيلية أساليب البطش ، والإرهاب فى أعقاب اتفاقيات الهدنة بين إسرائيل والدول العربية للسيطرة على الأرض مستفيدة من الهزيمة العربية ، ومن حالة الذعر والذهول التى استحوزت على المواطنين آنذاك . وعلى الرغم من أنها سنت بعد ذلك مجموعة من القوانين تهدف إلى مصادرة مايمتلكه العرب من الأراضى فى البلاد سواء منهم المقيم أو اللاجىء خارج إسرائيل فإنها لم تلبث أن عاودت ممارسة أعمال العنف تجاه عرب فلسطين .

ففى ٣/٢٣ ١٩٥١ طوقت وحدات من الجيش والبوليس الاسرائيلى قريتى عرابة ودير حنا وفرضت عليهما حظر التجول لمدة ثلاثة أيام ، وشرعت فى التحقيق مع الأهالى وفى التفتيش عن أسلحة وضرب عدد كبير منهم بالسياط .

وفى نهاية يوليو ١٩٥٣ أعلنت وزارة الدفاع الاسرائيلية أن طائرة عسكرية إسرائيلة كانت تحلق فوق قرية الطيرة وأطلق سكان القرية النار عليها ، وقبل بزوغ فجر اليوم التالى طوقت وحدات من الجيش القرية وأخرجت كل السكان من بيوتهم وفرقت بين الرجال والنساء وأوقفتهم تحت لظى الشمس المحرقة حتى الساعة التاسعة ليلا دون ماء أو غذاء ومارست ضدهم شتى أساليب الإرهاب والوحشية[١٧] .

وفى ١٤ أكتوبر ١٩٥٣ قامت قوة إسرائيلة كبيرة مسلحة بمهاجمة قرية قبية وأمطرتها بوابل من نيران المدفعية فدكت بيوتها على من فيها ، وكان هذا الهجوم مدبرا ومنظما حتى أن جميع القرى المجاورة والطرق المؤدية لقبية قد عزلت عزلا تاما حتى لاتهب لنجدتها .

وفى ١٩ أكتوبر ١٩٥٦ فرضت فصيلة من حرس الحدود حظر التجول فى القرى القريبة من الحدود الأردنية ومن بينها قرية كفر قاسم ولم يتم اخطار عمدة القرية إلا قبل الموعد المحدد لسريان حظر التجول بنصف ساعة فقط فاستحال عليه إبلاغ سكان القرية الذين يعملون بعيدا عن قريتهم ولا يعودون إلا مع غروب الشمس . وفى الساعات الأولى من حظر التجول أى مابين الساعة الخامسة والسادسة قتل حرس الحدود ٤٧ قرويا وهم عائدون الى منازلهم دون أن يعلموا بقرار حظر التجول كما قتل الكثيرين من رجال ونساء وأطفال القرية بوحشية متناهية .

وكان نظام الحكم العسكرى الاسرائيلى يتدخل فى جميع مجالات حياة المواطن العربى فى إسرائيل حيث قامت السلطات الاسرائيلية بتقسيم المناطق التى يسكنها العرب إلى ثلاثة مناطق وهى ؛ الجليل ، والمثلث ، والنقب ، ولكل منها حاكم عسكرى له الصلاحيات التالية :

١ ـ تقييد الحرية الشخصية :

فمن حق الحاكم العسكرى فى المنطقة أو ممثليه اعتقال أى شخص ونفيه وطرده ، خارج البلاد ، كما أن له حق فرض الإقامة الإجبارية على أى شخص أو وضعه تحت مراقبة الشرطة ، وله حق مصادرة الأراضى والأموال وفرض الرقابة العسكرية على البريد والتليفون وإعلان حظر التجول .

تحديد حرية التنقل :

حيث لايسمح للعربى بالانتقال من منطقة لأخرى إلا بتصريح خطى من الحاكم العسكرى ، ويحق للحاكم أن يمنع إعطاء مثل هذا التصريح دون إبداء الأسباب وفى حالة إعطائه فإنه يتضمن قيودا كثيرة .

٣ ـ التدخل فى الحياة الاقتصادية للأفراد :

إذ يستطيع الحاكم العسكرى أن يمنع أى شخص من السفر للبحث عن عمل كما فى استطاعته أيضا أن يمنع استمرار أى شخص فى وظيفته بحجة أن ذلك يتعلق بالأمن .

سياسة الإرهاب الجماعى :

حيث يسلك الحاكم العسكرى هذه السياسة إما بطرد السكان العرب من أراضيهم بالقوة ، أو بتنفيذ عمليات القتل الجماعى .

وبالنسبة لعمليات الطرد فقد نفذت فى العديد من القرى مثل :

جونى ، وأقرت ، وسعت ، والبروة ، وبيرام ، وأم الفرج ، ومجدل ، والرويسية ، وغيرها وقد لايكتفى الحاكم بالطرد بل قد ينسف القرية بأكملها كما حدث فى قريتى أقرت وكفر برعم حيث قامت السلطات بنسفها عندما قام الأهالى فيها بتقديم شكوى الى المحكمة العليا . أما بالنسبة لتنفيذ عمليات القتل الجماعى فقد نفذت فى أهالى الطيرة ، وأبوعوش ، وعطاء ، والطيبة ، والرملة ، والناصرة ، والحلمة ، وكانت ذروة هذه العمليات ، العملية التى تمت فى كفر قاسم والتى ذهب ضحيتها أكثر من ٥٠ قتيلا دون ذنب اقترفوه .

وكانت نتيجة عمليات التدمير والنسف والحرق أن عدد البلدان والقرى العربية فى فلسطين عام ١٩٤٨ كان ٨٠٧ قريه ، واشتملت المنطقة التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٤٨ على ٤٧٩ من تلك القرى والبلدان . وقد تم تدمير ٣٨٤ منها تدميرا تاما وسويت لأغراض الزراعة ولم يبق منها سوى ١٠٥ قرية فقط ، ومن هذه القرى والبلدان المتبقية ٩٨ بلدا وقرية يسكنها العرب والباقى مدن مختلطة تسكنها اقلية عربية وسط غالبية يهودية .

إن اسلوب معاملة السلطات الاسرائيلية لعرب فلسطين يعكس الحالة التى يعيش فيها هؤلاء العرب : فهم يعيشون فى حالة من الرعب الدائم والفزع الرهيب لأنهم معرضون فى أى وقت للضرب والطرد والقتل والإبادة ، كما أن ممتلكاتهم معرضة للسلب والنهب والحرق والنسف بالأضافة إلى أنهم عاشوا فى ظل قوانين الحكم العسكرى غرباء فى أرضهم محرومين من كافة حقوقهم ، مهملين يفتقرون إلى رعاية السلطات ولكن على الرغم من ذلك ، وفى ظل هذه الظروف فانهم كانوا دائما يتمسكون بالأرض ، ويرفضون الاستسلام وهم عزل من السلاح .

هذا هو أسلوب معاملة السلطات الاسرائيلية لعرب فلسطين ، وهذه هى أوضاع العرب فى ظل هذه المعاملة ولقد انعكس هذا الواقع فى الصورة الأدبية لدى كتاب القصة القصيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) وسوف أعرض فيما يلى تحليلا لنماذج القصة القصيرة المختارة والتى تؤيد الواقع المرير لعرب فلسطين فى ظل الحكم الاسرائيلى وذلك من خلال مبحثين رئيسيين وهما وصف معاملة السلطات الاسرائيلية للعرب ، وأوضاع العرب فى ظل السيطرة الاسرائيلية .

المبحث الأول

وصف معاملة السلطات الاسرائيلية للعرب

دأب الأدباء الاسرائيليون على تصوير العربى الفلسطينى - رجلا كان أو إمرأة أو حتى طفلا - فى صورة مزرية - حتى لا يشعر القارىء بأى تعاطف مع أى نموذج من هذه النماذج إذا تعرض لأى أعمال وحشية ، واستتبع ذلك بالتالى استطراد الأدباء الاسرائيليين واطنابهم فى تصوير المعاملة القاسية إلى حد الاهانة والاذلال للانسان العربى الفلسطينى ، بل وشملت القسوة والاهانة مايمتلك من حيوانات وعقارات ، ووصلت إلى حد الحرق والنسف والتدمير .

فالعرب - كما يصورونهم - لا يجدون أى استجابة لتوسلاتهم ودموعهم . وحتى النساء العجائز لا ينلن أى عطف أو حنان من قبل اليهود ، وكان الأدباء الاسرائيليون يفيضون فى وصف مظاهر الهلع والذعر الذى يبدو عليهن عند مهاجمتهن حتى وإن تشعث شعرهن أو علا صراخهن . بل وتطرق الوصف إلى تصوير جوع الأطفال والمعاملة القاسية التى يلقاها هؤلاء الأطفال بما فى ذلك ذوى العاهات منهم . ولعل هذا الاتجاه تكريس للمبادىء الصهيونية التى ترى فى العنصر اليهودى التفوق والتميز على ماعداه من العناصر الانسانية الأخرى ، فالرجال العرب كلاب ، وحمقى وقذرون ، وليسوا جديرين بحياة كريمة تذكر ، ولا داعى لحزن ولا دموع إذا لقى أحد منهم حتفه ، ولا داعى لتعاطف أيضا إذا ماجر أحدهم على وجهه أو سالت الدماء من جسده .

وماذا تعنى صرخات النساء - عند الأدباء الاسرائيليين - أو توسلاتهم إذا ما ألقى القبض على أزواجهن أو أبنائهن أو دفعوا إلى غياهب السجون أو حتى إذا طواهم الثرى فى بطون القبور .

إن كل مظاهر التعذيب والاذلال والاهانة لم تكن تثير فى نفوس الأدباء الاسرائيليين إلا الاشمئزاز ، وكأن تلك النماذج البشرية غير جديرة بحياة ولا مستحقة الاحترام أو كأن هذه الصرخات النابعة من أعماق القلب مجرد حفيف شجر أو خرير ماء أو نعيق غربان فى أضعف الايمان .

ومع أن منظر الأطفال يثير فى نفس الانسان العاقل شفقة ورحمة وعطفا ، إلا أننا لا نكاد نلمح فى كتابات الأدباء الاسرائيليين شيئا يذكر من هذا المظهر الانسانى الجميل ـ فالطفل العربى كما يصورونه ـ لن يكون عندما يكبر إلا حية سامة ولذلك فإنه لا يستحق العطف والرحمة .

ويعبر أدباء القصة القصيرة خلال الفترة موضوع البحث عن نفس الخط الذى كانت تسير فيه السياسة الاسرائيلية آنذاك والذى استمرت عليه بعد ذلك ، فالتدمير والارهاب والنسف والرعب عناصر أساسية فى تصوير الأدباء الاسرائيليين للأحداث . فالمنازل تتهدم والمبانى تسقط على رءوس أصحابها ، والانفجارات تنتشر فى ربوع القرى الهادئة الساكنة ، والألغام تبث هنا وهناك حتى لا يفر العرب أو يلجئوون إلى شتات غير معروف المصير ولا محدد الجهة . وعمليات التفتيش تجرى بين الفينة والأخرى ولا تراعى فيها حرمة لبيت ، ولا احتراما لشيخ ، ولا توقيرا لأنوثة ، ولا حتى تراعى فيها قاعدة لأخلاق ولا تهذيب . وإذا ما أرادت شخصيات القصص أن تفتخر بأعمال بطولية تخلدها وتكتب لها الثناء فإن نسف قرية أو حرق بيت أو إبادة قرية عربية بأكملها هى هذه الأعمال ، لأن القرية العربية فى نظرهم ليست سوى كومة من القش أو الحجارة المتراصة . لكل ذلك كان حرصى على أن أبين كيف يصور الأدباء الاسرائيليون أسلوب معاملة السلطات الاسرائيلية لعرب فلسطين فى النماذج الأدبية المختارة ، وقد رأيت أنه يمكن إيضاح ذلك من خلال نقاط ثلاث على النحو التالى :

١ ـ الاهانة والقسوة فى المعاملة سواء بالنسبة للانسان أو الحيوان :

حيث يصور "س . يزهار" ـ فى قصة "خربة خزعة" ـ الاسلوب المهين الذى كان جنود جيش الدفاع الاسرائيلى يعاملون به العرب من

خلال تصويره لتصرف "مويشى" مع العربى المختفى وراء الأسوار الطينية فيقول :

« ثم التفت إلى العربى وهو يشير إلى الجيب ولكى يجنبه الوقوع فى أى خطأ دفعه دفعة قوية إلى داخلها ، إلى حد أنه انغرس فى جدارها يتعلق بها وهو يطوى تصف جسمه الأعلى داخلها ، بينما بقيت ساقاه وذيل قفطانه وصندله تتدلى خارجها وهى تتخبط تخبطات مضحكة محزنة على السواء . شدوه ، دحرجوه كما يتدحرج كيس داخل جيب . »

وهنا تظهر مدى الاستهانة والقسوة فى المعاملة والاستهزاء بآدمية العربى ، فلم يكتف الجندى الاسرائيلى بالقاء العربى داخل العربة ولكنه ترك ساقيه متدليتين من العربة إمعانا فى السخرية منه .

كما يصور "س . يزهار" القسوة فى المعاملة أيضا من خلال تصرف الجنود اليهود تجاه العرب حيث يبين لنا أنه بمجرد أن أصدر "مويشى" التعليمات لجنديين من جنود جيش الدفاع الاسرائيلى لينقلا عرب القرية الذين تم القاء القبض عليهم إلى مكان التجمع حتى قام الجنديان بتهديد العرب ، ومعاملتهم بقسوة وكأنهم أغنام وبقر وذلك إظهارا لبطولتهما فيقول :

« وسرعان مانهض الشابان وهما يصرخان فى المعتقلين بحدة ، ويلوحان بأيديهما وبندقيتهما كراعى بقر فى مراعى فاسياس ، متأهبين لأن يقمعا ويسحقا أى تمرد يحدث ، لو لم ينطلق المعتقلون كلهم ويسيرون عند سماع الصيحة الأولى مباشرة محتشدين متحاشرين باذعان ، ودونما اعتراض ولم تكن الضجة التى أثارها الشابان إلا من أجل التفاخر بالبطولة فحسب .»

ولعله يتضح من هذا الوصف أن كل جندى من جنود جيش الدفاع الاسرائيلى كان يبحث عن دور بطولة ولا يجده ويصف "س . يزهار" قسوة اليهود مرة أخرى فيقول :

لقد توفر لدينا بعض العرب الذين التقطناهم هنا وهناك ، فجمعناهم وسقناهم أمامنا دون أن نعيرهم أى انتباه سواء كان ذلك بالنسبة إلى شكلهم أو توسلاتهم أو إلى بكاء يرتفع هنا ودموع تتساقط هناك حتى ولا إلى ذلك الذى كان قد أعد لنفسه ، لسبب ما ، علما أبيضا ، مما يتيسر

له ، وخرج إلينا يلوح به ويتمتم بخطاب ، كما لو كان رئيس بلدية يحمل مفاتيح الاستسلام فى يده ، لم يثر فينا غير السأم ، وغضب لا يفسر . »

كما يصور مدى الاهانة التى كان يعامل بها أحد الجنود اليهود المرأة العربية التى كانت تجرى لترى منزلها الذى تهدم فيقول :

عاد ذلك الشاب وصرخ فيها يأمرها أن تعود إلى مكانها إلا أن المرأة كانت قد تخطت كل الانذارات فنحته من طريقها وراحت تجرى إلى مكان الانفجار غير أنه وبحركة من يده كان قد أمسكها بمنديلها فانحسر شعرها وتشعث إمعانا فى إهانتها ، الأمر الذى أثار امتعاض الجميع . »

ويصور معاملتهم للنساء أثناء جمع عرب القرية لنقلهم وترحيلهم خارجها فيقول :

ولكن عندما مرت بنا النساء مالت علينا إحداهن وتعلقت بكم قميص شلومو وبكت أمامه مستعطفة . نفض شلومو يده يخلصها منها ، وراح يتلفت حوله يبحث عن مخرج ، أو ربما ، مستسمحا معاملتها برفق ، إلا أن يهودا الذى كان يقف هناك ناسيا ثيابه الملطخة ، صرخ بها بقسوة : يلله ، يلله ، أنت أيضا ، أما هى فقد ارتعبت وذهبت . »

وهنا تظهر قسوة اليهود فى معاملتهم للعرب حيث يسودهم شعور باللامبالاة تجاههم فلا يستجيبون لتوسلاتهم ، ولا يحنون لبكائهم وصراخهم ، كما أن هذه التوسلات وذلك البكاء لا يثير فيهم الا الغضب والحقد فيزدادون قسوة فى المعاملة تجاه العرب سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفالا وتتسع دائرة هذه القسوة فتشمل الحيوانات أيضا وفى هذا الصدد يقول "س . يزهار" :

« كانوا يجلدون الجمل الذى يدور بالساقية . » ثم يصور كيف كان الجنود الاسرائيليون يستهينون بالحيوانات فيقول :

« قال شموليك لعامل اللاسلكى : مارأيك فى القوة الخارقة عند الحمار ؟

قال عامل اللاسلكى : وكيف عرفت ذلك ؟

قال شموليك : لقد رميت بالأمس واحدا بثلاث رصاصات ولم يمت أين أطلقتها ؟

واحدة هنا فى العنق ، وواحدة هنا فى الرأس تحت الأذن والثالثة بجوار العين .

ثم ؟

لم يمت واصل سيره .

هراء هذا مستحيل .

إننى أقسم أنى بالأمس ، بالقرب من المعسكر ، خرجت لكى أجرب البندقية فرأيته يتبختر عند السور وعلى الفور رميته .

من أى مسافة كان ذلك ؟

لا شىء ، عن قرب . عشرة أمتار أو مايقارب ذلك .

ولم يمت ؟

فعلا لقد تابع سيره وبعد ذلك سقط ....

أما أنا فقد رميت حمارا فى مؤخرته ذات مرة فسقط فورا . لقد خرجت له فى مؤخرته مثانة . انضم الثالث للحديث : بالنسبة للجمل مجرد ثانية واحدة ويسقط . »

وعلى أى حال فإن "يزهار" قد صور بدقة المعاملة المهينة والقاسية التى يلقاها العرب وحيواناتهم من اليهود .

وفى قصة "تراب الطرق" يصور "ناتان شاحم" كيف كان كفتوروفيتس يعامل الشباب العرب الذين كانوا يجرون وراء عربة المحملة بالمربى فيقول :

« لقد حدث أيضا منظر مشابه فى طولكرم ، ولكن الآن لا يستطيع الشباب قذف الحجارة ، كانوا يقفزون على العربة ويلعقون المربى التى تسيل على حروفها وكان كفتوروفيتس يقذفهم بالشتائم ويهددهم بالسوط . »

وهنا نجد أن "شاحم" لم يفكر فى منع الشباب العرب بهدوء رغم أن المربى كانت تسيل خارج البرميل واستخدم أسلوبا واحدا وهو السباب . والتهديد بالسوط وكأنه يقول أن العرب لا يجدى معهم الا استخدام العنف والقوة وبث الرعب فى نفوسهم . أما فى قصة الخشخاش المر فيصور

"موشيه شامير" تصرفات السلطات الاسرائيلية مع العرب وذلك من خلال تصرف شبيراغير المقتنع بهذه التصرفات فيقول :

« عندما خشى "شبيرا" من السلطات نظرا لوجود العرب عنده قال . يجب أن أذهب عند أبى فاضل وأطرده بدون كلام كثير ، واحد ، اثنين ، من فضلك يا أبا فاضل ، خذ معك الناس والأولاد وكل شىء والله يسلمه . حتى لا تسببوا لى هنا ازعاجا ، ليست عندى القدرة على معارضتهم . »

وعلى الرغم من أن "شبيرا" غير مقتنع بتصرفات السلطات وحزين على طرده لأبى فاضل فإنه كان يعامله هو وأولاده وزوجته بقسوة حيث يصور "شامير" ذلك قائلا :

عندما نادى شبيرا لشريفة وأولادها ليعملوا قال لهم : ماذا حدث ؟ شخط فى الصغار والعجوزة ، ماذا أنتم تنتظرون هنا هيا ، إذهبوا إلى ماكنتم تعملونه هيا . »

كما يبين رد شبيرا على "أبى فاضل" عندما طلب إليه جزءاً من المال لينفق به على زوجته قائلا :

« ليس لدى نقودا ، فقال له أبو فاضل : يوجد ياشبيرا ، اعطنى جزءاً علشانى ، وعلشان الأولاد وعلشان شريفة . فقال له شبيرا : هذا ابتزاز واضح ، علشان شريفة وعلشان البنت الصغيرة ، يا أبا فاضل . ليس لدى نقود وأنت لن تأخذ منى مليما واحدا . »

ومن ذلك يتضح أن المعاملة القاسية ، والاستهانة بالعربى واستخدام العنف ليس نابعا من تصرفات أشخاص بذاتهم فحسب ولكنه أيضا تعبيرا عن إرادة السلطة الاسرائيلية التى تمثل موقفا عدائيا متطرفا تجاه العرب .

وفى قصة "على سن الطلقة" يصف اسحق أورباز كيف تصرف مع العربى عندما أنزل يديه من فوق رأسه ثم أعادهما إلى مكانهما بسرعة فيقول :

« طابع عربى قذر ، أمرته أن يرقد على وجهه ، ويداه ممدوتان ومبسوطتان وضربته بحذائى فى مؤخرته لإرهابه . »

وهنا يتضح مدى احتقار اليهودى للعربى فهو لا يكتفى بمعاملته معاملة قاسية ولكنه يتعمد اذلاله ، وإهانته وإرهابه .

وفى قصة "أبو يوسف" يصور "حاييم هراز" كيف كان مدير السجن يعامل الشرطى العربى (أبو يوسف) فيقول :

« صفعه "الياهو" على وجهه وقال له : أتركت كل هذا وجئت لتكون شرطيا فى السجن ؟ »

فعلى الرغم من أن مدير السجن يتحدث مع أبى يوسف حديثا وديا إلا أن أسلوبه فى رده عليه كان الضرب على الوجه وهو أبشع أنواع الضرب لأنه يثير فى النفس الشعور بالضعة والصغار .

أما فى قصة "البدو الرحل والثعبان" فيصور "عاموس عوز" كيف كان شباب الكيبوتس يعاملون البدو الرحل فيقول :

« حقيقة لسنا من الذين يتمالكون أنفسهم . فأساسا هذه الأشياء شائعة بين شبابنا وبسبب قيود الذوق الطيب فاننى لن أفسر هنا أعمال سرقة المواشى ، وقذف شباب البدو الرحل بالحجارة ، وضرب أحد الرعاة حتى الاغماء . »

كما يقول :

« لقد عبر الشباب فى طريقهم إلى الحقل لمعاقبة البدو ، إنهم يحملون فى أيديهم عصى قصيرة وغليظة . »

وعلى الرغم من أن "عاموس عوز" لم يستعرض بالتفصيل مايقوم به سكان الكيبوتس ضد العرب إلا أنه من الواضح أنهم لا يتورعون فى عمل أى شىء سواء كان ذلك نهبا أو ضربا بلا رحمة .

وفى قصة "قيثارة يوسى" يصف "مردخاى طبيب" أسلوب القسوة والتهديد والاهانة الذى يعامل به العرب من قبل اليهود فيقول عندما كان بطل القصة يضرب إبن سالم حسن الأعرج على لسان البطل :

« ذهبت إليه ، وكان يزحف على الأرض لأنه لا يستطيع الهروب مرتعدا من الخوف صفعته على وجهه ، وكان يحمى رأسه بذراعيه ويقول باكيا : لست أنا ، لست أنا ووجهه ملىء بالخوف ، وعندما رأيته ينكمش على

الأرض ويثنى قدميه المصابتين تحته تبادر إلى ذهنى ربما تكسر ذراعى هذه المرفوعة على جسده . رفعت يدى واكتفيت بتهديده . »

وهنا نجد أن اليهودى لا يفرق بين الكبير والصغير ، ولا بين السليم والمصاب فالكل عنده عرب ويجب معاملتهم بقسوة وعنف .

٢ ـ القيام بعمليات تفتيش :

حيث يصف "س . يزهار" فى "خربة خزعة" عمليات التفتيش التى كان يقوم بها الجنود الاسرائيليون قبل دخولهم القرية فيقول :

« أخرجنا من الغم حين أخبرنا بأنهم أرسلوا لنا سيارة وسوف تنطلق بها لنفتش الأكواخ التى فى البيارات وحقول الكروم ثم ندخل القرية . »

كما يقول :

« وإلى أن تفجر غضبنا كنا قد وصلنا إلى ذلك الميدان الصغير فى أسفل القرية حيث كان هناك شابان من فصيلة أخرى يحرسان جمهورا صغيرا كانوا قد جمعوه أثناء عملية التمشيط . »

ثم بين بعد ذلك استمرار عمليات التفتيش فيقول :

« ولكن "مويشى" المتابع لنا قال للشابين أن يأخذا الجمهور المنتظر وينقلاه إلى مكان التجمع ، وأن يخبرا القائمين على الحراسة هناك بأننا سنتابع التفتيش قبل أن نأتى اليهم ، وأرسل الجيب معهما أيضا . »

وعن عمليات التفتيش داخل بيوت القرية يقول :

« ولكن سرعان ما اتضح لنا أننا كنا قد أضعنا وقتا طويلا ، نهضنا على غير رغبة منا وانطلقنا عائدين إلى أزقة القرية ، فتشنا البيوت متكاسلين ، نظرة خاطفة هنا وأخرى هناك مجرد تأدية للواجب . »

وهكذا فإن اليهود لم يكتفوا بمعاملة العرب وحيواناتهم بعنف وقسوة ولكنهم كانوا يقومون بعمليات تفتيشية رغم أنهم يعرفون أنهم عرب فلاحون عزل من السلاح .

أما "عاموس عوز" فيصور فى قصة "البدو الرحل والثعبان" تصرفات سلطات الكيبوتس تجاه البدو الرحل فيقول :

« العمليات الهجومية المفاجئة التى تمت فى المخيمات الممزقة لم تسفر عن أى شىء وكأن الأرض قررت أن تستر السرقة وتنبه السارقين . »

وهنا يتضح أن اليهود يقومون بعملياتهم التفتيشية لا بهدف التفتيش ولكن بهدف إثارة الذعر والرعب ، وبث الخوف فى نفوس العرب ، فهم يعرفون أن الخيام الممزقة لا يوجد فيها أى شىء ولا تستحق التفتيش ولكنهم يفعلون ذلك تنكيلا بسكانها .

٣ ـ التدمير والحرق والنسف والإبادة :

حيث يتحدث "س . يزهار" فى "خربة خزعة" عن بعض البنود التى كان ينص عليها الأمر الادارى فيقول :

« يتحتم جمع الأهالى إبتداء من النقطة الفلانية (انظر الخريطة) وحتى النقطة الفلانية (انظر الخريطة نفسها) وشحنهم فى السيارات ونقلهم إلى ماوراء خطوطنا ، ونسف البيوت الحجرية ، وحرق الأكواخ الطينية واعتقال الشباب والمشبوهين ، وتطهير المنطقة من القوات المعادية الخ الخ إذ يتضح الآن بأية آمال كبيرة وأية نزاهة عبر الخارجون إلى المهمة بعد أن ألقى على عاتقهم كل ذلك الـ احرقوا ـ انسفوا ـ اعتقلوا ، احملوا ـ اطردوا كى يهموا ويحرقوا وينسفوا ويعتقلوا ويحملوا ويطردوا بأمانة كبيرة . »

ويصف استعداد الجنود للإبادة والتدمير بعد أن صعدوا التل فيقول :

« ومن هنا كان التل مكشوفا أمامنا ، فاتخذنا مواقعنا ، ونصبنا المدفع الرشاش وأصبحنا جاهزين لأن نبدأ . »

ثم يقول :

« إلا أن الرياح لم تطور بعد جناحيها ، وتحولت إلى تيارات متعكرة تفسد بقوتها الجارفة ذلك النذر القليل من الجمال ولا يبقى منه فى النهاية غير شىء من الكدر الملوث على الفور تصبح ثمة حاجة لدينا للانتقام ، للتكسير والتحطيم ، وعلى الأقل للدوس بالأرجل . »

ويصف كيف كان اليهود يخططون لإبادة العرب فيقول :

« انظروا ، فإذا كانت القرية هناك ولا يستطيعون الهرب اليها ، فإلى أين يهربون ؟ قبل كل شيء إلى هناك . حسنا . وهناك نزرع لهم ألغاما قافزة . أعرابى واحد ينفجر وعشرة ينبطحون على الأرض . وفورا يغير الآخرون اتجاههم ويندفعون إلى هنا ، الينا ، إلى فوهة المدفع الرشاش هذا مباشرة ويقعون فى الشرك ببساطة . »

وبعد ذلك يصف الهجوم على القرية قائلا :

« وصل الامر بالبدء . ستفتح فصيلتنا النار على أسفل القرية ، وعلى البيوت العالية المواجهة لنا . فصيلة التأمين التى فى المؤخرة تفتح النار على الدائرة الخاصة بها والفصيلة الثالثة ستتمركز فى أعلى القرية ومن هناك تسيطر عليها وسرعان مافتح المدفع الرشاش فمه ونطق بعده دفعات برقة كما لو لم يكن من شأنها أن تؤذى ، كما لو كانت رماية للتسلية ، فى البداية كشط شبابيك بيت مبيض بالكلس (كلس عربى ضارب للزرقة) وبعد ذلك نسف بيت طينى عال وسرعان مانزلت النيران على طول زقاق واسع ثم خرجت وقفزت متناثرة على واجهات الجدران والأسوار وبين الأشجار التى كانت الشمس قد بدأت تغسلها من داخل رءوسها الكثيفة (وكانت هذه المرة تختلف تمام الاختلاف عن مرات سابقة) ، حين يفتح مدفعك الرشاش نيرانه ، وينسيك للحظة خوفك السابق كى يعطى الإشارة للطرف الآخر بالاغارة ...... قال مويشى : لقد فاجأناهم تماما . إضرب إلى اليمين قليلا تلك البيوت ، كنا نستلقى على بطوننا ونشهد المسرحية ونستمتع ونزداد انفعالا من إصابات جابى وحكمة مويشى وأعيننا تجول المنطقة تقع على صيد من أجلنا أيضا . وكنا الآن نسمع طلقات فصيلة التأمين من الناحية الأخرى ، وكانت تشكل مايسمونه "نيران متقاطعة" رائعة ثم مايدغدغهم هناك فى خواصلهم قليلا ، هنا .. ها ، قال شخص ما . »

ويقول على لسان شموليك الذى التمعت فيه شرارة المعركة وكان جاهزا لاخراجها :

« كان من الأفضل لو قصفناهم بعدة قذائف هاون . »

ثم يصور ماقام به الجنود من أعمال التدمير قائلا :

وقد أصبح واضحا ما الذى يمكن فعله فى كل ذلك وكيف ـ لو لم نكن

حتى الآن فى كثير من القرى ، وجمعنا ورمينا وحرقنا ودمرنا إلى أن عافت نفوسنا ذلك لكنا نأخذ على الفور الطورية أو المذراة المناسبة المتروكة ونرميها على الأرض بازدراء ، أو نصوبها إذا ما أمكن ذلك إلى الأشياء التى سرعان ماكانت تتناثر قطعا مهشمة ، فنتحرر من الاهانة لعدم إستبداله بدمار حقيقى مرة واحدة وإلى الأبد فيتوقف صمته ويتلاشى . »

ويصور تدمير منازل القرية فيقول :

« وهنا صعقنا ، صوت انفجار قوى مفاجىء وعمود دخان أبيض تعالى من أسفل القرية باضطراب (وسرعان ماطغى الصمت يطمس الضجة وليس المفاجأة) وحين نظرنا إلى مويشى قال إن فرقة التدمير باشرت عملها أما نحن فاننا مقبلون على إنهاء مهمتنا .

الخلاصة ، يعنى ـ إننا لم نفعل اليوم شيئا .. قال جابى كابحا جماح نفسه ، وترك المدفع الرشاش ، تتابعت فى الحال قذيفتان ضخمتان بدتا وكما لو كانتا مثانتين تنتفخان بسرعة قصوى وتنفجران . »

ويصورها فى موقع آخر قائلا :

« تقدمنا نتفقد الأحواش المقفرة ، ننادى ونعلن عن كل مايمكن أن يكون لقطة بينما كانت الأرانب والدجاج تفر من أمامنا ، نصب فى بعض الأحيان القليل من المازوت الذى كنا قد جهزناه فى الصفائح ووضعناه فى الجيب سلفا ، ونشعل كومة من التبن أو بوابة خشبية أو سقف قش منخفض ثم ننتظر إلى أن نرى أنها ستتحول إلى نيران تقل وقاحتها مع احتراق المازوت ، ونركل شيئا ما هنا وآخر هناك لربما كان مخبأ تحته ماهو أثمن حريصين على ألا ندخل البيوت خشية البراغيث ونجتاز غازين جزء من حياة البيوت ، وبشر سحقناهم فى لحظة واحدة فى أوج حربهم ولم يتبق منهم سوى إيماءة متحجرة ستأخذ منذ الآن فصاعدا فى الإندثار فى غبار الزمن . »

ثم يصور انفجار أحد المنازل قائلا :

« عندما انفجر فجأة أحد البيوت الحجرية بصوت يصم الآذان وبعمود من الغبار المتصاعد وشوهد سقفه من هنا وهو يرتفع قطعة مسطحة

واحدة وسليمة كما هى ثم تصدعت وتحطمت فى الفضاء فجأة فتناثرت وسقطت كتلا كتلا ، نتفا نتفا ، بغبار وبرد من حجارة . »

ويعبر عن هول القتل والدمار على لسان أحد الجنود فيقول :

« قال يهودا : إننى لا أستطيع نسيان هاتين العجوزتين اللتين كانتا تجلسان هناك ، شىء مرعب لم يسايره أحد فى الحديث فاستمر وحده : لقد إنتابنى هناك ما إنتابنى فى البداية عندما شاهدت القتلى والجرحى والدمار لأول مرة ، هل تذكرون ؟ لقد كان ذلك رهيبا ، ظننت عندها أنه سيلاحقنى دائما وماذا اليوم ؟ إن القتلى والدمار اليوم بل وكل شىء ، أصبح لا شىء لدى . »

وفى موقع آخر من القصة يسرد "س . يزهار" تعليمات مويشى التى تنتهى بالحرق والنسف فيقول :

« قال لنا مويشى : قبل كل شىء علينا أن نفحص جميع العرب الذين جمعوا بدقة لتمييز الشباب المشتبه فيهم من بينهم ، وثانيا فإن الشاحنات ستأتى لكى تشحنهم جميعا وتبقى القرية فارغة ، أما ثالثا فعلينا أن ننتهى من الحرق والنسف ، وبعد ذلك نذهب إلى البيت . »

ثم يقول على لسان مويشى وهو يتخيل أن هناك يهودا سيأتون ويحتلون هذه القرية ويفلحوها :

« من ذا الذى سيطرأ على ذهنه ذات يوم بأنها كانت ذات مرة خربة خزعة التى طردنا أهلها وورثناها ، جئنا أطلقنا النار ، وحرقنا ، ونسفنا وركلنا ، ودفعنا ، وهجرنا ؟ »

ويتضح من هذه الاستشهادات أن "س . يزهار" قد صور بدقة وأمانة مايحدث من مظاهر الفوضى والعنف ، والتكسير والتحطيم والقتل والإبادة ، هذه الأعمال التى يقوم بها الجنود الاسرائيليون تنفيذا لتعليمات صادرة اليهم تهدف إلى إبادة العرب الفلسطينيين العزل من السلاح حتى أصبح هؤلاء الجنود مشبعين بهذه التعليمات . ويبدو أن قيام الدولة كان له أثر كبير على هؤلاء الجنود ـ كما ذكرنا من قبل ـ فالشعور بالقوة ، والسلطة والجيش المحتل جعلهم لا ينتبهون لعناء المزارعين العرب :

المسنين والأطفال والنساء الذين طردوهم من بيوتهم وحقولهم ومارسوا ضدهم شتى أنواع الإرهاب بلا داع ، وبلا سبب أمنى أو عسكرى .

وتظهر نقمة الجنود الاسرائيليين إزاء مايصدر اليهم من تعليمات مجحفة بالنسبة للعرب فى قصة "الأسير" أيضا حيث يقول "س . يزهار" على لسان أحد الجنود :

« لا نتحمل أن نعود بيدين خاليتين . شخص ما من بين الرعاة أو شخص ما من بين الشباب ، ويمكن أيضا أن يكون عدد منهم ، يجب القبض عليهم ، أو أى عمل ما يجب عمله ، أو حرق أى شىء والعودة بشىء ملموس . »

وهنا يتضح أن مايقوم به الجنود الاسرائيليون هو تنفيذ لأوامر صادرة اليهم وليس عن رغبة منهم ، ويبدو أن هذه الفكرة كانت شائعة عند أكثر من كاتب "فموشيه شامير" يقول على لسان "شبيرا" فى قصة "الخشخاش المر" :

« عندما طلب "شبيرا" من "أبى فاضل" أن يأخذ أولاده ويغادر المكان سأله عن السبب فقال شبيرا : لأن هنا سيذبحوك أنت وأبناءك »

أى أن "شبيرا" يحذر "أبا فاضل" من البقاء حرصا على حياته المعرضة للخطر من قبل السلطات الاسرائيلية .

كما أن "عاموس عوز" يقول على لسان "جئولا" وهى توجه حديثها لأطقين فى قصة "البدو الرحل والثعبان" . :

« لا ، لن أقص عليهم . ليس لدى القوة لأقف أمام نظراتهم الفضولية . يكفى ماقصصته عليك يا أطقين . أنت بنفسك تقص عليهم . أيضا الليلة ، سيهاجم الأبناء الخيمة ، ويكسروا بأنفسهم . »

وهنا تخشى "جئولا" تصرفات الشباب إزاء البدو فتوصى أطقين بمحاولة اقناعهم بالتزام ضبط النفس قبل أن يبدأوا بمهاجمة الخيمة ويمارسوا عمليات التكسير والتحطيم .

المبحث الثانى

أوضاع العرب فى ظل السيطرة الاسرائيلية .

تحاول الدعاية الصهيونية الترويج لفكرة أن اسرائيل تقدم للعرب فى فلسطين خدمات جليلة ، وأنها تعمل على تحسين أحوالهم ، وانقاذهم من بؤرة التخلف التى عاشوا فيها بما تقدمه لهم من خدمات فى شتى المجالات ، كما تعمل على دفعهم إلى التأقلم بروح العصر والبعد عن تقليديتهم على أساس أن الاسرائيليين يدعون أن النزعة الأسرية والدينية هما اللذان أسهما فى أن يخلقا منه مجتمعا تقليديا يقاوم التقدم ومسايرة روح العصر . وفى الحقيقة أنه عند مقارنة العرب باليهود فى فلسطين يتضح أن اليهود يتمتعون بدرجة أكبر من الحرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأن الوضع بينهما شبيه بالتمييز العنصرى .

وبعكس ماتدعيه الدعاية الصهيونية فإننا نجد أن وضع عرب فلسطين بعد السيطرة الاسرائيلية أسوأ مما كانوا عليه قبلها ، فلا نكاد نلمس تقدما ملحوظا بالنسبة لمؤشرات التنمية المتعارف عليها داخل المجتمع الفلسطينى ، ولا أية محاولة جادة من جانب السلطات الاسرائيلية لنقل تكنولوجيا العصر اليهم .

ولذلك ليس من الغريب أننا لا نجد أية إشارة من جانب الأدباء الاسرائيليين فى النماذج الأدبية المختارة إلى أى مظهر حضارى للشعب الفلسطينى ، واقتصارهم على تناول نمطى البدوى والفلاح اللذين يمثلان من وجهة النظر الاسرائيلية أدنى درجات التخلف فى محاولة لإبراز أن الشخصية الاسرائيلية هى التى تمثل الحياة العصرية بكل مافيها من حضارة وتقدم ورقى ، أما العربى الفلسطينى فإنه يمثل التخلف والافتقار إلى وسائل الحياة العصرية .

ومما يدحض الدعاية الاسرائيلية المفتراه بشأن رعاية الشخصية الفلسطينية هو أننا لا نكاد نسمع عن علماء بارزين من العرب الفلسطينيين الذين نشأوا أو تعلموا فى ظل السيطرة الاسرائيلية بينما نجد اخوانهم

من اللاجئين يرتقون ويذيع صيتهم ويبلغون من العلم درجات تفوق بمراحل هذا القدر الذى تدعى إسرائيل أنها تتيحه لاخوانهم الواقعين تحت سيطرتها .

واذا كانت النماذج الأدبية المختارة توضح الفارق الكبير بين العربى الفلسطينى والاسرائيلى فلا شك أن الواقع أكثر إيلاما وحزنا بسبب ماتمارسه السلطات الاسرائيلية من شتى أنواع الارهاب والممارسات التعسفية التى تفتقر إلى الانسانية .

إن عرب اسرائيل فى ظل السيطرة الاسرائيلية يتعرضون لشتى أنواع التعذيب وتمارس ضدهم ألوانا مختلفة من الإرهاب ، ويتعرضون لعمليات التفتيش فى أى وقت وتسلب ممتلكاتهم ، ويتوقعون الطرد بين لحظة وأخرى ، ويحرمون من أبسط حقوق المواطنة فى شتى المجالات كالتعليم والصحة والثقافة .

وفيما يلى سأحاول إيضاح رؤية الأدباء الاسرائيليين لأوضاع العرب فى ظل السيطرة الاسرائيلية كما وردت فى النماذج الأدبية المختارة ، وذلك من خلال نقطتين رئيسيتين على النحو التالى :

١ ـ التخلف والافتقار إلى وسائل الحياة المعاصرة :

حيث يصف "س . يزهار" فى قصة "الأسير" حالة الرعاة وقطعانهم فيقول :

« كان الرعاة وقطعانهم مهملين بين الصخور الحجرية . »

وهنا نجد أن الرعاة الذين لا يملكون شيئا سوى بعض من الأغنام يرتزقون منه لا يجدون أى رعاية من قبل السلطات . فلا تنظيم لحياتهم ، ولا إشراف على مناطق اقامتهم ويبدو أن البدو العرب كانوا مهملين من قبل السلطات الاسرائيلية لأننا نجد أن "عاموس عوز" قد أشار إلى ذلك فى أكثر من موقع فى قصة "البدو الرحل والثعبان" حيث يقول :

« إنهم يفرون شمالا من شدة الجوع ، هم وقطعانهم المتربة ، منذ تشرين وحتى نيسان لم يعرف النقب نقطة ماء واحدة لتخفف المحنة ، فقد تفتت التربة الخصبة إلى تراب وسيطر الجوع على ساكنى المخيمات ، وترك بصمته على البدو . »

ويصف أغنام البدو قائلا :

« إن أغنامنا التى تجد الرعاية ليست مثل أغنامهم المهملة ، وبراعم حيواناتهم مهملة مكومة ، تحتمى كل واحدة فى الأخرى ، وتتجمع فى شكل كتلة ، ترتجف صامتة هادئة كرعاتها الخرس . »

كما يبين افتقار حيوانات البدو إلى الرعاية البيطرية فيقول :

« جاء المرض من الصحراء بواسطة البهائم التى تفتقر إلى الرعاية البيطرية ، وعلى الرغم من أننا أسرعنا باتخاذ وسائل الوقاية فإن الوباء قد لحق بأغنامنا وأبقارنا وقلل انتاج اللبن وتسبب فى قتل عدة بهائم . »

وهنا إشارة واضحة إلى أن أغنام البدو تفتقر إلى أى رعاية صحية ولا تحظى بأى رعاية كالتى تحظى بها الحيوانات التى يمتلكها الاسرائيليون .

٢ ـ الحياة فى رعب وفزع :

حيث يصف "س . يزهار" فى قصته "خربة خزعة" حالة العرب عند مهاجمة الجنود الاسرائيليين للقرية واطلاق النار عليها فيقول :

« سرعان ماكان يرتسم لى بدقة ووضوح كيف أنه فى نفس البيت ، ذلك البيت الأبيض المائل للزرقة ، والنافذة الزرقاء ، يعتدل الآن شخص ما تاركا ماكان يفعله فى خوف مفاجىء ، وثمة من يتوقف فى البيت الطينى عن أكله ، وثمة من يهش فى مجموعة البيوت إلى اليمين من كان يحدثه فى هذه اللحظة قائلا : إطلاق النار ، قشعريرات تدب ، أمعاء تصاب بالغثيان مما حوت ، أما من ترتعب حتىٰ الموت ، تخرج ، تجمع أطفالها بوخزة قلب يكاد أن يتوقف . »

ويقول فى موقع آخر :

« كان صوت القذيفة بالنسبة للهاربين كتدفق الماء إلى بيت نمل ، حيث كنت تستطيع وبلا انتظار تمييز ارتباك متزايد ، واندفاع مستعجل ، وكانت تسمع أصوات بعيدة وأصوات أخرى من القرية التى كانت حتى الآن سائدة ، أصوات عويل وأصوات فزع وبعض الطلقات . »

ثم يصف حالة العربى الذى خرج فجأة من باب أحد الأسوار الطينية أثناء تفتيش الجنود الاسرائيليين للقرية فيقول :

« كان فزعا مهولا صوب جابى المدفع الرشاش نحوه بدقة وهو يقول لنا : إنه يوحى بأنه قذر . وضغط على الزناد فى الحال ، وأطلق طلقة منفردة كانت قد مرت قيد شعرة من فوق رأسه عمدا فالتفت الرجل إلينا ومد يده وتجمد هكذا ، وعنقه يغوص بين كتفيه . »

كما يصف العربى الذى كان فى العربة الجيب فيقول :

« كان العربى الذى فى الجيب ينحنى مستسلما ، وهو لا يزال يحاول اخفاء آلام معدته بابتسامة اعتذار شاحبة سخيفة ويمسح أنفه بطرف ثيابه ، يبصق ويسعل ويبتسم ويختنق فى داخله شهقات محشرجة ومغصا وألما . »

ويصف مدى الرعب الذى ينتاب العرب عندما يرون اليهود فيقول على لسان جابى :

« قرية كبيرة كهذه ، لا يوجد فيها حتى ولا ثلاثة أشخاص يكونون ، هكذا ، رجالا . إنهم ما أن يروا اليهود حتى يبولوا فى سراويلهم . »

ثم يصف حالة العرب الذين تجمعوا بجانب جدار أحد المنازل عند مهاجمة اليهود للقرية فيقول :

« حملقوا فينا بنوع من التجمد واليأس ، وبلمحة بارقة من حب الاستطلاع الذى يطل من خلال الرعب والذل واليأس والدمار ، ومن خلال مباغتة الكارثة التى حلت لتوها . »

ويصف حالة النساء والأطفال الذين جمعوهم تحت الشجرة تمهيدا لنقلهم خارج قريتهم فيقول :

« بعضهن كن يثرثرن أحيانا ويصرخن بالصبية الذين نفذ صبرهم فراحوا يقفزون ويقتربون منا ويتكئون بأكف أرجلهم الحافية على ركب أرجلهم الأخرى ويلتهموننا بأعينهم مستغربين لكل مانفعله كما لو كان عرضا مسرحيا إلا أن ثمة بكاء ما كان ينفجر بين حين وآخر فاتحا معه كل مغاليق القلوب والدموع . »

كما يصف حالة العرب رجالا ، ونساء ، وأطفالا ، والجنود الاسرائيليين يقتادونهم خارج القرية إلى مصيرهم المجهول فيقول :

« لا أرى ما إذا كانوا قد قالوا لهم قبل أن يخرجوا ما الذى ينتظرهم ، وإلى أين يسوقونهم ومهما يكن فقد كان منظرهم ومشيتهم لا يشهدان إلا على قطيع مذعور مذعن هامس متأوه ولا يعرف كيف يسأل . ومع ذلك ، فقد كان من بينهم البعض الذى كان يتوقع كل شر بل وربما كان من بينهم من يساوره دون أن يتحدث ، الشك فى القلب والغثيان فى الأعماق بأن هذا ليس إلا اقتيادا إلى الاعدام . »

وفى قصة "الأسير" يصف "س . يزهار" حالة العربى الذى كان يجلس فى ظل الشجرة عندما توجه إليه الجنود الاسرائيليون فيقول :

« توجهنا بسرعة الحصان إلى الشاب الذى كان يجلس على حجر فى ظل شجرة البلوط قفز الشاب واقفا على قدميه . على الفور أخذه الذهول ، وألقى عصاه وجرى . »

ثم يصف حالته بعد أن ألقوا القبض عليه وأصبح أسيرا لديهم فيقول :

« وكيف أن أسيرنا قد انتابه صمت تام ، وشىء يصل إلى حد السخرية ، يخاف ويرتعش ويعود ويسقط على رأسه مع "الفوطة" الموضوعة عليه حتى مؤخرته »

ويتضح من هذه الاستشهادات ـ كما أشرنا من قبل ـ نقمة "س . يزهار" على مايحدث تجاه عرب فلسطين ، وهو لا يستطيع أن يفعل شيئا رغم أن هناك صراعا داخليا فى نفسه ـ بين ضرورة تنفيذ الأوامر ، وعدم قدرته على ابداء رأيه إزاء مايحدث ولذلك فإنه انكب على تصوير حالة العرب وماينتابهم من خوف وفزع ورعب من جراء الأعمال الارهابية التى تمارس ضدهم ، وتكررت الصور الخاصة بذلك تعبيرا عن الصراع الداخلى الذى يسيطر عليه من ناحية وتصويرا لما يحدث فى الواقع من ناحية أخرى .

ولم يكن "س . يزهار" فقط هو الذى تناول وصف حالة عرب فلسطين فى ظل السيطرة الاسرائيلية ولكن هناك أكثر من أديب لفت نظرهم حالة الرعب التى يعيش فيها عرب فلسطين فصوروها من خلال كتاباتهم .

ففى قصة "الكنز" يصف "أهارون ميجد" حالة سليمان عندما سمع

أصوات بعض اليهود ، وهو يتسلل بين الأشجار ليذهب إلى مكان الكنز فيقول :

« أصوات خطوات تمشى على الأرض الحجرية . انكمش سليمان كالقنفد ، والتصق بالساق وزحف عائدا إلى كوخ المعلف ، وركع على كومة من الروث اليابس . »

وفى قصة "على سن الطلقة" ـ يصور "اسحق أورباز" مدى الرعب والخوف الذى كان يسيطر على العربى المقبوض عليه فيقول :

« ولكن لم تكن هناك ضرورة لاطلاق النار ، إنه رمى البندقية ، وسقط على وجهه تحت قدمى ، وألقى برأسه على الأرض ، وأقسم بالله العظيم أنه يحب اليهود »

ويقول فى موقع آخر :

« إننى لم أفهم كل كلمة قالها بلغته . عرفت فقط قليلا من العربية ولكننى عرفت تماما أنه يتوسل إلىَّ لأبقى على حياته ، كما أنه كان واضحا لى تماما مدى الخوف الذى يسيطر عليه . »

كما يقول :

« كنت أنظر إلى الشمس المنحسرة الهادئة على جانبى البحر وتشابكت فى قلبى مشاعر التأمل حتى أيقظنى صوت انفجار بعيد . نظرت ورأيت يد العربى التى كانت قد نزلت من فوق رأسه ثم عادت بسرعة إلى مكانها . »

أما فى قصة "مزمار أحمد" فيصور "يوسف حنانى" خوف أحمد ونظراته المليئة بالرعب عندما رآه ونادى عليه فيقول :

وفجأة شعرت أن شخصا ما يقف بالقرب منى . فتحت عينى على بعد خطوات منى ووراء جذع الشجرة ، وقف شاب عربى ، وزمر على الناى ، حاول أن يغادر المكان ولكنى ناديته ... ويبدو أن وضوح وجهى قد أزال خوفه ، وبدأ هو يقترب منى ويلقى حوله بنظرات مليئة بالرعب . »

المبحث الثالث

نبوءة المقاومة الفلسطينية

على الرغم من أن النماذج الأدبية المختارة قد كتبت بعد ١٩٤٨ ، أى بعد أن إستطاعت اسرائيل أن تفرض وجودها فى فلسطين وأصبحت هناك قضية أساسية وهى قضية الشعب الفلسطينى الذى طرد قهرا وقسرا من أرضه ، إلا أننا نجد أن هذه النماذج لا يوجد فيها أى تصور للعلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين . وهذه الظاهرة إن كانت تعكس شيئا فى الواقع فإنها تعكس الرغبة فى تجاهل الشعب الفلسطينى من ناحية ، وتجاهل أن لهذا الشعب حقوقا مشروعة مغتصبة من ناحية أخرى لأن التطرق لمعالجة الشخصية العربية يتم دائما على أساس أنها شخصية هامشية فى الحياة اليهودية على أرض فلسطين ، وأنها أدنى بكثير من الشخصية الاسرائيلية ، وأنها مجرد مخلوق يجب التخلص منه بشكل أو بآخر مثل آفات الأرض .

وإذا كان الأدباء الاسرائيليون قد تعمدوا تجاهل طرح أى تصور للعلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين ، وكذلك طرح أى تصور لحل المشكلة العربية الفلسطينية فى نفس الوقت الذى أسهبوا فيه فى وصف قدرة الاستعمار الاستيطانى الصهيونى على فرض إرادته على الأرض الفلسطينية ، فإننا نستطيع أن نجد بين ثنايا بعض أعمال هؤلاء الأدباء اشارات واضحة إلى الحق الفلسطينى فى الأرض وإلى تمسك العربى الفلسطينى بهذا الحق والاستماتة من أجله . وسواء بوعى أو بلا وعى فإن بعض الأعمال الأدبية أشارت إلى أن هذا سيؤدى إلى خلق نموذج عربى فلسطينى جديد سيمثل طرحا جديدا للشخصية الفلسطينية ، وهذه الشخصية النبوءة لن تكون مستسلمة للارهاب ولن تنحنى أمام سطوة القهر الاسرائيلية بل ستكون مشحونة بعبء الأجيال السابقة وتحمل بين جنباتها صرخة الثأر لاستعادة الوطن السليب ، تلك الصرخة التى لن تكون صرخة حيوان مطارد خائف بل زئير نمرة لن يزيده الألم إلا عنادا واصرارا .

ففى قصة "خربة خزعة" يصف "س . يزهار" إحساسه بما سيكون عليه رد فعل عرب القرية العربية فى المستقبل ازاء استمرار العدوانية الاسرائيلية فيقول :

« إن تلك الصرخة لم تعد زعيق دجاج مطارد خائف بل زئير نمرة لن يزيدها الألم إلا غضبا وشرا . صرخة محكوم عليه بالاعدام يقاد إلى المشنقة كارها لجلاده ، وتمردا عليه ، صرخة ذات زئير ، صرخة لن أتحرك ، لن أستسلم ، أموت ولكن لن أتحرك . »

ويصف المرأة التى أصرت على أن تذهب لترى منزلها الذى دمره الجنود الاسرائيليون ، وتخطت كل الانذارات التى وجهها اليها الجندى الاسرائيلى فيقول :

« فعاد الجندى وصرخ بها يأمرها أن تعود إلى مكانها إلا أن المرأة تخطت كل الانذارات فنحته من طريقها ، وراحت إلى مكان الانفجار » .

ثم المرأة التى كانت تسير ضمن مجموعة من ثلاث أو أربع سيدات ، وكيف أنها أبت الانكسار أمامهم ، وتعالت بآلامها وأحزانها على وجودهم فيقول :

« رأينا كيف أن تجهم التماسك للنفس وارادة التحمل يزيد من قسمات وجهها صلابة وكيف بها الان وعالمها قد باد ، لقد أبت الانكسار أمامنا ، ومتعالية بآلامها وأحزانها على وجودنا » .

أى أنه كلما يزداد التنكيل بعرب فلسطين فانهم يزدادون عنادا واصرارا ، وتمسكا بأرضهم فهم يعرفون أن مصيرهم الطرد أو القتل ولذلك فانهم يتحولون إلى حيوانات كاسرة تهيج عندما تصاب بألم أو أذى . ويبدو أن نزعة التمسك بالارض كانت شائعة لدى عرب فلسطين لدرجة أنها سيطرت على خيال أكثر من كاتب ففى قصة "الكنز" يوضح "أهارون ميجد" مدى تمسك "سليمان بن رشيد" بأرضه وذلك عندما ذهب ليشتكى لأحد المسئولين ليعيد له أرضه المغتصبة فيقول :

« هكذا جئت لأضع التماسا أمامك ، إننى أصر على أن أعود إلى قريتى التى ولدت فيها أنا وأبى وجدى ، والتى لا أريد أن أموت إلا فيها » .

وفى قصة "على سن الطلقة" يبين "إسحق أورباز" إصرار "عبد المحسن جامونى" على البقاء فى أرضه وذلك على لسان ابنه إبراهيم فيقول :

« سألته بالنسبة للعجوز فقال إبراهيم : لقد مات هو أيضا وحكى لى أن أباه لم يرغب فى أن يترك مكانه وقال فى هذا الصدد : إن أبى وجدى ولدا هنا ، وماتا هنا :

أننى سأبقى والله يفعل ما يريد ، هكذا قال أبوه » .

وهكذا نرى أنه على الرغم مما كان يتعرض له عرب فلسطين فى ظل السيطرة الاسرائيلية إلا أن تمسكهم بالأرض واصرارهم على البقاء فيها كانا سمتين بارزتين ويبدو أن إشارات الأدباء الاسرائيلين إلى تمسك العربى الفلسطينى بأرضه والاستماتة من أجل الاحتفاظ بها كانت بمثابة نبوءة من جانب هؤلاء الأدباء لما يمكن أن يحدث فى المستقبل . وقد تحققت هذه النبوءة فى عام ١٩٦٥ بظهور منظمة فتح التى قادت المقاومة الفلسطينية من أجل استرجاع الحقوق الفلسطينية المشروعة وتنبيه الاسرائيليين إلى نزعتهم العدوانية التى أدت بهم إلى أن يتصوروا أن لهم حقوقا مشروعة من خلال نفس حقوق الغير .

مراجع وهوامش الباب الثانى

١ ـ كامل . لويس : قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية (الشخصية البدويه) ، القاهرة الهيئة العامة للتأليف والنشر ، مجلد ٢ ، ١٩٧٠ ، ص ٥٥٢

٢ ـ لازاروس (ريتشارد) : الشخصية ، ترجمة د . سيد محمد غنيم ، مراجعة د . محمد عثمان نجاتى) ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ ، ص ١٢

٣ ـ الشرقاوى . أنور محمد : مقال بعنوان التعلم والشخصية
مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الثالث عشر ، العدد الثانى ، ١٩٨٢ ، ص ١٩

٤ ـ يطلق هذا التعبير أيضا على الدراسات الانثروبولوجية التى تهدف الى تحليل وتفسير المقومات الرئيسية التى تميز شعب من الشعوب فى ذاته

٥ ـ يس . السيد : الشخصية العربية بين المفهوم الاسرائيلى والمفهوم العربى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣ .

٦ ـ الراهب . هانى = مقال بعنوان «الشخصية الفلسطينية فى الفكر الصهيونى» العربى ، فبراير ١٩٨٢ العدد ٢٩١ ، ص ٣٦ ـ ٣٩

٧ ـ هذا الشعار يردده الروائى الصهيونى اسرائيل زنجويل (١٨٦٤ ـ ١٩٢٦)

٨ ـ اسم الشهرة لاشير جنيزبرج وهو أحد الكتاب والمفكرين فى الأدب العبرى الحديث وفيلسوف الصهيونية الثقافية

٩ ـ الراهب : المرجع السابق ، ص ٣٦

١٠ ـ المسيرى . عبدالوهاب (دكتور) : أرض الميعاد ، دراسة نقدية للصهيونية السياسية ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، كتب مترجمة ، رقم ٧٤٢ ، ص ١٩٣

١١ ـ رزيق . إليا : الفلسطينيون فى إسرائيل ، الهيئة العامة للاستعلامات ، القاهرة ، كتب مترجمة ، رقم ٧٤٦ ، ص ١٧٨

١٢ ـ دومب . ريزا : العرب فى النثر العبرى ١٩١١ ـ ١٩٤٨ ، لندن ، ١٩٨٢

١٣ ـ دومب : نفس المرجع ، ص ٢٣ ـ ٢٥

١٤ ـ دومب : نفس المرجع ، ص ٦٩

١٥ ـ دومب : نفس المرجع ، ص ٩٩

١٦ ـ المسيرى . عبدالوهاب (دكتور) ؛ اليهودية الصهيونية واسرائيل ، المؤسسة العبرية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص . ٢٠٠ ـ ٢٠٤

١٧ ـ قهوجى : المرجع السابق ، ص ١٥٤ ـ ١٥٦

١٨ ـ هنداوى : المرجع السابق ، ص ٧٥

١٩ ـ سريه : المرجع السابق ، ص ١٢ ـ ١٤

٢٠ ـ كنعانه . شريف (دكتور) : التغير والاستمرارية .
القدس . جمعية الدراسات العربية ، ١٩٨٠ ، ص ٣٥

محتويات الكتاب

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ المسيح اليهودى ومفهوم السيادة الاسرائيلية دكتورة منى ناظم

رقم الايداع بدار الكتب ٣٤٠٩ /١٩٨٨

الطباعة : مؤسسة دار الهلال ـ القاهرة

هذه السلسلة

تتبنى مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر إصدار هذه السلسلة الثقافية وتيسير وصولها إلى أيدى القراء فى كافة أقطار أمتنا إنطلاقاً من الإيمان الراسخ بأن المعرفة العلمية الصحيحة بأنفسنا وبأعدائنا هى شرط أساسى من شروط الإدارة المظفرة لصراعنا مع المخاطر التى تهددنا من جانب إسرائيل .

وإننا على ثقة أن هذه السلسلة التى تفتح أبوابها لنشر الإجتهادات الرفيعة من جانب باحثينا وعلمائنا فى قضايا نهضتنا ووحدتنا ومجابهتنا لإعدائنا .. ستكشف عن إبداعات فكرية رفيعة وإيجابية تزيح العقبات من طريق أمتنا وتطرح الحلول الناجحة للمشكلات التى تواجهنا ..